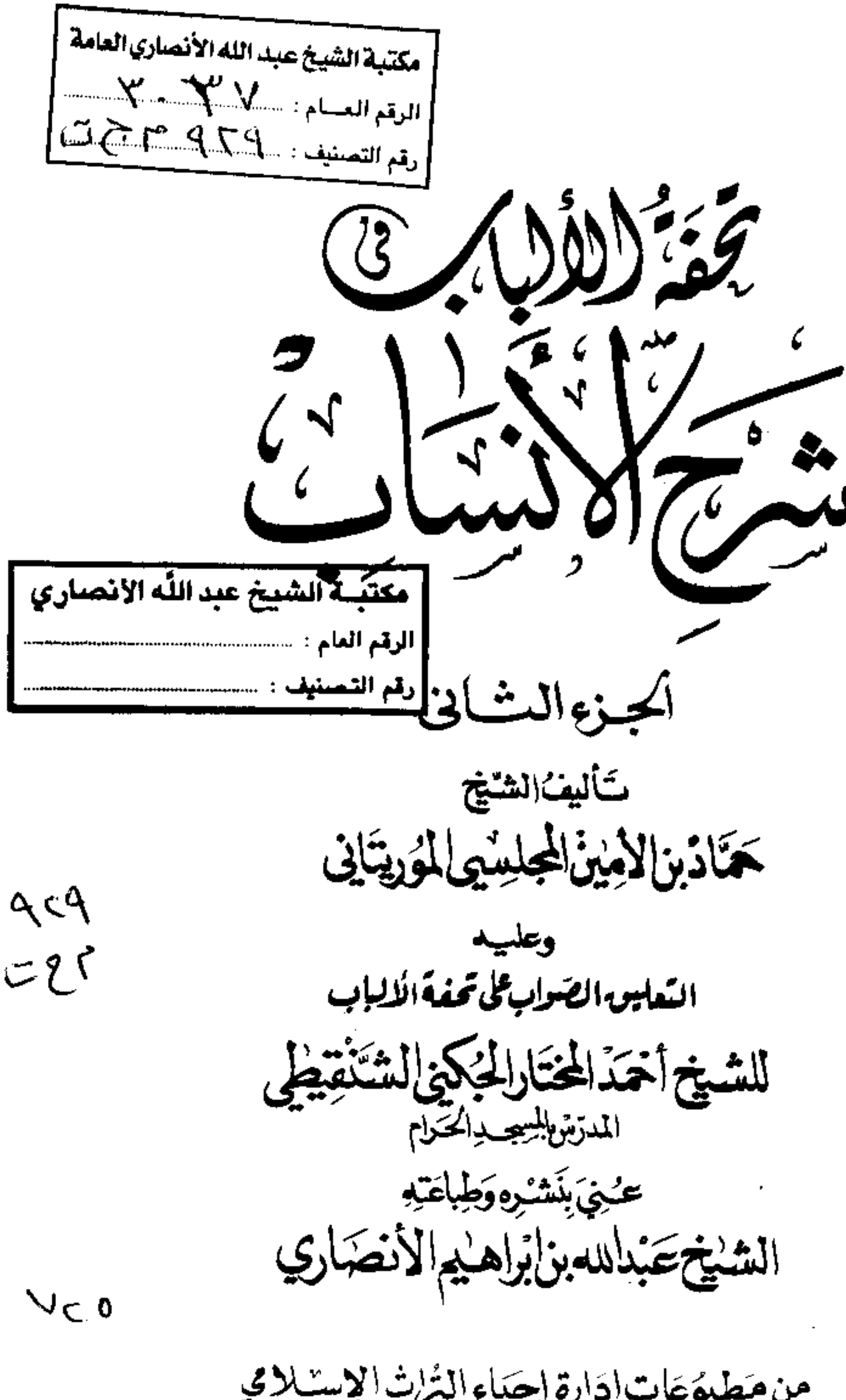

تحفة الألباب
شرح الأنساب
الجزء الثاني
تأليف الشيخ
حماد بن الأمين المجلسي الموريتاني
وعليه
التعليق الصواب على تحفة الألباب
للشيخ أحمد المختار الجكني الشنقيطي
المدرس بالحرم المكي
عني بنشره وطباعته
الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري
من مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر



تحفة الألباب في شرح الأنساب

الجزء الثاني

تأليف الشيخ
حماد بن الأمين المجلسي الموريتاني

وعليه
التعليق الصواب على تحفة الألباب

للشيخ أحمد المختار الجكني الشنقيطي
المدرس بالمسجد الحرام

عني بنشره وطباعته
الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

من مطبوعات إدارة إحياء التراث الإسلامي
بدولة قطر

١٤٠٥هـ
١٩٨٥م

نسب خزيمة

ولما أنهى الكلام على تميم نزل على خزيمة بن مدركة بن إلياس ، وإن خالف صنيعه ، لأن صنيعه أن يجعل عمود النسب أصلاً ، ويذكر الفروع قبله ثم ينحط عليه ، وهنا قدم مدركة بن إلياس عمود النسب على فروعه ؛ بني طابخة بن الياس لقلة مدركة . غير عمود النسب وكثرة بني طابخة فقال :

بنو أسد بن خزيمة

أَمَّا خُزَيْمَةُ فمن أَسَدِه
غُنْمُ بْنُ دُودَانَ ذَوو رَشَدِه
إِذْ هَاجَرُوا لِطَيْبَةٍ كُلُّهُمُ
وَآلُ جَحْشٍ الْكِرَامُ مِنْهُمُ

أي أسد بن خزيمة الذين قالت فيهم ليلى الأخيلية : ناطق بأسد ؛ تعني فصاحتهم ، لما يقال إنهم أفصح العرب[1]، وإن قال النبي ﷺ : «**وَاسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ**» يعني سعد بن بكر بن هوازن ، وغنم ودُودان كلاهما بالضم ، والرَشَد بالتحريك : الصواب . قال تعالى :

(١) لست أدري مايعنيه هنا ، ولاشك أنه لايعدل بقول رسول الله ﷺ ، فماذا يعني إذاً بقوله : إنهم أفصح العرب ، وإن قال النبي ألخ . ؟

﴿وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾[1] وطيبة : المدينة . وآل جحش : بنو عمة النبي ﷺ أميمة بنت عبد المطلب ، عبد الله المجدع في الله وابنه محمد بن المجدع ، وأبو أحمد الأعمى بن جحش الشاعر ـ قيل اسمه ثمامة وقيل عبد الله ـ أسلم قديمًا وهاجر وطلب من النبي ﷺ أن يرد عليهم دورهم بعد الفتح ، فأعرض عنه النبي ﷺ فقيل له : إن النبي ﷺ يحب ألا يرجع إليكم مانزع منكم في الله ، وتوفي آخر خلافة عمر ، وعبيد الله هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية مع زوجه أمنا رملة بنت أبي سفيان ، وهو أبو بنتها حبيبة التى تكنى بها ، فتنصر ومات على نصرانيته ـ نسأل الله العافية ـ وأمنا زينب بنت جحش وحمنة مات عنها مصعب بن عمير يوم أحد ، وهي التي قال فيها النبي ﷺ : «إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ لَبِمَكَانَةٍ عِنْدَهَا» وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تستحاض في زمن النبي ﷺ . وجحش بن رئاب بن بكير وكان اسمه برة فقالت زينب للنبي ﷺ : غير اسم أبي،فقال : «لَوْ كَانَ أَبُوكِ مُؤْمِناً لَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ولٰكِن اسْمَهُ جَحْشٌ وَالْجَحْشُ أَكْبَرُ مِنَ الْبَرَّةِ» والبرة دويبة .

يقول : أما خزيمة عمود النسب فمن أسد ابنه غنم بن دودان بن أسد ؛ أهل رشده لأجل هجرتهم كلهم إلى المدينة ، وأيضاً منهم بنو جحش الكرام حلفاءُ بني عبد شمس ، وكان عتبة بن ربيعة بعد هجرتهم يمر بدورهم تخفق فيها الرياح فيتنفس الصعداءَ وينشد :

وكل دار وإن طالت سلامتها … يوما سيدركها النكباءُ والحوب

---

(١) سورة الكهف : ١٠

وَمِـنْهُـمُ ابْـنُ مِحْصَنٍ عُكَّـاشَـهْ
بُزَاخَـةُ آخِـرُ يَوْمٍ عَاشَـهْ
أَهْـلَكَـهُ طُلَيْـحَـةُ الْعَـادِلُ
أَلْـفـاً وبَـعْـدَ رِدَّةٍ الْقَـاتِـلُ
أَسْـلَمَ مُخْلِصـاً وَقَـادَ أَسَـدَا
بِالْقَـادِسِـيَّـةِ وَأَثْـخَـنَ الْعِـدَا

أي ومن بني غُنم بن دُودان عكاشة ـ بضم العين وتشديد الكاف ـ ابن محصن كمنبر ـ ابن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ؛ كان في سرية ابن عمه عبد الله بن جحش التي هي أول وقعة لنا في الشرك ثم شهد بدراً فما بعدها ، وهو الذي فيه مثل الحديث : «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» وذلك أن النبي ﷺ قال : «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ» . فقال عكاشة يارسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . فقال ﷺ : «أَنْتَ مِنْهُمْ» فقال رجل من الأنصار : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال ﷺ : «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» عدل ﷺ عن : لست منهم تأدباً وتلطفاً بأصحابه . قال السهيلي : عكاشة سأل ساعة الإجابة ، والرجل سأل وقد فاتت . وقال أيضاً : وفي الحديث روايتان إحداهما : فقام رجل من الصحابة ؛ والثانية فقام واحد منافق معلوم النفاق . . . انتهى .

وكـان عكاشة جميلاً شجاعاً انكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً ، فعاد سيفاً في يده واستمر يقاتل به الى أن بيع في الدولة العباسية من بقايا الترك ، وكذلك دفع لعبد الله بن جحش يوم أحد عذق نخل فعاد سيفاً

وكان بعد ذلك بيد ابنه محمد بن عبد الله المجدع ، ولم أقف على ما آل إليه .

أول من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان

وابن أخي عكاشة سنان بن أبي سنان شهد بدراً وهو أول من بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان ، وقيل أبوه أبو سنان والصحيح الأول . وبُزَاخَةُ : كثمامة موضع به وقعه خالد بن الوليد على أهل الردة ، الذين اتبعوا طليحة بن خويلد حين تنبأ منهم بعض بني أسد وفزارة قائدهم عيينة بن حصن ، فلما استشعر الغلب جعل يسب طليحة ، وقال الحطيئة شعراً يمدح به الذين آمنوا بطليحة ويهجو به غيرهم منه قوله :

فدى لبني نصر طريفي وتالدى ... عشية ذادوا بالرماح أبا بكر
فباست بني عبس واستاه طيءٍ ... وباست بني دُودان حاشا بني نصر
أبَوْا غير ضرب يجثم الهام وقعه ... وطعن كأفواه المزففة الحمر

ويروى :

أطعنا رسول الله ماكان بيننا ... فواعجبا ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكراً إذا قام بعده ... فتلكم وأيم الله قاصمة الظهر

فقال طليحة : أما الدين فلا دين ، وأما أنتم فقاتلوا عن أحساب قومكم ـ ويروى هذا عن مسيلمة ـ ولما انهزم جيش طليحة ركب فرسه وفر إلى الشام ، فلحقه عكاشة آخر النهار ودعاه إلى البراز فقتله ، ثم لحقه ثابت بن أقرم البلوي حليف الأنصار فقتله أيضاً وفي ذلك يقول :

عشية غادرت ابن أقرم ثابتاً ... وعكاشة الغنمي عند مجالي
أقمت لهم صدر الحمالة إنها ... معودة قيل الكماة نزال

فيوماً تراها في الجلال مصونة ويوماً تراها غير ذات جلال
فإن تك أذواداً أصبن ونسوة فلن تذهبوا فَرغاً بقتل حبال

وفرغاً : هدراً . وحبال : قتل يومئذ ؛ وهو حبال بن مسلمة بن خويلد ابن أخي طليحة ، ومسلمة أعان أخاه طليحة على قتل عكاشة ، فلحق - اعني طليحة - بالشام ثم أسلم وتاب وقدم المدينة مخلص الإيمان ، وشهد القادسية وأبلى فيها بلاءً حسناً ، وقاد إليها أسداً واستشهدت بها منهم ألف ، ثم استشهد بنهاوند .

يقول : من غنم بن دُودان عكاشة بن محصن ، وآخر أيامه من الدنيا يوم بُزَاخة قتله [ذلك اليوم] طليحة الذي يوزن بألف فارس ، ثم إن طليحة بعد ردته وتنبئه أسلم - مخلص الإسلام - وقاد قبيلته بني أسد إلى القادسية ، وأثخن فيها العدا ، أي أكثر قتلهم - وال في القاتل للعهد أي وهذا القاتل لعكاشة - وهذا القاتل مبتدأ خبره جملة أسلم . ومخلصاً حال .

مِمَّنْ بِأَلفٍ يُوزنُ المِقْدَادُ
خَارِجَةُ عُبَادَةُ الأَسَادُ
كَذَا الزُّبَيْرُ وَعَلِيٌّ أَجْدَرُ
وَخَالِدٌ بِالْعَدِّ مِمَّنْ ذُكِرُوا

ذكر طليحة بن خويلد في ذكر عكاشة ؛ وهما من دودان بن أسد لكن عكاشة من بني غنم بن دودان ، وطليحة من بني قعين - كزبير - وقعين من بني ثعلبة بن دودان . وكذلك ذكر بني أسد إجمالاً ثم شرع يفصل قبائلهم بنسب الرجال إليها ، وبنو أسد قبائلهم كثيرة وكبراؤهم ثلاثة : بنو دُودان

وبنو عمرو وبنو كاهل ؛ الذين قتلوا والد امرىء القيس فقال فيهم :

قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

وأكثر قبائلهم تتفرع من بني دودان . ولما ذكر الناظم طليحة وذكر أنه يعدل بألف - أي ألف فارس - استطرد ذكر من يوزن بألف فارس كذلك وهم أربعة غير طليحة : الزبير بن العوام وخارجة بن حذافة بن غانم العدوي الذي قال قاتله : أردت عمراً وأراد الله خارجة ، وسيأتي إن شاء الله ذكره في نسبه ، ويروى أن أبا عبيدة بعث إلى عمر يستنصره ، فبعث إليه الزبير وخارجة وقال له أمددتك بألفي فارس ، والثالث المقداد بن عمرو والرابع عبادة بن الصامت الأنصاري .

يقول : ممن يعدل بألف غير طليحة المقداد بن عمرو البهراني ؛ حليف بني زهرة صاحب رسول الله ﷺ وخاله بالحلف ، وصهره على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب . وخارجة بن حذافة وعبادة بن الصامت وكذلك الزبير بن العوام . الآساد : المشبهون بالآساد في الشجاعة ، بل هم أشجع من الآساد ، إذ لايعدل بألف فارس ، لكن غاية الشجاعة عند العرب الأسد . ثم قال في نفسه غير مسند لأحد : وعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد أجدر ، أي أحق بالعد فيمن يوزن بألف من هؤلاءِ المذكورين . قلت : لكن هؤلاءِ خصوا بهذه الصفة وهي عدالة الألف دون غيرهم من الشجعان ، ولا أراهم أشجع من حمزه بن عبد المطلب وأبي دجانة والبراءِ بن مالك وأمثالهم .

مِنْ أَسَدٍ أيضاً دُبَيْرٌ فَقْعَسُ

عَرَارُ وَالْكُمَيْتُ وَالْمُنْبَجِسُ

بِالـشِّـعْـرِ إذْ بِأُخْـتِـهِ رَمَـاهُ
أحَـدُهُـمْ وَإفْـكُـهُ شَجَـاهُ
ذَاكَ عَبَـيـدٌ قَدْ أصَـابَ مَيَّـا
يَالـيْـتَـهُ ألْحَـقَـهَـا صَبِيَّـا

يقـول : إن من أسـد أيضـاً ثم من ثعلبة ، قبيلتا دبير وفقعس وعرار بن عمرو بن شاس ، والكميت بن زيد الشاعر.والمنبجس بالشعر ؛ أي المنفجر به بعد أن لم يكن شاعراً ، لأجل أن رماه أحد بني أسد بإفك وشجاه ، أي أحزنه . أما دبير ـ كزبير ـ فهو من بني قعين وكذلك فقعس ، ومنهم عبد الله ابن الزبير ـ كأمير ـ الشاعر قدم على عبد الله بن الزبير بمكة في خلافته فلم يعطه شيئاً فاستحمله فقال : مابال مطيتك ؟ . فقال : دبرت ونقبت .

قال : أنعلها وداوها . فقال : لعن الله ناقة حملتني إليك . فقال : أنَّ وراكبها . فخرج عنه يقول فيه :

أرى الحاجات عند أبي خبيب ذكـرن ولا أميـة في البـلاد

ومن فقعس أيضاً ابن كوز ، الذي يقال فيه وقد خطب امرأة :

تمنى ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستـأد منّـا أن شتونا لياليا
فلا تطلبَـنْهـا يابـن كوز فإنـه غذا الناسُ مذقام النبي الجواريا

أي ترك الناس ، منذ بعث النبي ﷺ الوأد ، وتزويجها منك ياابن كوز وأدها .

ومنهم : عبد الله بن الرئيس الشاعر وهو القائل :

تجهزْ فإما أن تزور ابن ضابىءٍ عمـيراً وإمـا تزور المـهـلبـا
هما خطتـا خسف نجاؤك منهـما ركـوبـك حوليـاً من الثلج أشهبا

فهؤلاءِ من فقعس .

عرار بن عمرو بن شاس
وخبره مع عبد الملك

وأما عرارٌ فهو ابن عمرو بن شاس الصحابي ، من بني سعد بن ثعلبة بن دُودان . وكان عمرو شاعراً وهو القائل :

إذا نحن أدلجنـا وأنت إمـامنـا كفى لمطايـانـا برؤيـاك هاديـا

شهد الحديبية ، وهو القائل أيضاً في ابنه عرار يخاطب امرأته وكان عرار أسود :

أردت عراراً بالهـوان ومـن يرد عراراً لعمـري بالهوان لقـد ظلمْ
فإن كنت مني أو تريـدين صحبتي فكـوني له كالسمن ربت له الأدم
وإن كنت تهوين العـراق ظعينـة فكوني له كالذئب ضاعت له الغنم
وإن عراراً إن يكـن غير واضـح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

ثم اتفق أن أميراً من أمراءِ عبد الملك بعث عراراً إلى عبد الملك ، فلما دخل عليه استخف به لسواده ، فلما كلمه أعجبه كلامه وأدبه ، فأنشد عبد الملك : أردت عراراً بالهوان ومن يرد... البيت فقال عرار : أتعرف عراراً ياأمير المؤمنين ؟ . قال : لا . قال : أنا عرار . فتعجب عبد الملك وأحسن جائزته .
وأما الكميت فهو ابن زيد بن الأخنس من بني سعد بن ثعلبة بن دودان أيضاً مثل عرار ، وكان شاعراً مجيداً شيعياً ، فأول ماقال من الشعر قصيدة مدح بها

آل النبي ﷺ . وخلا بالفرزدق فقال له : إني قلت قصيدة وأردت أن أعرضها عليك ، إن كانت شعراً فأخبرني وإلا فاكتم عني . فأنشده إياها فقال : أراك أشعر الناس ، اذهب فقل ماشئت من الشعر . والقصيدة منها :

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهم عاراً علي وتحسب
ومالي إلا آل أحمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

وأما المنبجس ؛ الذي يشير إليه وإلى قصيدته ، فهو عبيد ـ كأمير ـ ابن الأبرص ؛ شاعر بني أسد في الجاهلية ، ولم يدرك الإسلام بل مات قبيل البعث ؛ وكان ترب عبد المطلب وعاش مائة وعشرين سنة ، وقتله النعمان بن المنذر ، وكان للنعمان يوم نعيم ؛ من أتاه فيه أغناه ، ويوم بؤس ؛ من أتاه فيه قتله . فوافى عبيد يوم البؤس ؛ والقصة أنه أورد هو وأخته غنمًا لهما ، فزاحمه على الماءِ رجل من بني سعد فغلبه على الماءِ ، فأتى هو وأخته إلى ظل شجرة ينتظران فرجة الماءِ ، فقال الرجل يهجوه ويبهته ويسخر به :

ذاك عبيد قد أصاب ميّا ياليته ألحقها صبيا

فابتهل عبيد إلى الله وقال : اللهم إن فلاناً ظلمني ورماني بالبهتان ، اللهم إن كنت تعلم هذا فأدلني عليه . فغلبته عينه فنام ، فرأى شخصاً رمى فيه بكبة شعر فانتبه يرتجز ، فكان أشعر بني أسد . وكان مَن ذُكر من بني أسد من بني دُودان ، إمَّا من غُنم وإما من ثعلبة .

ومن غنم يزيد بن رقيس بن رئاب ؛ شهد بدراً وقتل يوم الغابة . وهو ابن عم بني محصن . ومنهم محرز بن نضلة ، ويقال له الأخرم ، ويقال له أيضاً نمير ؛ شهد بدراً وقتل يوم الغابة ؛ ركب على فرس لمحمد بن مسلمة الأنصاري فلحق بالقوم وحده فقال لهم : قفوا يابني اللكعاءِ حتى يلحقكم

النبي ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار . فرموه فقتلوه فجال الفرس إلى ربه .

ومن غنم أيضاً أربد بن عميرة ؛ ذكر أنه هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ، وكلا القولين ليس بصحيح والله تعالى اعلم .

ومنهم عقبة وشجاع ابنا وهب بن ربيعة شهدا بدراً ؛ أما شجاع أرسله النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر وجبلة بن الأيهم ، وآخى النبي بينه وبين خولي بن اوس ، وقتل يوم اليمامة . وهما من حلفاءِ بني عبد شمس من بني غنم .

وأما ثعلبة ؛ فمنهم الصحابي ظبيان بن ربيعة ابن عم طليحة قال له : إنما أنت كاهن تصيب وتخطىء والنبي ﷺ يصيب ولا يخطىء . ومنهم القبيلتان فقعس ودبير .

كَذَا ابْنُ الأَزْوَرِ ضِرَارُ الْهَالِكْ
مُقَاتِلًا بِصَدْرِهِ وَالْهَالِكْ

ابن الأزور مبتدأ وخبره الجار والمجرور قبله . وضرار بدل من ابن . والهالك الأول نعت لضرار ، ومقاتلاً حال تعلق به . بصدره والهالك الثاني عطف على البدل والمبدل منه . يقول : كذا من أسد ضرار بن الأزور الذي مات وهو يقاتل بصدره .

ومنهم الرجل المسمى الهالك بن عمير بن أسد ، وهو الحداد لأنه أول من عمل بالحديد من العرب ، ومن ثم يقال لبني أسد القيون . وأما ضرار

فهو من ثعلبة بن دُودان ؛ وهو من فرسان الصحابة وشجعانهم وشعرائهم ؛ وفد على النبي ﷺ وقتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد كما تقدم . وقوله : الهالك مقاتلاً . . ألخ . يشير إلى أحد القولين في موته ؛ وهو أنه يوم اليمامة قطعت ساقه ، فجعل يحبو ويقاتل بيديه وصدره وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت . والقول الثاني أنه استشهد بالشام في خلافة عمر ، بعد أن شرب هو وضرار بن الخطاب وأبو جندل بن سهيل بن عمرو الخمر متأوّلين بقوله : ﴿ لَيْسَ عَلَىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا . . ﴾[1] فاهتم أبو عبيدة بحدهم فقالوا : إنك لاق بنا العدو غداً ، فإن قتلنا كُفيتنا وإلا فشأنك بنا . فقتل ابن الأزور وأبو جندل ، وبعث عمر إلى أبي عبيدة أن يجلد ضرار بن الخطاب ، وكتب إلى ضرار : إن الذي أوجب عليك الذنب ، هو الذي خطر عليك التوبة .

وَأَيْمَنُ اسْتَعَانَهُ مَرْوَانُ وَفَتْكُهُ قَيَّدَهُ الإِيمَانُ

قوله : وأيمن يحتمل أنه عطف على المذكورين قبله ؛ أي كذا ابن الأزور والهالك وأيمن ، ويحتمل أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره منهم ؛ أي ومن أسد أيمن . واستعانه : أي طلب منه المعونة ، يشير إلى أن أيمن بن خريم بن فاتك طلبه مروان أن يعينه يوم مرج راهط على قتال ابن الزبير ، فقال : الإيمان قيد الفتك . ثم قال له : إن أبي وعمي شهدا بدراً ، وعهدا إلي أن لا أقاتل مسلماً ، فإن جئتني ببراءة من النار أعنتك . فقال : لاحاجة لي في معونتك . ويعني بعمه سبرة بن فاتك . فقال أيمن في ذلك :

---

١ ـ سورة المائدة : ٩٣ .

ولست بقـاتـل رجـلاً يصـلي ... على سلطان آخـر من قريش
له سلطانـه وعـليَ إثـمـي ... معـاذ الله من سفـهـي وطـيشي
أأقـتـل مسـلمًا في غير جرم ... فلسـت بنـافـعي ماعشت عيشي

أسلم أيمن يوم الفتح ، وهو غلام يافع ؛ روي أن النبي ﷺ قال فيه : **«نِعْمَ الرَّجُلُ أَيْمَنُ لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ»** فقطع جمته إلى أذنيه وشمر إزاره إلى نصف ساقه . ودخل أيمن على عبد العزيز بن مروان ، فوجد عنده نصيباً وقد جاءَ يمدحه يريد أن يشتر يه ، فقال له عبد العزيز : ماقيمة هذا العبد عندك ؟ . قال : أراه يساوي ثلاثة آلاف . فقال عبد العزيز : واعلم أنه شاعر . فقال : أيمن فقيمته إذاً ثلاثة دراهم .

وأما أيمن والهالك فمن عمرو بن سعد ، ومنهم أيضاً الأقيشر بن الأسود ؛ سمي الأقيشر لأنه كان أحمر اللون ، وكان من شعراءِ أول الإسلام ومن المعمرين ، كان في زمن بني العباس وهو القائل :

في فتيـة جعـلوا الصليب إليهم ... حاشـاي إني لامْـرؤ معـذور

ومن أسـد ـ ولاأدري من أي قبـائلهم ـ وابصـة بن معبد بن مالك الصحابي ، قال : وجد النبي ﷺ رجلاً يصلي خلف الصف ، فأمره أن يعيد صلاته . ومنهم قبيصة بن هرمة ، قال له النبي ﷺ : **«كَمْ مَاتَ لَكَ مِنَ الْوَلَدِ»** قال : ثلاثة بنين . قال : **«لَقَدِ احْتَظَرْتَ مِنَ النَّارِ بِحِظَارٍ شَدِيدٍ»** ومنهم المحـدث مُسَـدَّدُ ـ كمعظم ـ ابن مُسَرْهَدٍ بن مُجَرْعَدٍ بن مُسَرْبَلٍ بن مُغَرْبَلٍ بن مُطَرْبَلٍ بن غَرَنْدَلٍ وتزعم الزوايا أن اسمه وأسماءَ جدوده رقية للعقرب .

عبد بني الحسحاس

ومن موالي بني أسد نصيب الشاعر ، وكان في الغاية من السواد والظرافة وجودة الشعر ، وكان عبداً لرجل من بني الحسحاس وهم من بني أسد ، ولم أقف لهم في كتاب الأنساب على ذكر ، ولاذكرهم النابغة في قصيدته التي ذكر فيها سائر قبائل بني أسد ، لكن ذكرهم نصيب بقوله :

أشعار عبد بني الحسحاس فمن له ... عند الفخار مقام الأصل والورق
إن كنت عبداً فنفسي حرة كرماً ... أو أسودَ اللون إني أبيض الخلق

وكان سيده من بني الحسحاس أرعاه إبلاً فأضلها ، وخرج في طلبها فلما عزته عمد إلى عبد العزيز بن مروان يمدحه ، فلما دخل عليه أنشده شعراً فيه ، ولم يثق عبد العزيز بكون الشعر له لأنه لايعرفه . فقال له : لعلك انتحلت هذا الشعر ؟ . فإن كنت صادقاً فارتجل الليلة شعراً لا ينبغي أن يكون لغيرك . ثم غدا عليه بقصيدة يذكر فيها السحاب ويغزل فيها ، وخلص على مدح عبد العزيز وأعطاه قيمة الإبل وذهب بها إلى سيده وكاتبه ، ورجع إلى عبد العزيز وأعطاه الكتابة ودفعها إلى سيده ، ثم كان شاعر عبد العزيز وبني مروان . ومن شعره قوله :

ياأخت ناجية السلام عليكم ... قبل الرحيل وقبل لوم العذل
لو كنت أعلم أن آخر عهدكم ... يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

قال له ابن عتيق : ماذا تفعل إلا أن تقول غاق فتطير ؟ . يشبهه بالغراب لسواده . وكانت امرأة في طريق الحجاز بين مكة والمدينة يقال لها

زينب ، كل من مر عليها تكرمه وتطعمه ويعطيها ثلاثة دراهم ، فقال عندها نصيب ، فلما أراد الارتحال عنها خيرها بين دنانير وأبيات فاختارت الأبيات فقال :

بزينب ألمم قبل أن يظعن الركب — وقل إن تملّينا فما ملّك القلب
خليلي من كعب ألما هُديتما — بزينب لاتفقدكما أبداً كعب
من اليوم زوراها فإن ركابنا — غداة غد عنها وعن أهلها نكب

وفد على عبد الله بن جعفر فقال له عبد الله : ماحاجتك ؟ . قال : هذه رواحلي تميرني . فقال أنخ أنخ . فأوقرها له ميراً وأجزل جائزته غير ذلك ، فقيل لعبد الله : تعطي هذا كله لهذا الأسود ؟ . فقال : إن كان أسود فشعره أبيض ، وإن كان لايستحقه فأنا استحق بذله . وكان نصيب يواصل امرأة فزارها فوجد عندها رجلاً آخر فقال :

أراك طموح العين ميالة الهوى — لهذا وهذا منك ودّ ملاطف
فإن تحملي ردفين لم أك منهما — فحبّيَ فرد لست فيه أرادف

وكان نصيب متكبراً ؛ يروى أنه لما شب ابنه وأراد التزويج خطب إلى مواليه من بني أسد فأجابوه ، فاستشار أباه فقال : اجمع الناس . فجمعهم فأتاهم نصيب فقال لهم : لم اجتمعتم هنا ؟ . قالوا : ابنك هذا يريد التزويج ويريد أن تزوجه بنت فلان . قال : أو أراد ذلك ؟ قالوا : نعم كما ترى . فقام إليه وضربه . ا . هـ .

نسب كنانة

ولما فرغ من الكلام على الفرع ـ وهو بنو أسد ـ انحط على الأصل الذي هو عمود النسب ، فقال رحمه الله :

وَمِنْ كِنَانَةَ فُقَيْمُ النَّاسِئَةْ　　　عَبْدُ مِنَاةَ وَهْيَ أَعْظَمُ فِئَةْ

فقيم مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله ، والناسئة صفة لفقيم أنثه باعتبار القبيلة . وعبد مناة عطف على فقيم بحذف العاطف . وهي أي قبيلة عبد مناة هي أعظم قبيلة من كنانة ؛ إذ منه جل قبائل كنانة كما يأتي ، وذكر لكنانة من القبائل غير النضر عمود النسب قبيلتين فقيم ـ كزبير ـ الناسئة : أي المؤخرة للشهور ، وعبد مناة بن كنانة ، أما فقيم فإن بينه وبين كنانة رجالاً ، فهو فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ، والنسب إلى فقيم هذا فقمي ـ كعربي ـ والنسبة إلى فقيم دارم فُقَيْمي ـ قاله في القاموس ـ وأول من نسأ منهم الشهور رجل يقال له القلمس ، واسمه حذيفة ابن عبد بن فقيم ، وهو جد عبد الرحمن بن الحكيم لأمهاته ولذلك يقول مفتخراً به :

نهاني أبو العاص الأمين وهاشم　　　وعثمان والناسي الشهور القلمس

ثم توارثت ذلك بنوه واحداً بعد واحد حتى قام الإسلام على آخرهم ، وهو رجل يقال له أبو ثمامة ، واسمه جنادة بن عوف . ذكر السهيلي أنه أسلم و حج في زمن عمر رضي الله عنه ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها تأتيه

فيقول : اللهم إني حرمت الأشهر الأربعة الحرم ، ثم حللت أحد الصفرين ونسأت الآخر للعام المقبل ؛ يعني بالصفرين المحرم وصفر ، فتحل العرب ماأحل من ذلك عليها وتحرم ماحرم . في ذلك يقول أحدهم :

ونحن الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراما

وذمهم الله تعالى بقوله : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾[1] . ويقال أن أبا ثمامة هذا نسأ على الناس أربعين سنة ، فلما ولي قصي أمر مكة وساد بني عدنان ، أقر بني فقيم على النساءة وأقر بني مرة بن عوف على البَسل وبني صفوان وبني عدوان على الإفاضة ، إذ يرى ذلك ديناً ، فهدم الله ذلك كله بالإسلام .

وقوله : عبد مناة وهْيَ : أنث الضمير العائد على عبد مناة باعتبار القبيلة ، وذكره في أول البيت الآتي باعتبار الرجل فقال :

مِنْ بَكْرِهِ لَيْثٌ وَحَيٌّ دائِل وَضَمْرَةٌ مِنْ ضَمْرَةٍ النُّعَلي

الْحَكَمُ بْنُ عَمْرو الْمُخْتَارُ مَوْلاَهُ حِينَ الأُمَرَاءُ جَارُوا

أي بكر بن عبد مناة ، أضافة إليه لأنه ابنه أصالة . قبائل ليث : وهي أيضاً أعظم قبائل عبد مناة . وحي : أي قبيلة دئل ـ كإبل ـ وبضم الدال وكسر الهمزة ، ولايعرف هذا البناءُ لغيره ، إلا قراءَة أبي السمال : **وَالسَّماءِ ذَاتِ الْحُبِكِ** . وهي أيضاً قبيلة ضمرة ، بل قبائلها التي منهم بنو نعيلة

---

١ ـ سورة التوبة : ٣٧ .

ـ كجهينـة ـ ابن مليل بن ضمرة ، الذين ينسب إليهم الحكم بن عمرو الذي اختار مولاه حين جار الأمراءُ ، أي اختار الموت والانقلاب إلى ربه ، وكان رجلًا صالحاً صحابياً ، وأخوه رافع بن عمرو صحابي أيضاً ، وكانت الجنوب بنت الحكم تحت قثم بن العباس .

قصة الحكم بن عمرو مع زياد
حين أمره أن يخالف أمر الله في الغنيمة

يشـير رحمه الله إلى قصة الحكم مع زياد : وهي أنه بعثه إلى جيش فأصاب مغنمًا ، فكتب إليه زياد : إن أمير المؤمنين كتب إلي أن أصطفي له كل بيضاءَ وصفراءَ ، ويقسم ماوراءَ ذلك . يعني الذهب واالفضة ، فكتب إليه الحكم : إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ، والله لو أن السموات والأرض كانتا على عبد ، ثم اتقى الله لجعل له مخرجاً والسلام . ثمَّ قال للنـاس : اغـدوا إلى أمـوالكـم . فغـدوا ، فقسـم الغنـائم بينهم وقال : اللهم إن كان لي خير عندك فاقبضني إليك . فمات رحمه الله ودفن إلى جنب بريدة بن اليحصب الأسلمي ، وقيل إنه مات بالبصرة . والله أعلم . يعني بالأمراءِ زياد بن أبيه .

عمرو بن أمية الضمري
رضي الله عنه

ومن ضمرة من غير نعيلة عمرو بن أمية بن خويلد الضمري ؛ أسلم بعد أحد وبعثه النبي ﷺ إلى النجاشي فأسلم ، وكان من فتاك العرب ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لرجل بعث معهما هدية لأبي سُفيان بمكة : «أَخُوكَ

الْبَكْـرِيُّ لاَتَأْمَنْهُ» . وهو صاحب حديث : «**بَلِ اعْقِلْهَا وَتَوكَّلْ**» وكان قال للنبي ﷺ : إذاً أرسل ناقتي وأتو كل على الله . وأول مشاهده بئر معونة ، ولم يسلم من أهـل بئر معونة يومئذ غيره ، وقتل في رجوعه رجلين من بني عامر ، فوداهما النبي ﷺ لأنهما كانا على عهده ولم يعلم عمرو بذلك ، وهما اللذان سأل النبي ﷺ بني النضـير منـابهم من ديتهـما ، فكان ذلك سبباً لغدرهم وطردهم . ومات عمرو بن أمية في خلافة معاوية ولأبيه أمية صحبة ورواية .

ذكر غفار بن مُليل بن ضمرة

مِنْ ضُـمْـرَةٍ أَيْضاً غِفَارُ اسْتَغْفَرَا
لَهَا الـنَّـبِـيُّ وَأَبُـو ذَرٍّ يُرَىٰ
لَهُمْ وَجَهْجَـا وَجُعَيْـلُ الْمُنتَخَبْ
أَهْبَانُ ذُو السَّيْفِ بَرَاهُ مِن خَشَبْ

يقول : من ضمرة بن بكر بن عبد مناة ، بنو غفار ـ ككتاب ـ ابن مليل ـ كزبير ـ ابن ضمرة ، استغفر لهم االنبي ﷺ بقوله : «**غِفَارُ غَفَرَ الله لَهَا ، أَسْلَمُ سَالَمَهَا الله**» . وقوله : يرى ، لم يرد به تمريضاً إذ لاخلاف في نسب أبي ذر إلى غفار ، لكن ألجأته القافية إليه ، وأبو ذر هو جندب بن جنادة بن قيس الغفاري ، أمه رملة بنت الرفيعة الغفارية .

كان يقـول : أنـا رابـع الإسـلام . يعني أسلم بعـد ثلاثـة وقيل أربعـة ، وعـلى كل كان قديم الإسـلام . وأسلم بإسـلامـه أخـوه أنيس

وأمــه رملة بنت الــرفيعـة ، لم يشهـد بدراً ولا أحداً ولا الخنـدق ، ثم قدم على النبي ﷺ [ولازمــه] إلى وفــاتــه ﷺ ، وكـان من أوعية العلم المــبرزين في الــزهــد والــورع وقــول الحـق ، قال فيه الـنـبي ﷺ : «**هُــوَ فِي أُمَّــتِي شَبِــيـهُ بِعِــيـسَــىٰ بْنِ مَرْيَــمَ فِي زُهْــدِهِ**» . وقــال فيه : « **مَاأَظَــلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلَا أَقَــلَّتِ الْــغَــبْرَاءُ أَصْــدَقَ لَهْجَــةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ** » ، وقــال فيه : «**رَحِــمَ اللهُ أَبَــا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ**» ، وذلك حين لحق به في غزوة تبوك ، بعد أن تخلف عنه ففقده فسأل عنه فلم يجده ، ثم رأىٰ الناس راكباً يجول في السراب فأخبروا به النبي ﷺ فقال : «**كُنْ أَبَا ذَرٍّ**» . فإذا هو أبو ذر فقال : « **رَحِمَ اللهُ أَبَاذَرٍّ** » . الحديث . أقام بالمدينة يزهد الناس في الدنيا بعد رسول الله ﷺ . قال عمر يوماً : من لها بأزمتها ؟ يعني الخلافة ، قال أبو ذر : من أرغم الله أنفه وأسلت خده . ولما ولي عثمان أجلاه لذلك عن المدينة إلى الربذة لئلا يفسد على الناس دنياهم ، فلم يزل بالربذة وليس معه إلا امرأته وعبده إلى أن مات رضي الله عنه ، فلما احتضر قال لعبده : إذا مت فاغسلني وكفني ثم ألقني على الطريق ، فأول من رأيت قل له : أعني على دفن أبي ذر صاحب رسول الله ﷺ.ففعل العبد ذلك ، فلم يلبث أن رأى ركباً فناداهم فإذا فيهم ابن مسعود ، فبكى حتى كاد يموت لتذكره قول النبي ﷺ : «**يَمُوتُ وَحْدَهُ**» . بل قيل فيه : إنه مات آخر ذلك اليوم ، وليس بشيءٍ .

قضية جهجا أو جهجاه في المريسيع

وأمَّا جهجا ـ بجيمين بينهما هاءٌ ساكنة ، وقد تزاد هاءٌ ثانية آخره كما ذكر الناظم رحمه الله في الغزوات . والصحيح بدونها كما هو هنا ـ فهو ابن

مسعود الغفاري وشهد بيعة الحديبية والمريسع ؛ وكان يومئذ أجيراً لعمر يقود به فرسه ؛ فورد في واردة الجيش فوقع بينه وبين سنان بن وبرة شيءٌ ؛ وهو أن سناناً وقف على رأس البئر يمتح ، والبئر قليلة الماءِ ، فأتى جهجا من خلفه فكسعه بيده وهو يمازحه ، فغضب سنان فافتتن الجيش فصرخ سنان ـ وهو جهني حليف للأنصار بالأنصار : ياللأنصار . وصرخ جهجا بالمهاجرين ، وكره النبي ﷺ هذه الدعوة فقال : « **دَعُوهَا فإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ** » . **وقال** : «**مَنْ تعَزَّى عَلَيْكُمْ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلاَ تَكْنُوا**» . أي من قال : يالفلان . لأن ذلك استصراخ أهل الجاهلية ، وإنما دعوة المسلمين في الإسلام : ياللمسلمين . لأنهم إخوة كلهم . وقوله : فأعضّوه بهَن أبيه أي قولوا له : عُضّ أيرَ أبيك ولاتكنوا بالهن عن الأير بل صرحوا بذكره ؛ وذلك كان سب العرب كما قال أبو بكر لعروة بن مسعود : امصص بظر اللات . لكن النبي ﷺ منزه اللسان عن فحش الكلام ، فكنى بالهن عن الأير وأمر بالتصريح ، واستمرت هذه الدعوة ممنوعة ، وسمع أبو موسى الأشعري ، وهو والي عمر على البصرة ، من يقول : يالعامر . فأجابه النابغة الجعدي وبيده عصية ، فجلد أبو موسى النابغة خمسين سوطاً . قلت : ولعل الفقهاءَ أخذوا من هذا تعزير الإمام بما زاد على الحد وأتى على النفس . ويستثنى من هذه الدعوة حلف الفضول لقول النبي ﷺ : «**لَوْدُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لأَجَبْتُ**» . وكان الصحابة أهله إذا دعى بها أجابوا مصلتين سيوفهم . ولما استصرخ الصارخان قال عبد الله بن أُبَيّ ماقال ، مما جاءَ في سورة المنافقين ، ومن قوله : سمِّن كلبك يأكلك . وغير ذلك . فسعى به زيد بن أرقم رضي الله عنه إلى النبي ﷺ ، فحلف ابن أُبَيّ ماقاله فصدقه بعض الصحابة ، فحزن زيد لذلك إلى أن أنزل الله السورة .

وروى جهجا عن النبي ﷺ : «الْكَافِرُ يَأْكُلُ بِسَبْعَةِ أَمْعَاءٍ وَالْمُؤْمِنُ فِي مِعًى وَاحِدٍ» وهو الوارد في الحديث لأنه شرب حلاب سبع شياه ، فلما أسلم لم يستتم حلاب شاة واحدة . وقيل إنما ورد الحديث في ثمامة بن أثال ، كما قدمنا في الكلام عليه . وجهجا هو الذي وجد في حصار عثمان عصى النبي ﷺ بيده ، وكانت عنده يخطب عليها فأخذها منه وكسرها على ركبته ، فجرحت ودخلت شظية منها في ركبته ، فتآكلت منها الركبة ومات منها قبل العام ، وربطت العصا وبقيت بعده بحالها .

وأما جُعَيْلٌ بصيغة التصغير فهو ابن سراقة ، والمنتخب المختار، لما أعطى النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم غنائم حنين ، فقيل له : أتعطي هؤلاءِ وتمنع جعيلاً ؟ . قال : «نَعَمْ ، جُعَيْلٌ خَيْرٌ مِنْ طِلَاعِ الأرضِ مِنْ مِثْلِ هٰؤُلَاءِ ، لٰكِنْ أُعْطِي هٰؤُلَاءِ أَتَأَلَّفُهُمْ وَأَكِلُ جُعَيْلاً إِلَىٰ مَا جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنَ الإِيمَانِ» وطِلاع الأرض ـ ككتاب ـ ملؤها . وأما أهبان ؛ فهو ابن صيفي . وذو السيف : صاحب السيف الذي براه أي نحته من الخشب بأمر النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إِذَا كَانَتِ الْفِتْنَةُ فَاتَّخِذْ سَيْفاً مِنْ خَشَبٍ» . فاتخذه وقال له علي : ألا تعينني ؟ . فأخرج له السيف من الخشب وقال له : هذا سيفي إن شئت أعنتك به . فقال : لا حاجة لي بمعونتك . ويروى : «فَاقْعُدْ فِي بَيْتِكَ وَاتَّخِذْ سَيْفاً مِنْ خَشَبٍ» .

وَهْوَ الَّذِي ثَالِثَ الْاكْفَانِ خَلَعْ

أَنْ كَانَ فِي حَيَاتِهِ مِنْهُ امْتَنَعْ

يعني إنه لما حضرته الوفاة قال لأهله : كفنوني في ثوبين لا غير . قالت

ابنته : فكفناه في ثلاثة فأصبح ثالثها لنا على المشجب معلقاً .

أبو رهم نحر يوم أحد بسهم
فبصق عليه النبي فبرىء

ومن غفار أيضاً أبو رهم ؛ كلثوم بن حصن بن خلف ؛ أسلم قبل قدوم النبي ﷺ المدينة ، ولم يشهد بدراً وهو الذي نحر يوم أحد بسهم فبصق عليه النبي ﷺ فبرىء من حينه وسمي المنحور ، وشهد بيعة الرضوان واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في عمرة القضاءِ وفي الفتح وحنين والطائف .

ومن غفار أيضاً خُفاف بن أيماءَ بن رَحَضة بعثه أبوه أيماء بعشرة جزر إلى جيش قريش يرودون بدراً ، وكان أبوه سيد بني ضمرة ، وقال : إن شئتم مددناكم بالرجال والسلاح . وقالوا له : لاحاجة لنا في المدد ، إن كان محمد إنمايقاتل معه الناس فنحن نكفيه ، وإن كان كما يزعم يقاتل معه الله والملائكة فلا تغني عنه الكثرة . ثم أسلم خُفاف وسكن المدينة ، وكان سيد بني غفار وخطيبهم .

ومنهم بصرة بن أبي بصرة ؛ صحابي وابن صحابي كما كان خُفاف وأبوه أيماءُ ، قيل وابنه مخلد بن خفاف .

ومنهم الأقرع الغفاري يروي حديث النهي عن الوضوء بفضل المرأة ، وغيرهم من الصحابة .

مِنْ لَيْثِهِمْ يَعْمَـرُ شَدَّاخُ دِمَـا
خُزاعَـةٍ غَدَاةَ فِيـهِـمْ حَكَـمَا

أَبُــو الــطُّفَيْـلِ عَامِـر بْنُ وَاثِلَهْ

آخِرُ مَن مَّاتَ مِنَ الأَصْحَابِ لَهُ

أي من ليث عبد مناة أو بكر يعمر ـ كيعلم ـ ابن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر ، ويقال ليعمر الشدّاخ لأنه شدخ أي أهدر دماءَ خزاعة ؛ حين تحاكم إليه قصي وخزاعة . وحكم يحتمل البناءَ للمفعول مشدد الكاف ، أي حين اتخذه قصي وخزاعة حكمًا بينهم في أمر الكعبة ، لما تداعوا إلى الصلح بعد القتال والحروب ، وقضى بينهم بتولية قصي الكعبة وأمر مكة والدية في قتلى كنانة وقريش وقضاعة ، وشدخ أي أهدر دماءَ خزاعة تحت قدمه ، فمنها سمي الشداخ ، وهو أبو قبيلة من كنانة ، وأرى امرأ القيس يعنيها بقوله :

كنانية بانت وفي الصدر ودها مجاورة غسان والحي يعمرا

أي وحيها يعمرَ ، وهو إذاً مقو ، ولاغرابة إذ يوجد ذلك في شعر الشعراءِ كثيراً ؛ قال أبو عبيدة : اثنان من الشعراءِ كانا يقويان النابغة وعبيد ابن الأبرص .

ومن يعمر المتوكل بن عبد الله بن نهشل الذي يقول :

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواءَ لذي السقام من الضنا
كيما يصح به وأنت سليم

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

فأراك تلقح بالرشاد قلوبنا

نصحاً وأنت من الرشاد عديم

وإذا عتبت على السفيه ولمته

في مثل ماتأتي فأنت مليم

فابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يقبل ماتقول ويقتدى

بالقول منك وينفع التعليم

ومنهم قباث ـ كغراب ـ ابن أشيم الصحابي ، والصعب بن جثامة ، بيده يوم الفتح لواءُ ليث ، وأخوه محلم تقدم في الكلام على أشجع .

يقول : من ليث بن كنانة يعمر الشداخ وقد نسبناه ، ويعمر ينسب له أبو الطفيل الأخير من الصحابة موتاً ، وأبو الطفيل مبتدأٌ خبره الجار والمجرور الأخير من البيت وهو «له» أي أبو الطفيل ليعمر هذا . واسم أبي الطفيل عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير ، ولد يوم أحد وأبوه واثلة من أهل الصفة ، وكان أبو الطفيل محباً لعلي ، ويقدمه على الشيخين مع محبته لهما ، وله يقول أبو العباس الأعمى مولى بني أسد الشاعر :

لعمرك إنني وأبا الطفيل لمختلفان والله الشهيد

أرى عثمان مهتدياً ويأبى متابعتي وآبى مايريد

وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ . قال الزين العراقى : وآخرهم موتاً بغير مرية أبو الطفيل ؛ مات عام مائة وقيل عام ثمان وتسعين ، فهو إذاً ينقص عن المائة بسنتين وبعض أو ثلاث سنين .

وَلَمْ تُجَاوِزْ مِائَةً بَعْدَ الرَّسُولْ
أَصْحَابُهُ وَهُمْ جَمِيعُهُمْ عُدُولْ
وَمُطْلَقُ الصُّحْبَةِ عِنْدَ الْمُبْتَدِعْ
لَيْسَ بِهِ عَلَى الْعَدَالَةِ قُطِعْ
وَعَنْهُ يَأْبَى الْحُنَفَا وَالنُّورُ
وَحَالُهُمْ وَالْخَبَرُ الْمَأْثُورُ
وَالْقَتْلُ لِلآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ
وَبَذْلُ الْأَنْفُسِ عَلَى الْجِهَاد
وكُلُّ مَاجَاءَ مِنَ الرِّسَالَهْ
يَشْهَدُ لِلكِرَامِ بِالْعَدَالَهْ

ولما ذكر الصحابة بذكر آخرهم موتاً ، استدعاه ذلك وشوقه إلى ذكر وقتهم الذي لايجاوزونه ، وذكر حدهم وحكمهم وبعض مدحهم فقال : ولم تجاوز مائة ، أي مائة سنة بعد رسول الله ﷺ . والرسول لم يأت اسم مفعول بزنة فعول غيره ، ويستوى فيه الواحد والجمع ، قال تعالى ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ

فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] قال رسول الله ﷺ في الشهر الذي توفي فيه : «**مَامِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ وَهِيَ حَيَّةٌ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ هٰذِهِ اللَّيْلَةِ**» أو كما قال ﷺ . وبهذا الحديث نفى استمرار حياة الخضر بعض العلماءِ ، وأُجيب بأنـه تلك الليلة على البحـار . واعتمـد أهل العلم هذا الحديث في إمكان نفي الراوي عن المروي عنه ، وفي نفي من يدعي الصحبة بعد المائة من وفاته ﷺ كابن الهندي يقول : لم يبق بعد مائة سنة من موته ﷺ أحد من الصحابة . وهم ـ أي الصحابة ـ كلهم عدول بمطلق الصحبة الآتي حدها ، خلافاً للمبتدعة الذين أحدثوا في الدين بعد إكماله ماليس منه ؛ وهم فرق كثيرة ، قال ﷺ : « **سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلاَثٍ وَسَبعينَ فِرْقَةً النَّاجِيَةُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ**» ، ومن المبتدعة المعتزلة ؛ وهم أيضاً فرق ، منهم ذو هوى خفيف كالحرورية وغير ذلك كالواصلية ؛ أتباع واصل سموا بأصلهم واصل بن عبد الله ، الذي لاينطق بالراءِ ، قال البوصيري .

أي حب يصـحّ مني وطـرفي   واصــل للكـرا وطـيفـك راءِ

أي كيف يصح هذا الحب ، الذي أدعيه ، مع كثرة نومي على عدم لقائي لطيفك ، حتى صرت كأني واصل للرجل الذي لاينطق بالراءِ .

وجد الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه واصلاً في مسجد البصرة يقول : ياويله . فقال : اعتزل مجلسنا . فسميت طائفته المعتزلة . وقوله : ومطلق الصحبة ، أي مجردها من غير أن يصحبها فعل غيرها ؛ من غزوة مع النبي ﷺ أو رواية عنه ، أو عمل لايقطع به على العدالة عند أهل البدع ، بل لابد من معية شيءٍ مما ذكر ، ولكن يأبى عن قولة المبتدعة الحنفاءِ ـ أي

---

١ ـ سورة الشعراء : ١٦ .

السلف ـ والإجماع . والنور الذي هو القرآن لقول تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾[1] وغيرها مما مدحوا ووعدوا به في القرآن وحالهم ، أي ماهم عليه من الكرم وحب النبي ﷺ والابتدار إلى أوامره واجتناب نواهيه ، والخبر المأثور أي المنقول بالرواية راو عن راو إلى النبي ﷺ يعني به : «**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ**» وإن كان ضعفه البزار ، وذكر إمام الحرمين في ورقاته على الأصول ضعفه ، لكن اشتهر شهرة الصحيح حتى كاد يتواتر ، وقيل : الصحيح اتفاقاً : «**اقْتَدُوا بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**» .

وقوله : والقتل للآباءِ ، منه قتل الضحاك بن سفيان الكلابي ؛ لحق أباه على فرس فعرقبه به وحبسه ، بعد أن دعاه إلى الإسلام فأبى ، إلى أن أتاه رجل آخر فأمره بقتله فقتله . وكل الصحابة تمنعه الأبوة والبنوة من قتل أبيه[2] وابنه كافرين .

وقوله : وبذل الأنفس على الجهاد ؛ فذلك دأب الصحابة كلهم ، ومنه قول عبد الله بن عمر لأبيه ، لما لامه على رجوعه من اليمامة سالماً : عرضت نفسي ياأبت على المشركين غير مامرة ، فلم تقدر لي الشهادة إذ لم أستوف أجلي .

وقوله : وكل ماجاءَ من الرسالة ؛ أي كل رسول من الرسل يخبر أمته بالنبي ﷺ ويمدح أمته ، حتى أن موسى طلب من الله تعالى أن يكون من

---

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

(٢) يرد عليه ماورد من أن أبا عبيدة بن الجراح قتل والده عبد الله بن الجراح كافراً يوم بدر ، وقيل اسمه غير ذلك . والله تعالى أعلم .

أمة محمد ﷺ . وقال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] يعني خصوصاً ـ وقيل عموماً ـ أمة محمد ﷺ . وسبقه الزين العراقي بهذا بقوله :

وهم عدول قيل : لا مَنْ دخلا في فتنة . . .

ويعني بالفتنة الردة ؛ كالأعراب الذين صحبوا النبي ﷺ ثم ارتدوا بعده ، ثم أسلموا وحسن إسلامهم ، لأن الردة تجب[2] الصحبة ، كما أن الإسلام يجب ماقبله من الشرك ، فكذلك الكفر يجب ماقبله من الخير ، والعياذ بالله ، ولايعني الفتن التي أخبر النبي ﷺ عنها أنها تقع بين المسلمين ؛ لأن تلك دخل فيها أكابر المهاجرين والأنصار ، ودخل فيها من العشرة ؛ علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص . قيل : وسعيد بن زيد . ومن ارتد ثم أسلم لم يذكره العلماءُ ـ كالشهاب أحمد بن حجر ، وعالم الأندلس أبي عمر ابن عبد البر ـ في الصحابة . وقيل : لم يستعن بهم أبو بكر واستعان بهم عثمان فأفسدوا عليه . والله أعلم .

وَعَـــنْ أَبِي سَعِـيـدٍ الْخُـدْرِيِّ
أَنَّ امْـرءاً رِيءَ مَعَ الـنَّـبِـيِّ
قَالَ لِحُبْـلَى أَتُحِـبِّـينَ ذَكَـرْ
فَقَـالَتِ الـوَرْهَـاءُ مَنْ لِي بِالـذَّكَر
فَقَـالَ إِنْ أَعْـطَيْـتِـنِي شَاةً فَما
لَبِـثَ أَنْ جَاءَتْ بِهَا وتَمْـتَـمَا

---

(١) سورة آل عمران : ١١٠ .

(٢) بل التحقيق أنه إن راجع الاسلام وحسن إسلامه بقي على صحبته ، فالصحابي من اجتمع بالنبي مؤمناً به ومات على ذلك ، ولو تخللته ردة كالأشعث بن قيس .

أَلْفَــاظَ سَجْــعٍ كالكهَــانَـةِ لَها
وَهْــيَ الحِــبَــالَــةُ بِهَا نُوَلِّهَــا
وَأَطْعَمَ الصِّــدّيقَ فِيمَنْ أَطْعَمَــهْ
مِنْهَــا ومَــا بِكُنْهِ الامْـرِ أَعْلَمَـهْ
وَإِذْ بِهِ أُعْــلِمَ بَعْــدُ قَاءَهْ
ولأَبي حَفْصٍ شكَــا هِجَــاءَهْ
أَنْصَــار خَيْرِ مُرْسَــلٍ فاعْتَـذَرَا
عنه بأَن الصحبَ أشرفُ الورى

أبو سعيد اشتهر بكنيته ، واسمه سعيد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن خدرة الأبجري ، والخدري نسبة إلى جده خدرة الأبجر من بني الحارث بن الخزرج ، استرده النبي ﷺ فيمن استرد يوم أحد لعدم البلوغ خمسة عشر ، وشهد الخندق وهي أول مشاهده ، وغزا مع النبي اثني عشرة غزوة ، وأكثر من الرواية عنه حتى عُدَّ سابعاً للستة المكثرين ، وعاش إلى سنة أربع وسبعين ، وفيها توفي ، وكان ممن أبى عزل يزيد بن معاوية من العلماءِ كعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله ، ولذلك سلموا يوم الحرة لنهي يزيد جيشه عنهم ، لكن دخل عليه قوم من أهل الشام فقالوا له : بلغنا خبرك ، لكن هات المال لنا . فقال : ذهب به الذين جاؤ وا قبلكم . فنتفوا شعره وأخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما .

والمرءُ الذي ريءَ مع النبي ﷺ لم أقف على اسمه ، فيما طالعت فيه حديثه هذا من الكتب ، فإما أنه أبهم ستراً عليه لهذا الحديث وهجوه

للأنصار ، وإما أنه لم يبلغ درجة أن يعرف ، كالمرأة التي ناولها الحبالة .

والورهاءُ الحمقاءُ ؛ وصفها بذلك لوثوقها بما ذكر لها ، حتى جاءَته بشاة فتمتم أي زخرف لها ألفاظاً مسجعة كألفاظ الكهانة ، لأنهم يسجعون ألفاظهم ، وتسمى هذه الفعلة الحبالة ، وهي المصدية ولم تكن بالكهانة ولا بالسحر . وكنه الأمر حقيقته ، يعني أنه مما يدل على عدالة الصحابة ، وعلى منزلتهم وحرمة الوقوع فيهم بشيءٍ لايليق ، أن أبا سعيد الخدري كان يوماً مضطجعاً فقيل في الصحابة ، فاستوى جالساً وقال : إنه كان رجل رئي مع النبي ﷺ ولايزيد على ذلك ، فرأى يوماً امرأة حاملاً فقال لها : ياهذه ، أتحبين أن يكون ماق بطنك ذكراً ؟ . فقالت نعم . فقال : إن جئتني بشاة أفعل لك مايكون به ذكراً ، فجاءَته بشاة ؛ فذبحها وأطعم لحمها الناس ، وكان فيمن أطعم أبو بكر رضي الله عنه ولم يعلم بشأن اللحم ، فلما أُعلم به تقيأه ، ثم إن هذا الرجل هجا الأنصار فاستعدوا عليه عمر رضي الله عنه فقال لهم : لولا أن هذا الرجل صحب رسول الله ﷺ لأنصفتكم منه . وذكر القاضي عياض هذا الحديث في الشفاءِ ، في آخر القسم الرابع .

الْقِسْمُ الاْوَّلُ مِنَ الاِصَابَةْ
لِلْعَسْقَلاَنِّي هُمُ الصَّحَابَةْ
توفَّرَتْ فِيهِمْ شُرُوطُ صُحْبَتِهْ
وبَلَغُوا أوَانَ حَمْلِ دَعْوَتِهْ
وَثاني الاقْسَامِ لِمَنْ فِي الصِّغَرِ
لَعَلَّهُ رَآهُ خَيْرُ مُضَرِ

ثَالِثُهَا مَنْ في الأَوانِ خُضْرِمَا

وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِاتِفَاقِ الْعُلَمَا

رَابِعُهَا في نَبْذِ مَنْ تَفَاحَشَا

غَلَطُهُمْ فِيهِ وَفِيهِ نَاقَشَا

ومما استطرده أيضاً في هذه الأبيات الخمسة صنيع ابن حجر العسقلاني ذي التصانيف المشهورة الفاخرة ، في كتابه المسمى بالإصابة في أعلام الصحابة ، ومعتمده فيه كتاب الاستيعاب لعالم الأندلس أبي عمر بن عبد البر ، ويزيد عليه زيادات صحيحة ؛ وصنيعه أنه قسم كتابه أربعة أقسام ، ورتبه على حروف المعجم قائلاً : القسم الاول : ويذكر من أول اسمه الهمزة إلى تمام من كان كذلك اسمه ، ثم الباءُ كذلك إلى آخر الحروف ، فيتبعه القسم الثاني كذلك ، ثم القسم الثالث كذلك ، ثم الرابع كذلك . فأما القسم الأول فيذكر فيه من توفرت فيه شروط الصحبة ؛ وهو من آمن به واجتمع معه وهو مؤمن ، ولم يره لعمى كعبد الله بن أم مكتوم ، ويكون ذلك في زمن تحمل الدعوة ، وهو منذ أرسل إلى أن توفي ﷺ . وقوله : أوان حمل ، يرجع إلى ماقبله من توفرت وبلغوا وليس معناه : وبلغوا الحلم ، إذ لايشترط ، وإنما يكفي التمييز لذكره في هذا القسم الصبيان المميزين ، وأما من اجتمع به قبل أوان حمل الدعوة ، ثم آمن به ولم يجتمع معه أوانها فلا تتناوله الصحبة . وكذلك من آمن به واجتمع معه بعد حمل الدعوة ؛ كمن وفد فجاءَ يوم موته ﷺ فوجده مسجى قبل أن يدفن ، وكشف عن وجهه وقبله ، وحضر الصلاة عليه ودفنه ، وحضر بيعة أبي بكر رضي الله عنه [فإنه

على الرغم] من هذا كله لاتتناوله الصحبة ، فكيف بمن يدعي اليوم لقياه ، أو يدعيه له غيره ؟ ! .

كان أبو ذؤيب مؤمناً على عهد النبي ﷺ ولم يره ، وكان يحدث ويقول : [في الليلة التي قبض النبي ﷺ في صبيحتها] سهرت ، فلم يأتني النوم ولم يقرّ لي قرار ، فبت في هول يهولني ولم أدر لأي شيءٍ ، فنظرت في السماءِ لعلي أرى شيئاً أتطير به ، فوقعت عيناي على سعد الذابح ، فعلمت أنه ذبح في العرب ، فلما أصبحت ركبت فقصدت المدينة ، فكلما زجرت من غراب يكون لي على ماأكره ، ومررت بشيهم وصلٍ يقتتلان فوقفت عليهما ، فغلب الشيهم الصل ، فعلمت أنه شيء مهم ، فقدمت المدينة ولقيت رعاتها يبكون والأرض مظلمة فقالوا : قبض رسول الله ﷺ . فدخل المدينة وكان من أمره ماذكر ، فرثى النبي ﷺ بقصيدة منها :

كسفت بمصرعه النجوم وبدرها ... وتزعزعت آطام بطن الأبطح

وتضعضعت أجبال يثرب كلها ... ونخيلها لحلول هول مفدح

ثم انصرف إلى باديته ، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه بأرض الروم ، وليس وراءَ قبره قبر لأحد من المسلمين ، وهو من بني صاهلة من هذيل ، وقيل : إنه أشعر أهل زمانه .

قوله وثاني الأقسام ، أي أقسام ابن حجر في كتابه الإصابة ، وهو أن يقول ـ بعد فراغه من القسم الأول على ماذكرنا ـ القسم الثاني ، فيبدأ بالهمزة ، ويرتب حروف المعجم ترتيب المشارقة إلى آخرها ، متكلّما على مايمكن أن يراه النبي ﷺ لكونه ولد على عهده بأرض قدمها النبي ﷺ بعد أن بعث وهذا النوع يقول له العلماءُ : صحابي صغير . ويدخل في هذا الحد

مروان بن الحكم ، فذكروه صحابياً بذلك ، مع العلم بأن النبي ﷺ لم يره قط ؛ لأنه ولد بالطائف بعد طرد أبيه إلى الطائف ، ولم يزالوا به إلى أن ردهم عثمان رضي الله عنه في خلافته . وقيل : إنه ولد قبل ذلك عام الخندق ـ وهو الأصح ـ وعلى هذا يمكن أن يراه النبي ﷺ عام الفتح أو في عمرته أو حجته .

وقوله : رابعها أي رابع أقسام الإصابة ، في نبذ أي إخراج عن الصحبة من غلط فيه بعض العلماءِ الغلط الفاحش ؛ بأن ذكره من الصحابة ، وهو لا يصح ، لتأخر مولده عن وفاة النبي ﷺ تأخراً بيناً ، كإياس ابن معاوية وأهل زمانه وذكروه . وناقشهم أي كاذبهم في هذا النوع ابن حجر .

ذكر بني البكير رضي الله عنهم

بنو الْبُكَيْر الْأَرْبَعُ الَّذْ شَهِدُوا

بَدْراً مَزِيَّةٌ بِهَا تَفَرَّدُوا

ورجع إلى ماكان فيه من ذكر ليث ، يعني من ليثهم بنو البكير ـ بحذف العاطف ـ وهم أربعة شهدوا بدراً بعد أن هاجروا إلى المدينة ، وهي مزية تفردوا بها عن غيرهم ، ولا يعرف أربعة إخوة شهدوا بدراً [بعد أن هاجروا إلى المدينة] غيرهم إلا بنو مظعون ، على الخلاف فيهم .

وقوله : الأربع على غير الغالب . قال ﷺ : «أَتْبَعَهُ بِسِتّ مِنْ شَوَّالَ» وقول المخزومي : ثلاث شخوص كاعبان ومعصر .

والَّذْ بسكون الذال بمعنى الذي ، يستوي فيه المفرد والجمع .

والمزية : الفضيلة . وهم : خالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب ، الليثيون حلفاءُ بني عدي . حالف جدهم عبد ياليل نفيلاً جد عمر بن الخطاب بن نفيل ؛ أما خالد فهو من سرية عبد الله بن جحش التي قتلت الحضرمي ، فكانت سبباً في عز الإسلام ، وقتل في بعث الرجيع . وأما عاقل فكان اسمه غافلاً فسماه النبي ﷺ عاقلاً ، وشهد بدراً وقتل بها . وأما عامر وإياس فإنهما أسلما في دار الأرقم واستشهدا يوم اليمامة ، وروي عن إياس حديثان ؛ أن من طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يمسها فإنها لاتحل له . وحديث من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقي فتنة القبر .

وابن عمهم واثلة بن الأسقع ، من أهل الصُّفَّة ، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين . وقيل : أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك ، فاشترى راحلة وغزا معه ، وعاش مائة سنة .

بنو جعونة

ومن ليث بنو جعونة بن شعوب ، منهم : شداد الذي قتل حنظلة الغسيل يوم أحد ، وكان حنظلة علا أبا سفيان بالسيف فقتله شداد ، فقال أبو سفيان : حنظلة بحنظلة . يعني ابنه الذي قتل يوم بدر ؛ قتله زيد بن حارثة ، وفي ذلك يقول أبو سفيان :

ومازال مهري مزجر الكلب منهم ... لدن غدوة حتى دنت لغروب
ولم أجعل النعماء لابن شعوب ... فلو شئت نجتني كميت طمِرّة

وأخوه أبو بكر بن جعونة الذي يقول يرثي هشام بن المغيرة :

فذرني أصطبحْ يابكر إني ... رأيت الموت نقَّب عن هشام
تخيره فلم يعدل سواه ... فنعم المرءُ من رجل تهام

البـدر بن أبي رؤيم نافـع قارىء المـدينـة

ولاؤه لبني جعونة حلفاء العباس

وهم أي بنو جعونة من حلفاءِ العباس بن عبد المطلب ، وإليهم ولاءُ البدر بن أبي رؤ يم نافع القارىءُ .

شداد بن الهادي رضي الله عنه

ومن ليث شداد بن الهادي ، كان سيافاً للنبي ﷺ ولأبي بكر بعده ، وابنه عبد الله صحابي ، وسمي أبوه الهادي لأنه كان يوقد النار للأضياف ليهتدوا بها إليه ، وهو حليف بني هاشم . وهم بنو أُذينة هشام وعروة وبكر الذي يقول فيه عروة :

على بكـر أُخـيّ ولي حميـد الـعـيش يصـلح بعـد بكـر

سمعته سكينة بنت الحسين ينشد هذا البيت قالت : هذا الذي نحن فيه ، يصلح والله حتى الخبز والزيت .

هشام بن أُذينة وقصته مع هشام بن عبد الملك

وكان هشام بن أُذينة ـ ويقال أُذية ـ شاعراً أيضاً . وهو الذي يقول :

لقـد علمت ومـا الإسراف من خلقي
أن الـذي هو رزقـي سوف يأتـينـى

أسـعـى إلـيـه فيعييني تطلُّبـه

وإن قعـدت أتـاني لايـعـيِّـيـني

ثم وفد على هشام بن عبد الملك فلما دخل عليه قال : ألست القائل : لقد علمت البيت ؟ . فخجل ابن أذينة ، فلما خرج في الناس من عنده انسل من بين الناس برحله ، فمضى إلى منزله بالمدينة ، ففقده هشام بن عبد الملك فسأل عنه فقيل له : ذهب إلى أهله . فعاتب هشام نفسه فقال : شاعر سؤت فيه ولا آمن أن يقول فيء شعراً . فبعث إليه بألفي دينار ، فقال للرسول : قل لأمير المؤمنين : أوجدني صادقا في قولي أم لا ؟! . خرجت أطلب رزقي فأتعبني طلبه ولم أجده ، فلما قعدت في بيتي أتاني من غير تعب ولا عناء .

ومن ليث أيضاً ابن قميئة ـ كسفينة ـ قاتل مصعب بن عمير يوم أحد يظنه رسول الله ﷺ ، فلما قدم مكة خرج إلى غنمه فقتله تيسها وقيل تيس الجبل .

ذكر بني مظعون رضي الله عنهم

ومِـثْـلُهُمْ عُثْـمَانُ عَبْـدُ الله قُدَامَـةُ وَسَـائِبٌ ذو الْجَـاهِ

فَهَؤُلاَءِ هَاجَـرُوا بالسَّـائب سَلِيـلِ عُثْمَانَ أَخِيهِمُ الأَبِي

أي ومثل بني البكير في التفرد بالفضيلة ؛ التي هي الاجتماع في شهود بدر ، بنو مظعون بن جمح ؛ عثمان وعبد الله وقدامة والسائب ، وزاد:بنو مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحيون من قريش ؛ أما

عثمان فمن القوم الذين هاجروا إلى الحبشة ، وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، فجمع قدم الاسلام والسبق في الهجرتين وشهود بدر ، وكان من فضلاءِ الصحابة ، وممن حرم الخمر في الجاهلية . وكان يقول : لا أشرب شراباً يذهب عقلي ، ويضحك مني من هو دوني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي . ويأتي إن شاءَ الله بعض الكلام عليه في ذكره . وأما عبد الله فهاجر الحبشة .

وأما السائب فهاجر أيضاً الحبشة ، واختلفوا في شهوده بدراً . وأما قدامة فهاجر الحبشة ، واستعمله عمر ، فشرب الخمر فحده عمر بأمر أبي هريرة ، فغضب قدامة ولم يكلم عمر ، فرأى عمر آتياً أتاه في المنام فقال له : سالم قدامة . فدعاه عمر فاستغفر له واصطلحا . وأما السائب بن عثمان فهاجر الحبشة وشهد بدراً واستشهد يوم اليمامة عن بضع وثلاثين سنة ، وزاد بنو مظعون أيضاً على بنى البكير بهجرتهم الحبشة كلهم .

عبد الله بن الأريْقط

دليل النبي ﷺ

من دئــلٍ دَلِيـلُ خَيْرِ الْعَـالَمِـيْنْ

عَبْـدُ الإِلـهِ بْنُ الْأَرْيقطِ الْأَمِـيْنْ

دئل ، بضم الدال وكسر الهمزة كما تقدم وكعنب ، منهم عبد الله بن الأريقط دليل رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهما إلى المدينة ، بعد أن دفعا إليه ناقتيهماوواعداه الغار بعد ثلاث ، فأتاهما في الأجل . وقال فيه رسول الله ﷺ : «هُوَ أَمِينٌ» . ويؤخذ منه جواز مدح الكافر بخلق فيه لأنه إذ ذاك على كفره ، بل لم يعلم له إسلام كما قال السهيلي ، وقيل : يذكر له . ويذكره أبو بكر في قصيدته التي يقول في الهجرة أولها :

قال الـرسـول ولم يشعـر بنا أحـد
ونحن في سدفـة من ظلمـة الغـار

لاتخش شيئـاً فإن الله ثالـثـنـا
وقـد تكـفّـل لي منـه بإظـهـار

وإنـما كيـد من تخشـى بوادره
كيـد الـشيـاطـين كادتـه لكفـار

والله مهـلكـهـم طراً بما كسـبـوا
وجـاعـل المنـتهى منهم إلى النـار

وأنـت مرتحـل عنهـم وتـاركـهـم
إمـا غدواً وإمـا مدلـج سار

وهـاجـرٌ أرضهم حتى يكـون لنـا
قوم عليـهـم ذوو عز وأنـصـار

حتـى إذا الـليـل وارتـنـا جوانبـه
وسـد من دون من تخشـى بأستـار

سار الأُريـقط يهديـنـا وأيـنـقـه
ينـعبـن بالـقـوم نعبـاً تحت أكـوار

يعسفن عرض الثنـايـا بعـد أطـولها
وكـل سهـب دقـاق الـترب موار

حتـى إذا قلت قد أنجـدن عارضنـا

من مدلـج فارس في منـصـب وار

يردى به مشرف الأقـطار معتـزم

كالسِّيـد ذي اللّبّـة المستأسد الضاري

فقـال : كروا . فقلنـا : إن كرتنـا

من دونها لك نصر الخـالـق البـاري

ونسأل الله العناية بنا وتوفيقنا لما يحبه ويرضاه منا ، إن كان هذا الرجل لم يسلم ، وقد سافر هذا السفر مع هؤلاءِ ؛ يطعم معهم ويشرب أسآرهم ، ويركب مراكبهم ويجلس في مجالسهم ، وينظر إلى وجه رسول الله ﷺ مسياً وبكرة . فأسأل ربي اللطف متطفلاً على خفي لطفه ، ومستجيراً بفضله من عدله ، ومستعيذاً مما أنا أهله بما هو أهله ، أن يتفضل علي بناصح التوبة وخالص الإيمان ، وصفي صالح الأعمال ، وأن يبدل سيئاتي حسنات حتى لاألقى ـ بعد نزوع روحي ـ إلا مايسرني . إنه على كل شيءٍ قدير وبالإجابة جدير .

ذكر سارية بن زُنَيْم

الذي ناداه عمر على المنبر

سَارِيَــةُ أَبــو الفُتــوحِ بِالْجَبَـلْ

أَغْــرَاهُ فانتحى إِلَيْــهِ وَاعْتَقَــلْ

أي من.دؤل أيضاً سارية الذي ناداه عمر ـ وهو أمير جيش بنهاوند ،

وعمر يخطب للجمعة بالمدينة ـ وسمعه الناس يقول في أثناءِ الخطبة : ياسارية الجبلَ . فجزع الناس لذلك ، ومنهم من قال : خرف أمير المؤمنين ، إنا لله وإنا اليه راجعون . فلم يقدر أحد أن يتجاسر على سؤاله عن كلامه حتى خرج الناس عن المسجد ، فتعرض عبد الرحمن بن عوف فقال : مابال كلام سمعه الناس منك في أثناءِ الخطبة ، أفزع الناس عليك ، ولم يقدروا أن يردوا عليك . فقال : لابأس ، رأيت الجيش الذي بنهاوند وقد أحاط بهم العدو ، فناديت أميرهم أن يعتقلوا بالجبل ففعلوا ، ثم والحمد لله رأيتهم فتح الله عليهم ، فلما قدم الجيش أخبرهم سارية أنه سمع كلام عمر فائتمر به . وأرخوا لذلك فوجدوه في ساعة . ومكاشفات عمر كثيرة ؛ قال ﷺ : «كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثونَ فَإِنْ كَانَ فِيكُمْ فَعُمَرُ» ، وكان الخلفاءُ يكاشف لهم ، ولذلك كانت أفعالهم وأقوالهم توافق الصواب ؛ أما أبو بكر فمن مكاشفاته قوله لعائشة لما احتضر : ذو بطنِ بنت خارجة أراه أنثى . وفي رواية : أُلقي في خلدي أنه أنثى . يعني بنته أم كلثوم .

وأما عثمان فقوله لأنس حين دخل عليه ، وكان ينظر في محاسن زوجة عثمان : يدخل عليَّ أحدكم وفي عينيه أثر الزنا . فقال أنس : أوحي بعد رسول الله ﷺ . فقال : بل فراسة المؤمن . وأما علي : فمنها ماروي أن عمرو بن العاص أتاه فقال : أحسن الله عزاءَك في ابن عمك معاوية . فقال : لاينبغي لمعاوية أن يموت قبلي . وإنما يريد عمرو أن يعلم أيهما يموت الأول ، ويعلم أن علياً يكاشف له .

قوله : أغراه أي ألزمه إياه بأن قال له : الجَبَلَ . أي عليك بالجبل . أي الزمه . والجبل في قول عمر منصوب على الإغراءِ ، ناصبه عليك أو

الزم . وانتحى مال إليه وقصده ، واعتقل : تحصن وتمنع بالجبل . وسارية هو ابن زنيم ؛ اختلف في صحبته قال في القاموس : زنيم ـ كزبير ـ والدسارية الذي ناداه عمر بنهاوند . ويذكر بعده كلمة عضلت[1] علي قراءتها ، ثم يقول بعدها : رآه النبي ﷺ فسجد شكراً لله . وماسمعت بنسخة للقاموس وردت على هذه البلاد إلا جعلت همي إليها حتى أكشف فيها عن هذه الكلمة ، وأستنجد عليها من قدرت عليه من الزوايا ، ولم يظفر بقراءتها أحد ، وهي إلى الآن غير مقروءة في نسخ المغرب ولا المشرق ؛ أما كتب هذه البلاد فإن الكاتب إن كان ذا بصيرة ، إما أن يضبب عليها وإما أن يبيض عليها ، وقلما تدنس علي مشكلة إلا فتح الله علي فيها والحمد لله غيرها . ولم نجد في كتب الحديث ولا في كتب السير ماذكر من سجود النبي ﷺ شكراً لهذا المرئي . وبالله تعالى التوفيق .

وَبَنُو الأَسْوَدِ الأُلى أَرْدَتْهُمُ

خُزَاعَةُ فالْتَهَبَتْ حَرْبُهُمُ

بنو الأسود ثلاثة : كلثوم وسلمى وذؤيبة ، بنو الأسود بن رزن ، كانوا مفخر بني كنانة في الجاهلية ؛ إذ كانوا يُؤْدون بديتين وتؤدى كنانة دية واحدة . والألى : الذين . وأَرْدتهم : قتلتهم خزاعة . فالتهبت أي اتقدت الحرب

(١) في تعليق على النسخة التي بيدي مانصه ، قال صاحب المنسخة : نظرت في القاموس وقرأت الكلمة التي قال الشارح أنها عضلت قراءتها ، وأريتها رجالاً غيري يقتدى بهم ، وأمضوا قراءتها على تلك الصورة ، وهي أي الكلمة في القاموس : ونُغَاشِيٌّ رآه الخ . انظره في مادة زنم . وقال في مادة نغش : والنغاشي والنغاش بضمها ؛ القصير جداً أقصر مايكون من الرجال . ا . هـ .

بينهم حتى حجز الإسلام بينهم فدخلوا في صلح الحديبية ؛ على أن خزاعة في حلف النبي ﷺ وبني بكر في حلف قريش .

وَنَــوْفَــلُ الَّــذي خُزَاعَــةَ غَدَرْ

عَمْــرو بْنُ سَالِمٍ لِذَا لَهَا انْـتَصَرْ

يعني ومن دؤ ل الذي غدر خزاعة طلباً لثأر بني الأسود بعد أن دخل كل من الفريقين في صلح الحديبية ، ولهذا الغدر انتصر عمرو بن سالم لخزاعة فنصره النبي ﷺ نصراً جر إلى فتح مكة ؛ وكان نوفل أوقع بخزاعة ليلاً وهم بالوتير ـ موضع قريب من مكة ـ معه رجال من قريش مختفون ؛ منهم صفوان ابن أمية وعكـرمـة بن أبي جهل ، فقاتلوهم حتى أدخلوهم الحرم فكفوا ، فخرج عمرو بن سالم يستصرخ النبي ﷺ بقوله :

يارب إني ناشـد محمـدا ... حلف أبـيـنـا وأبـيـه الأتـلدا

إن قريشـاً أخلفـوك الـموعـدا ... ونـقـضـوا ميثـاقـك المؤكـدا

هم بيتـونـا بالـوتـير هُجَّـدا ... وقـتـلونـا ركـعـاً وسـجـدا

إلى آخرها . فلما سمع رسول الله ﷺ قوله قال : « **لَا نَصَرَني اللهُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْكَ** » وقال « **إِنَّ هٰذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ** » يريد خزاعة ، فغـزا غزوة الفتح . ونوفل بن معاوية أسلم وصحب النبي ﷺ وشهد معه الطائف واستشاره في أمر ثقيف فقال : يارسول الله ، هم كثعلب في جحره إن أقمت عليه أخذتـه ، وإن تركتـه لايضرك . وخرج مع أبي بكر حجه بالناس ، ثم حج مع النبي ﷺ حجة الوداع ، وعاش مائة سنة أو أزيد ؛ نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام . عاش إلى زمن يزيد بن معاوية .

ومن دؤ ل أبو الناس بن زنيم أخو سارية ؛ كان شاعراً . وفي النبي ﷺ يقول :

وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبرَّ وأوفى ذمة من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءَه ... وأمضى بحد المشرفي المهند

وابنه أُسيد بن أبي الناس كان هجاءً فأهدر النبي ﷺ دمه ، فجاءَ تائباً وأنشد فيه مدحة حسنة .

ومنهم أبو الأسود ؛ واسمه ظالم بن عمرو بن نفاثة واضع النحو ، وهو أيضاً أول من نقط المصحف بأمر الحجاج ، وكان يضرب به المثل في الذكاءِ والبلاغة والبخل . تحاكم مع امرأة في ابن بينهما إلى عمر فقالت المرأة : إنه طلقني وأراد أن يأخذ مني ابني . فقال أبو الأسود : ياأمير المؤمنين ، هو ابني ؛ حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه . فقالت : حمل خفاً وحملته ثقلاً ، ووضعه بشهوة ووضعته كرهاً . فقال له عمر : دعني من تمشدقك وأسلمْ للمرأة ابنها . وسمع زينب بنت عقيل تبكي الحسين والركب الذين قتلوا معه وتقول :

ماذاتقولون إن قال الإله لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم
بأهل بيتي وأنصاري وذي رحمي ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم

فقال أبو الأسود نقول : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴾ [1]

---

(١) سورة الأعراف : ٢٣ .

ومن شعره أيضاً :

وكن معدناً للخير واصفح عن الخنا
فإنك راءٍ ماحييت وسامع

وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً
فإنك لاتدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضاً مقارباً
فإنك لاتدري متى أنت راجع

فِي مُدْلِجِ بْنِ بَكْرٍ الْقِيَافَهْ
كَمَا لِلِهْبٍ كَانَتْ الْعِيَافَهْ
وَهْيَ الْقِيَافَةُ بِلَا امْتِرَاءِ
مَعْرِفَةُ الأَبْنَاءِ بِالآبَاءِ

مدلج بن مرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأهم أهل القيافة في العرب ، ومن قيافتهم ماسر النبي ﷺ في زيد بن حارثة وابنه أسامة ؛ وكان زيد أبيض وأسامة أسود ، فمر بهما مجزز الأعور بن جعدة ، وهو صحابي وابنه علقمة صحابي ، [مرّ بهما] مضطجعين فقال : لمن هذه الأقدام التي بعضها من بعض . فسر رسول الله ﷺ .

يعني إن مدلجاً هم أهل القيافة ، كما أن لهبا هم أهل العيافة بالطير ؛ كالتيامن والتشاؤم بطيرانها ومواقعها وألوانها وأسمائها . ومما يحكى من

عيافتهم أن رجلاً منهم أتى ابنه يحدثه فقال : بينما أنا اليوم إذا بغراب على شجرة كذا . فقال : لابنه : أطردته ؟ . فقال : طردته فلم يزل كذلك . إلى أن قال : لفيءٌ وإلا فلست بابني . يريد أنه وقع على كنز فاستخرجه الفتى .

ويحكى أن الجن قالوا : سنختبر بني لهب . فأخذوا شخصين منهم على صورة رجلين على جمل فأتياهم فقالا : نحن من بني فلان نطلب لقاحاً فابعثوا معنا من يدلنا على أنشادها في أنعامكم . فبعثوا معهما طفلاً فاحتملاه بينهما ، فلما انفصلا به طارت منهم عقاب فصاح الطفل : ياويلاه ، رفعت جناحاً وخفضت جناحاً ، وأراكم الجنّ ولستم تطلبون لقاحاً . وقال الشاعر .

خبير بني لهب فلا تكُ ملغياً مقالة لهبيّ إذا الطير مرت

مِنهمْ سُرَاقَةُ الَّذِي قالَ عُمَرْ
حَلَّاهُ تَصْدِيقاً لأَفْضَلِ البَشَرْ
حُلِي كِسْرَى وَأَتَى فِي صُورَتِهْ
إبْلِيسُ إذْ تَخَوَّفَتْ مِنْ فِتْنَتِهْ
فَهْي غَدَاةَ خَرَجوا لِبَدْرِ
فَكانَ خَافِراً لَهُمْ مِن بَكْرِ

أي من مدلج سراقة بن مالك بن جعشم الذى حلاه عمر سواري كسرى تصديقاً لما أخبر به رسول الله ﷺ أن سراقة سيلبس سواري كسرى . قال له يوماً : «**كَيْفَ بِكَ يَاسُرَاقَةُ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَىٰ**» . فلما فتح العراق في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأتي بتاج كسرى ومنطقته وسواريه ،

دعا سراقة فألبسه السوارين وقال : ارفع بهما يديك ياسراقة . وقال : الله أكبر ، الحمد لله الذي سلبهما كسرى الذي كان يقول : أنا ربُّ العالمين ، وألبسهما سراقة بن مالك ؛ أعرابياً من بني مدلج . وأراد عمر تصديق النبي ﷺ وإظهار معجزاته ، لأن ذلك كان أبعد شيءٍ عند العرب . وحين أخبر به النبي ﷺ صدق به المؤمنون أي تصديق ، وأنكره الكافرون أي إنكار لبعده ، فلما وقع وافق اعتقاد المؤمن وصدق به الكافر على رغم أنفه ، وهو من معجزاته التي تأتي بعد وفاته ﷺ ؛ كإخباره بالفتن والعلامات وخلفاءِ بني العباس وغير ذلك . والمكاشفة من المعجزات مما يوافق الكرامة إذا كانت من غير تحدٍّ ، وتكون للأنبياء كبشارتهم بالنبي ﷺ وإخبارهم بالخلفاءِ ونعتهم ، وكل مايأتي مع الوحي إليهم بذلك ، وخصوصية النبي ﷺ ببقاءِ بعض المعجزات هو الإعجاز بالقرآن لا غير ، لأن الإعجاز بالقرآن باق معه ، فإن قلت : وكذلك التوراة والانجيل باقيان . فالجواب أنهما ليسا معجزين ، وإنما فيهما الأحكام والقصص ونحوهما .

وسراقة هو صاحب القصة مع النبي ﷺ وأبي بكر في هجرتهما ؛ وهو أن قريشاً جعلوا ديتهما لمن يقتلهما أو يردهما عليهم ، فسمعت الأعراب بذلك فرغبوا فيه ، فلما خرجوا عن أم معبد حادوا عن بني مدلج ، فرآهم رجل فأتى ناديهم وفيه سراقة فقال : إني رأيت أسودة ما أراهم إلا محمداً وأصحابه ، الذين جعلت فيهم قريش ماجعلت . فأمأله سراقة بعينه أن اسكت . وقال : إنما رأيت بني فلان يطلبون ضالةِ لهم . فقال الرجل : لعله . وسكت .

قصة سراقة
مع النبي وأبي بكر

فمكث سراقة في ناديه قليلاً ثم دخل في بيته وأمر جاريته أن تقود فرسه إلى وراءِ أكمة وتسرجه ، فلبس لأُمته وتسلح وجعل رمحه بين رجليه وجره إلى أن أتى فرسه ، وركب بعد أن استقسم بالأزلام . فخرج الذي يكره ، فشد في أثر القوم . قال أبو بكر : فلما دنا منا قلت : يارسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا . وبكيت . فقال ﷺ : «**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**» فلما كان منا قدر رمحين أو ثلاثة قلت : هذا الطلب . وبكيت . فقال ﷺ : «**مَايُبْكِيكَ ؟**» فقلت : والله ما أبكي على نفسي ولكن أبكي عليك ، فقال ﷺ : «**اللّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ**» فساخت فرسه إلى بطنها ، فوثب عنها وقال : يامحمد ، هذه كنانتي فخذ منها سهما فائت إبلي وغنمي فإنك ستمر بهما فخذ منهما حاجتك . فقال ﷺ : «**لَاحَاجَةَ فِي إِبِلِكَ وَلَا فِي غَنَمِكَ**» ، وفي حديث سراقة أن فرسه ساخت به ثلاثاً ، وفي الأخيرة خرج في أثر يديها دخان كأنه إعصار فدعاهم بالأمان ، وكان أبو بكر يكثر الالتفات والنبي ﷺ لايلتفت ، فأخذوا عليه العهد أن يرد عنهم كل من بجهته ، وطلب منهم كتاباً فيه الأمان له لوثوقه بظهور أمر النبي ﷺ فكتب له عامر بن فهيرة في قطعة جلد وضمها في كنانته ، فلم يزل عنده إلى أن فرغ النبي ﷺ من حنين والطائف : أتاه بالجعرانة قال سراقة : فدخلت في كتيبة الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقو لون : إليك إليك ماذا تريد ؟ . ولا أبالي بهم حتى دنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، والله لكأني أنظر إلى ساقيه في غرزها ، فرفعت يدي بالكتاب وقلت : يارسول الله هذا كتابك لي ، أنا سراقة بن مالك بن جعشم . فقال

ﷺ : «يَوْمَ بِرّ وَوَفَاءٍ ، ادْنُ مِنِّي» فدنوت منه وأسلمت ، ثم تذكرت شيئاً أسأل عنه فما ذكرته إلا أني قلت : يارسول الله ، صدقتي ؟. وكان سراقة شاعراً مجيداً وسمع أبياتاً يخاطب بها أبو جهل بني مدلج ويسفه فيها سراقة في خبره مع النبي ﷺ وركبه ؛ وهم أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط وكان رسول الله ﷺ ؛ كل منهما على ناقة وعامر بن فهيرة على ناقة ، فقال سراقة يجيب أبا جهل :

أبا حكم لو كنت والله شاهداً — لأمر جوادي إذا سيخت قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً — رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
إليك فردَّ اللوم عني فإنني — أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم — بأن جميع الناس طراً يسالمه

قوله : وأتى في صورته إلى آخره ؛ يشير إلى أن قريشاً لما أجمعوا المسير إلى النبي ﷺ في خروجهم إلى بدر ـ وكانت بينهم وبين بني بكر بن كنانة عداوة ـ فقالوا : كيف نخرج ونترك أرضنا وأموالنا ؟ . نخاف عليها بني بكر . فأتاهم إبليس ـ لعنه الله ـ في صورة سراقة بن مالك فقال لهم : إني خفير لكم ، أي جار لكم ، من بني بكر فامضوا إلى شأنكم . فطابت نفوسهم لذلك وخرج معهم ابليس ـ لعنه الله ـ يزعمونه سراقة إلى أن تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال : إنِّي بريءٌ منكم إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله والله شديد العقاب . قال السُّهيلي قوله : إني أخاف الله يحتمل وجهين ؛ أحدهما أنه كاذب في قوله ، وهو أهل للكذب . والثاني أنه رأى الملائكة فظن أنه يوم القيامة الذي وعد فيه بالعذاب ، إذ يرى أن الملائكة لاترى عياناً إلا فيما فيه ضرر فخاف حضور عذابه ، وكان ممن يليه حين قال

هذا ، الحارث بن هشام ، فحدث به قريشاً فكانت قريش كلما رأت سراقة تقول : ياسراقة أنت خرقت الصف وفعلت االهزيمة . فينكر عليهم ، فلما أسلم وقرأ القرآن حقق الخبر ، وذلك قول حسان :

سرنـا وسـاروا إلى بدر لَحَيْـنهم ... لو يعلمـون يقين الأمر ماساروا
دلَّاهـمُ بغـرور ثم أسلمـهـم ... إن الخـبـيـث لمن والاه غَرَّارُ

قوله : من مدلج سراقة الذي حلّاه أي ألبسه عمر رضي الله عنه لأجل تصـديق النبي ﷺ في حياتـه . حلي ـ بضم الحـاء وكسر الـلام وتشـديد الياء ـ جمع حلى ـ بالفتح ـ وهو مايتزين به من النقدين والجواهر ، وهو مفعول ثان لحلا . وسراقة هذا أتى إبليس في صورته قريشاً يوم خروجهم إلى بدر فخفرهم ، أي أجارهم . من فئته : أي من قبيلته بني بكر بن كنانة .

ذكر بني فراس رهط

ربيعة بن مكدم

وَمِـنْ كِنَـانَـةَ بَنـو فَراسِ
رَهْطِ مُكَـدَّمٍ وكُـلِّ قَاسِي

بنو فراس ـ كسحاب ـ من بني الحارث بن مالك بن كنانة ، وهم قبيلة مكدَّم ـ كمعظم ـ والد فارس العرب ربيعة بن مكدم الذي يضرب به المثل في الفراسة والبأس ، ويزعمون أنه يحمي الظعن حياً وميتاً ؛ وذلك أنه حين مات كان مصاباً بالجدري ، فوقعت بنو أسد بحيه فلم يكن فيه من الرجال غيره إلا القليل ، فقاتلهم عن النساءِ حتى ركبن ووقف دونهن على فرسه ،

وعلم النساءُ أنه في آخر رمق فسرن والفرس واقف به حتى مات ، ولم يزل الفرس على هيئته حتى نجا الظعن فتحرك الفرس وسقط عنه ميتاً فقالوا فيه : يحمي الظعن حياً وميتاً . وقيل : طعنه رجل من سليم يقال له نبيشة بن حبيب ، فلما أحس بالموت أوقف فرسه ومات فوقه ، ولم يشعر به أحد حتى نجا الظعن . ومما يحكى عن ربيعة بن مكدم أنه خرج دريد بن الصمة في فوارس من قومه بني جشم بن بكر ، يريدون الغارة على بني كنانة ، فلما كانوا بوادلهم يقال له الأخرم ، رفع لهم رجل في ناحية الوادي معه ظعينة ، فقال دريد لفارس من أصحابه : صِحْ به : خلِّ الظعينة وانج بنفسك ـ وهم لايعرفونه ـ فلما انتهى إليه الفارس صاح به وألح عليه ، فرمى زمام الراحلة للمرأة وقال لها :

سيري على رسلك سيرَ الآمنِ　　سيرَ رِداح ذات جأش ساكنِ
إن انثنائي دون قرني شائني　　أَبْلي بلائي واخبري وعايني

ثم حمل على الفارس فطعنه وأخذ فرسه . فبعث دريد فارساً آخر ينظر ماصنع صاحبه ، فلما انتهى إليه ورأى صاحبه صريعاً صاح به ، فتصامم عنه ربيعة فظن أنه لم يسمعه فغشيه ، فألقى زمام الراحلة إلى المرأة ورجع وهو يقول :

خلِّ سبيل الحرة المنيعة　　إنك لاقٍ دونها ربيعة
في كفه خطّية مطيعة　　أو لا فخذها طعنة سريعة
والطعن مني في الوغى شريعة

ثم حمل عليه فطعنه . فلما أبطأ على دريد أرسل فارساً ثالثاً ينظر مافعل

صاحباه ، فلما انتهى إليهما وجدهما صريعين ورأى ربيعة يقود ظعينته ويجر رمحه ، فقال له : خلّ الظعينة وانج بنفسك . فرمى لظعينته زمام الراحلة وقال لها : اقصدي قصد البيوت . ثم أقبل عليه فقال :

ماذا تريـد من شتيـم عابسْ أما ترى الفارس بعد الفارسْ
أرداهما عامل رمح يابسْ من يدْنُ مني للحياة آيسْ

ثم حمل عليه فصرعه وانكسر رمحه ، فارتاب دريد وظن أنهم قتلوا الرجل وأخذوا المرأة ، فلحق بربيعة وقد دنا من الحي ووجد أصحا به قتلى ، فقال : أيها الفارس إن مثلك لايقتل ، ولاأرى معك رمحاً ، وقد تركت الخيل ثائرة بأهلها ، فدونك هذا الرمح وإني منصرف إلى أصحابي فمثبطهم عنك . فانصرف دريد وقال لأصحابه : إن فارس الظعينة قد حماها وقتل فرسانكم ، وانتزع رمحي ولامطمع لكم فيه فانصرفوا . وانصرف القوم . وفيه يقول دريد ابن الصمة :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارساً لم يقتل
أردى فوارس لم يكونوا نُهزة ثم استمر كأنه لم يفعل
متهلّلا تبدو أسرة وجهه مثل الحسام جَلَتْه كفُّ الصيقل
يزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجهاً يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدل
ياليت شعري من أبوه وأمه ياصاح من يك مثله لايجهل

وقال ربيعة بن مكدم نفسه في ذلك :

إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظعينة يوم وادي الأخرم
إذ هي لأول من أتاها نهزة لولا طعان ربيعة بن مكدم

إذ قال لي أدنى الفــوارس ميتــة   خلِّ الـظعينـة طائعــاً لاتنــدم
فصرفت راحلة الـظعينـة نحـوها   عمــداً ليـعـلم بعض مالم يعـلم
وهتكت بالـرمـح الـطويل إهابه   فهــوى صريعــاً لليـدين وللفم
ومنحت آخـر بعــده جيـاشـة   نجـلاءَ فاغـرة كشـدق الأضجم
ولـقــد شفـعتهـــا بآخــر ثالث   وأبى الفــرارَ لي الغـداة تكـرمي

ثم لم يلبث بنو كنانة أن أغاروا على بني جشم وأسروا دريداً فأخفى نفسه ، فبينما هو عندهم محبوس إذ جاءه نسوة يتهادين ، فصرخت إحداهن وقالت : هلكتم وأهلكتم ، ماذا جر علينا قومنا ؟ . هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة . ثم ألقت عليه ثوبها وقالت : يالفراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه من هو؟ . قال : أنا دريد بن الصمـة ، فمن صاحبي ؟ . قالوا : ربيعة بن مكدم . قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم . قال : فما فعلت الظعينة ؟ . قالت المرأة : أنا هي وأنا امرأته . فحبسه القوم واختلفوا في أمره ؛ فقال بعضهم : لاينبغي لدريد أن تكفر نعمته على صاحبنا . وقال آخرون : لايخرج من أيدينا إلا برضى مخارق الذي أسره قبل . فانبعثت المرأة ، وهي ريطة بنت جذل الطعان تقول :

سنجــزي دريــداً عن ربيعــة نعمـة
وكـــل امــرىءٍ يُجزى بما كان قدّمــا
فإن كان خيراً كان خيراً جزاؤه
وإن كان شراً كان شراً مذممــا

سنجـزيـه نعـمى لم تكن بصغـيرة

بإعـطائـه الـرمـح الـطويـل المقـوَّمـا

فقـد أدركـت كفـاه فيـنـا جزاءَه

وأهـل بأن يجزى الـذي كان أنعـما

فلا تكـفـروه حق نعـماه فيـكـم

ولا تركـبـوا تلك الـتي تملأ الـفـما

فلو كان حيـاً لم يضـق بجـزائـه

ذراعـاً غنيـاً كان أو كان معـدمـا

ففـكـوا دريـداً من إسـار مخارق

ولا تجعـلوا الـبـؤسـى إلى الشر سلّما

فلما أصبحوا أطلقوه وكسته المرأة وجهزته ولحق بقومه ، ولم يزل كافاً عن غزو بني فراس إلى أن هلك .

زينب بنت عويمر أم رومان رضي الله عنها

أم بني الصديق من بني فراس

ومن بني فراس أُمُّ رَوْمَان واسمها زينب بنت عويمر بن الحارث أم بني الصديق ؛ أمنا عائشة وعبد الرحمن ، هاجرت وتوفيت بالمدينة سنة ست ، ونزل النبي ﷺ في قبرها واضطجع فيه ، وأفرشها ثوبه في

قبرها وقال : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَاءِ الْجَنَّةِ ـ أو قال : مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ـ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ أُمِّ رَوْمَانَ» أو كما قال ﷺ . وفي شرح القصيدة المسماة بقرَّة الأبصار أنها بفتح الراءِ وضمه . ومنهم عتيكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان أم امنا أم سلمة ؛ وهي إحدى عواتك أبي أمية اللاتي كن تحته وهن أربع : عاتكة هذه ، وعاتكة بنت عتبة ابن ربيعة ، وعاتكة بنت عبد المطلب . وقوله : وكل قاس ، يشير الى نجدتهم وشدة بأسهم . قال علي لأصحابه : ليت لى بمائة منكم شيعة من بني فراس صرف الدينار والدرهم .

ذكر الأحابيش

ومِنْ كِنَانَةَ الأَحَابِيشُ وَهُمْ
إِخْوَةُ بَكْرٍ حَارِثٌ سُوقَتُهُمْ
والهَوْنُ وَالْمُصْطَلِقُ اللذَانِ
عَلَىٰ بَنِي بَكْرٍ يُحَالِفَانِ
وعِنْدَ حِبْشِيٍّ قُرَيْشاً حَالَفُوا
عَلَى الْحُلَيْسِ كَبْشِهِمْ تَأَلَّفُوا

يقول : ومن كنانة الأحابيش وهم ثلاث قبائل ؛ بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة وذلك قوله : إخوة بكر ، أي بكر بن عبد مناة ، وبنو الهون بن خزيمة ، وبنو المصطلق من خزاعة . وبنو المصطلق وبنو الهون كانا يحاربان بني بكر ويحالفان عليهم ، ولذلك دخلت خزاعة في حلف النبي ﷺ ،

ودخلت بكر في حلف قريش ؛ وسميت هذه القبائل الأحابيش لأنهم حالفوا قريشاً عند حبشي ـ جبل بأسفل مكة ـ وتحالفوا على رجل من بني الحارث يقال له حليس ـ كزبير ـ ابن علقمة بن الريان فكأنهم سودوه عليهم ، وكبش القوم رئيسهم . وسوقتهم : جدهم . وتحالفوا أنهم واحد على غيرهم ، ماسجى الليل ووضح النهار ومارئي حبشي مكانه . فسموا لذلك الأحابيش ، وانضموا إلى كنانة لمحالفتهم بني الحارث . وهم من أشرف قبائل كنانة .

وَمِنْ كِنَانَةَ الشَّانُونَ الأُلى

أَيْدِيَهُمْ كَفَّ الْمُهَيْمِنُ عَلاَ

أوْهُمْ لَفِيفٌ مِنْ جَمِيعِ الْعَرَبِ

تَمَالَؤوا لِيَغْدروا خَيْرَ نَبِي

فَأُخِذُوا وَعُتِقُوا وَالْعُتَقِي

لِهؤُلاَءِ الْعُتَقَاءِ يَرْتَقِي

الأُلى : الذين . واللفيف : الأخلاط من الناس . وقوله : من جميع العرب فيه تسامح ظاهره أنه من العرب كلهم ، وليس كذلك ، وهم من ثلاث قبائل من العرب : حمير وسعد العشيرة من قحطان وكنانة من مضر تمالؤوا ؛ تجمعوا على غدر النبي ﷺ إذ كان بالحديبية ، خرجوا من التنعيم يريدون ذلك ، فاستشعر بهم المسلمون فأخذوهم وأتوا بهم النبي ﷺ فأعتقهم . وأيديهم مفعول كف . وعلاصفة للمهيمن تبارك وتعالى .

ذكر ابن القاسم العتقي

والعتقي الـذي يعني هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي الفقيه المشهور صاحب مالـك بن انس . وفي القاموس العتقيون ـ كزفر ـ نسبة إلى العتقاءِ :

عبد الله بن بشر الصحابي ، والحارث بن سعيد المحدث ، وعبد الرحمن بن الفضل قاضي تدمر ، وعبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك ، وله مسجد العتقاءِ بمصر . انتهى . وكان أبوه في الديوان فورث عنه الأموال التي أنفق في كل مرحلة له إلى مالك . قيل : إنه خرج إليه اثنتي عشر مرة ، أنفق في مرة ألف دينار . وسئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب فقال : لو قطعت رجل ابن القاسم لكانت أفقه من ابن وهب . وكان ابن القاسم مع علمه في الرتبة العليا من الصلاح ، وكان يقول : ماكذبت منذ شددت مئزري . وكان سحنون يكتب عنه مروياته عن مالك ، ولا يكتب عنه شيئاً حتى يحلفه على أخذه من مالك . فبينما هو يوماً كذلك وهما على البحر وابن القاسم يخيط إذ سقطت إبرة ابن القاسم في البحر ، فبقي لايخيط ، إذا بسمكة ناولت ابن القاسم إبرته بفيها فأخذها ، ولم يحلفه بعد ذلك . رآه سحنون في النوم بعد موته فقال له : ماوجدت ؟ فقال : وجدت عند ربي ما أحببت ، وماوجدت أفضل من تلاوة القرآن . وسأله عن مسائل الفقه فجعل يلاشيها أي يقول : إنها لاشيء .

هنا انتهى مانظم من كنانة ، ومما بقي على الناظم من قبائلهم قبيلة من ليث يقال لهم بنو غزوان ، منهم شدَّاد بن الهادي الصحابي ، سمي أبوه الهادي

لأنه كان يوقد ناراً للاضياف ليهتدوا بها إليه ، وهو حليف بني هاشم ، وابنه عبد الله بن شداد ولد على عهد النبي ﷺ وروى عن أبيه وعن عمر وعن علي رضي الله عنهم .

وصية عبد الله بن شداد لولده

وهو الذي تعزى إليه وصيته لابنه في النوادر ، وهي أنه لما حضرته الوفاة دعا ابناً له يقال له محمد فقال له : إني أرى داعي الموت لايقلع ، ومن مضى لايرجع ، ومن بقي فإليه ينزع . وإني موصيك بوصية فاحفظها ؛ عليك بتقوى الله وليكن أولى الأمور بك شكرك لله ، وحسن النية في السر والعلانية ، فإن الشكور يُزاد ، والتقوى خير زاد . وكن يابني كما قال الحطيئة :

ولست أرى السعادة جمع مال ... ولكنَّ التقيَّ هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً ... وعند الله للأتقى مزيد
ومالابد أن يأتي قريب ... ولكنَّ الذي يمضي بعيد

ثم قال : أي بني ، لاتزهدن في معروف ، فإن الدهر ذو صروف ، والأيام ذات نوائب ، على الشاهد والغائب ، وكم راغب كان مرغوباً إليه ، وطالب أصبح مطلوباً مالديه ، واعلم أن الزمن ذو ألوان ، ومن يصحب الزمان يرى الهوان ، وكن يابني كما قال أبو الأسود الدؤلي :

وعدَّ من الرحمن فضلاً ونعمة ... عليك إذا ماجاءَ للعرف طالب
وإن امرءاً لايرتجى الخير عنده ... يكن هيناً ثقلاً على من يصاحب
فلا تمنعنْ ذا حاجة جاءَ طالباً ... فإنك لاتدري متى أنت راغب

رأيت الْتــوا هذا الــزمـان بأهله ... وبيـنهم فيــه تكــون النــوائب

ثم قال : يابني ، كن جواداً بالمال في مواضع الحق ، بخيلاً بالسر عن جميع الخلق ، فإن أجود جود المرءِ الإنفاق في أوجه البر ، وأحمد نجل المرءِ الضن بمكتوم السر ، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأوسي :

أجــود بمـكنــون التــلاد وإنني ... بسرك عمــن سالــني لضــنــين
إذا جاوز الاثــنــين سرٌّ فإنــه ... ببث وإفشــاءِ الــوشــاة قمــين

ثم قال : أي بني ، وإن غلبت يوماً على المال ، فلا تدع الحيلة على حال ، فإن الكريم محتال ، والدني عيال ، وكن أحسن ماتكون في الظاهر حالاً ، أقـل ماتكـون في الباطن مالا ، فإن الكريم من كرمت طبيعته ، وظهرت عند النفاذ نعمته ،وكن كما قال ابن خداف العبدي :

وجــدت أبي قد اورثــه أبــوه ... خلالاً قد تعــد من المــعــالي
فأكــرم ماتــكــون علي نفســى ... إذا ماقــل في الأزمــات مالي
فتحسن سيرتي وأصــون عرضي ... وتجمــل عنــد أهــل الـرأي حالي
وإن نلت الـغـنى لم أغــلُ فيــه ... ولم أخــصص بحــبــوتي المــوالي

ثم قال : أي بني . وإن سمعت كلمة من حاسد ، فكن كأنك لست بشـاهـد ، فإنـك إن أمضيتهـا حيالها ، رجع العيب إلى من قالها . وكان يقال : الأريب العاقل هو الفطن المتغافل . وكن كما قال حاتم الطائي :

فما من شيـمـتي شتـم ابـن عمي ... ومــا أنــا مخلف من يرتجــيــني
وكــلمــة حاســد من غير جرم ... سمعت فقلت : مُرّي فانفـذيني

فعابوه عليّ ولم تعبني ... ولم يعرق لها يوماً جبيني
وذو اللونين يلقاني صديقاً ... وليس إذا تغيّب يأتليني
سمعت بغشه فصفحت عنه ... محافظة على حسبي وديني

ثم قال : يابني ، لاتؤاخ امرءاً حتى تعاشره ، وتتفقد موارده ومصادره ، فإذا استطبت ورضيت الخبرة ، فواخه على إقالة العثرة ، والمواساة في العسرة ، وكن كما قال المقنع االكندي :

أبل الرجال إذا أَردت إخاءَهم ... وتوسمنَّ فعالهم وتفقَّد
وإذا ظفرت بذي اللبابة والتقى ... فيه اليدين قرير عين فاشدد
وإذا رأيت ولامحالة زلة ... فعلى أَخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال : أي بني ، إذا أَحببت فلا تفرط ، وإذا بغضت فلا تشطط ، فإنه قد كان يقال : أَحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أَن يكون بغيضك يوماً ما ، وابغض بغيضك هوناً ما ، عسى أَن يكون حبيبك يوماً ما . وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري :

وكن معقلاً للحلم واصفح عن الخنا
فإنك راءٍ ماحييت وسامعُ
وأَحبب إذا أحببت حباً مقارباً
فإنك لاتدري متى أَنت نازعُ
وأَبغض إذا أَبغضت بغضاً مقارباً
فإنك لاتدري متى أَنت راجع

وقد قدمناها لأبي الأسود الدؤلي لكثرة ما ننقلها كذلك ، ثم قال : وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث ، وإياك وصحبة الأشرار فإنها عار ، وكن كما قال الشاعر :

اصحب الأخيار وارغب فيهم ... رب من صاحبته مثل الجربْ
ودع الناس فلا تشتمهم ... وإذا شتّمت فاشتم ذا حسبْ
إن من يشتم لئيماً كالذي ... يشتري الصفر بأعيان الذهب
واصدق الناس إذا حدثتهم ... ودع الناس فمن شاءَ كذب

القول في قريش

قُرَيْشٌ الـنِّضْرُ وَقِيـلَ فِهْـرُ
وَبـالْبِطَاحِ كَعْبٌ اسْتَقَـرُّوا
وبـالـظَّواهِـرِ سِوَاهُم ابْـذَعَـرْ
وَالْحُمْسُ كُلُّ مَنْ عَلَى الحَمْسَاءِ قَرّ

قريش علم لهذه القبيلة المشرفة بسيدنا محمد ﷺ حتى شرفت بشرفهم به جميع عدنـان على قحـطان بعـد أن كانـوا كالمـوالي لهم ، واختلف فيمن اسمه قريش ؛ هل هو النضر ـ وهـو الأصـح ـ ولـذلك أتى الناظم رحمه الله في فهر بصيغة التمريض . وقيل : لايسمى قريشاً إلا من ولده فهر . وكتب الأنساب يذكرون أن قريشاً اسم فهر الذي تسمى به رأساً وإنما نبزته أمه بعد ذلك فهراً ، ثم اختلف في سبب تسميتهم بهذا الاسم ؛ فعلى أنه النضر قيل : سمي بذلك لتقرشه عن خلات الناس ليسدها . والتقرش : التفتيش . قال الحارث بن حلزة :

أيهـا الـنـاطـق المقـرش عنـا ... عنـد عمـرو فهـل لذاك بقـاءُ

وقيل : سمي بذلـك لأنه كان نائمًا في الحجر ، فرأى في منامه كأن شجرة خضراءَ خرجت في الهواءِ قد بلغ فرعها السماءَ وامتدت أغصانها شرقاً وغرباً ، وإذا هو أقرب الناس إليها ، وإذا رجال بيض الوجوه يتعلقون بها ،

وسمع قائلاً يقول : هذه شجرة قريش ، لاسخف ولا طيش . فعرضها على الكهنة ، فقالوا : إن صدقت رؤ ياك ليخرجن من صلبك أشرف الناس ، وليسمِّك الله اسمًا شريفاً . فاتفق أن ركب بحر الهند في سفينة . فعرضت لهم دابة عظيمة من دواب البحر يقال لها قريش ، تأكل مافي البحر من حيّاته وغيرها ، وتأكل السفن وأهلها ، فجزع منها أهل السفينة وخافوا الهلاك ، فرماها بسهم فقتلها واحتز رأسها وقدم به مكة ، فنصبه على أبي قبيس وسمي بذلك . وقيل : سموا قريشاً لتقرشهم في البلاد ؛ وهو التجارة . قال الشاعر :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً
وكذا في البلاد حيُّ قريش يأكلون البلاد أكلاً كميشا

وقيل : سموا بذلك لتجميعهم ؛ أخذاً من التقريش وهو الاجتماع . قال السهيلي في روضه بعد ماذكر من الأقوال : والأصح أنهم سموا باسم عيرهم ؛ كان يقدم بها قريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة على الشام فيقولون : قدمت عير قريش ،وإذا قدمت على أهلها يقولون : قدمت عير قريش بن بدر . وأبوه بدر ؛ سميت به البئر المشرفة لأنه أول من فطرها ، ثم سميت القبيلة باسم عيرها المسماة بالرجل الذي كان يقدم بها ويسوسها .

أول من فرق بين قريش البطاح هم
بنو كعب بن لؤي وقريش الظواهر بنو عامر وسائر بني فهر

ثم قريش قسمان : قريش البطاح ؛ وهم بنو كعب بن لؤي ، وقريش الظواهر ؛ وهم بنو عامر بن لؤي وسائر بني فهر ؛ كبني الحارث وبني

محارب ، وذلك قول الناظم رحمه الله : وبالبطاح كعب ألخ .

وأول من فرَّق بين قريش البطاح وقريش الظواهر ذكوان مولى عمر بن الخطاب بقوله :

تقاصرت للضحاك حتى رددته … إلى حسب في قومه متقاصر
ولو شاهدتني من قريش عصابة … قريش البطاح لا قريش الظواهر

يعني به الضحاك بن قيس وكان قصيراً ، ضربه فلم ينله .

وقوله : سواهم ، أي سوى بني كعب من قريش ومن سكن مكة غيرهم من خزاعة وكنانة وغيرهما . وابذعر : تفرق على ظواهر مكة من جبال وغيرها .

قوله : والحمس ألخ . هو اسم يطلق على سائر سكان مكة من بني كعب وغيرهم ؛ لأنهم سموا باسم الأرض التي هم عليها ، وهي الحمساءُ ، وهي مكة ، سميت بذلك لحمرة ترابها .

يقول : قريش مَن وَلَدَه النِّضر ، وقيل من ولده فهر كما قدمنا ، ثم ذكر منازلهم فقال : أما كعب فاستقروا ـ أي سكنوا ـ بطحاءَ مكة ، وغيرهم من قريش تفرق على ظواهر مكة ، والجميع من كعب وغيرهم ممن قر أي سكن مكة يقال فيه الحمسُ .

قُرَيْشٌ الأَنْـصَـارُ مَعْ مُزَيْـنَـهْ

أَشْـجَـعُ أَسْـلُمُ كذا جُهَـيْـنَـهْ

سَابِعُهَا غِفَارُ لَايُسْتَرْقَقُ
سَبِيُّهَا لِفَضْلِهَا بلْ يُعْتَقُ

هذه القبائل السبع أربع منها عدنانية وهي : قريش وغفار بن ضمرة ابن بكر بن كنانة ، وأشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ، ومزينة بنو عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ، واثنتان من الأزد وهما الأنصار وأسلُمُ ـ بضم اللام ـ وواحدة من قضاعة وهي جهينة . وذكر الشيخ محمد اليدالي في ذهبه أنه في الحديث [1] هكذا ، وذكر في كتاب الأنساب أنه في بعض الكتب القديمة .

قوله : قريش ، مبتدأ خبره لايسترقق أي لا يُعبّد ، ومابين المبتدإ والخبر متعاطفات بحذف العاطف مرة بتعويض شيءٍ عنها . وقوله : لفضلها بتأنيث الضمير باعتبار القبائل ، وبتذكيره عود على السبي ؛ وقيل : كل العرب لايسترق سبيهم لفضلهم على العجم بالنبي ﷺ .

قلت : يستفاد ذلك من فعل النبي ﷺ بسبايا العرب التي سبى ، إذ لم يسترقق أحداً منهم بل يعتقه إما بردّه على أهله كسبايا هوازن ، وإما بالمباشرة بالعتق كبني المصطلق وسبي بني حاتم ، ولم نقف على من استرقه إلا القول بأنه أعطى بنت أم قرفة لخاله حزن بن وهب فأولدها ، وأصح منه القول بأنه فدى بها أسيرين من المسلمين كانا بمكة . والله تعالى أعلم .

(١) وهو حديث مما اتفق عليه الشيخان انظر زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم .

نسب بني فهر

وَانْسُبْ لِفِهْرٍ حارثاً محاربا
وَانْسُبْ إِلَىٰ مُحَارِبٍ أَهَاضِبَا
كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ ضِرَارُ ذو الـدَّدِ
مُزَوِّجُ الْحُورِ مِن اهْلِ أُحُدِ

يقول : وانسب لفهر أصالة بني الحارث وبني محارب بعد غالب عمود النسب ، ثم بدأ بذكر بعض مشاهير بني محارب ، وشبههم بالجبال تشبيه الأوصاف المعنوية بالذوات الحسية فقال : وانسب إلى محارب أهاضباً أي رجالاً كالأهاضيب ، وهي جمع هضبة ، أو جمع هضاب جمع هضبة ، وهي الجبل الصغير ، وحسب الرجال تعظيماً إذا شبهوا بمطلق جبل صغير أو كبير . ثم نص على المشبهين بالجبال فقال : كرز بن جابر ضراراً ، وحذف العاطف لجواز ذلك في السعة وأولى في النظم ، أما كُرْز بن جابر بن حَسِيك ـ بالكاف أو باللام ـ ابن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، فقد أسلم بَعد الهجرة وبعدما أغار على سرح المدينة فتبعه النبي ﷺ حتى بلغ سفوان ـ واد بناحية بدر ـ ففاته ، وهي غزوة بدر الأولى ، ثم أسلم كرز وحسن إسلامه فاستعمله النبي ﷺ على الجيش الذي بعث في أثر العُرَنيين ، فأتى بهم مردفهم وباللقاح ، ولم يزل كرز رضي الله عنه مع النبي ﷺ إلى يوم الفتح ، فاستشهد سنة ثمان لأنه أخطأ الطريق هو وخنيس

ابن خالد الخزاعي أخو أم معبد صاحبة الشاة ، فقتل الكفار خنيساً وكرّ كرز عليه فوقف وهو يقول :

قد علمت صفــراءُ من بني فهــر نقيــة الـلون نقيــة الـصــدر
أني أذود اليوم عن أبي صخر

[فلم يزل يذود عنه] حتى قتل عليه ، وأبو صخر كنية خنيس . قال السهيلي : وانتزع القراءُ نقل حركة المتحرك في الوقف للساكن قبله من قول كزر : فهر وصدر وصخر نحو والصبر . انتهى .

ضرار بن الخطاب رضي الله عنه

وأما ضرار ، فهو ابن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو آكل سقب بكر ، الآتي ذكره إن شاء الله ، ابن خبيب بن عمرو بن شيبان ، [وهو] من مسلمة الفتح ومن شعراءِ قريش وشجعانهم وأشرافهم ، ومن الأربعة الذين وثبوا الخندق ، والدد اللعب ، وليس في العربية اسم على حرفين غيره ، وثلّثه الطرماح في قوله :

واستــطرقـت ظعنهم لما اخْــزَأَلَّ بهم
آلُ الـضـحى ناشــطاً من داعب دَدَدِ

وقوله : ذا الدد ألخ . يشير به إلى قوله لأبي بكر : نحن خير منكم لقريش . فقال أبو بكر : وبمَ ؟ . قال : أدْخلناهم الجنة وأوردتموهم النار . وإلى قوله رضي الله عنه للأنصار ، وقد اختلفت الأوس والخزرج أيهم أشجع يوم أحد فتحاكموا إليه ، فقال : لا أدري ، ولكني زوجت منكم أحد عشر رجلًا من الحور العين .

أَغْــرىَ عَلىٰ شِدَّتِــهِ عُمَــرُ مَنْ

يُنْشِــدُ أَنْ يُنْشِــدَ شِعْـرَهُ الحَسَنْ

أغرى بمعنى أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على شدته في الله ، من ينشد أن ينشد شعر ضرار بن الخطاب الحسن . وقوله : من ينشد ، ليست «من» فيه للعمـوم ولكنها خاصة بقوم سمعهم عمر في الحج يغنيهم رباح بن المعترف بن عمرو المحاربي ، فقال : ماهذا ؟ . فقال عبد الرحمن ابن عوف : لابأس نلهو ويقصر عنا السفر . فقال عمر : عليكم بشعر ضرار ابن الخطاب . وكان عمر رضي الله عنه ينشد الشعر ويستنشده ، وشدة عمر في الله لاتخفى . قال ﷺ : **«أَبو بَكْرٍ كَإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ أَلْيَنُ في الله مِنَ اللَّبَنِ ـ أو من اللِّينِ ـ بالياءِ المثناة ـ وَعُمَرُ كَنوحٍ وَهو أَقْسَىٰ في الله مِنَ الْحَجَرِ أَوْ أَشَدُّ»** أَو كما قال عليه السلام . والضمير في «شدته» عائد على متأخر لفظاً لارتبة وهو شائع . قال محمد بن مالك :

وشاع نحو خـاف ربَّه عمرُ

ومن شعر ضرار بن الخطاب في بدر قوله :

عجبت لفخر الأَوس والحين دائر	**عليهم غداً والـدهـر فيـه بصائر**
وفخـر بني النجار إن كان معشر	**أُصيبـوا ببـدر كلهم ثم صابـروا**
فإن تك قتـلٰى غودرت من رجالنا	**ببــدر وإنــا بعــدهم سنغــادر**
وتردي بنا جُرد العَناجيج وسطكم	**بني الأَوس حتى يشفي النفس ثائر**
ووسط بني النجـار سوف نكرُّها	**لها بالـقنــا والــدارعــين زوافــر**

فنترك صرعى تعصب الطير حولهم ... وليس لهم إلا الأمانيُّ ناصر
وتبكيهم من أهل يثرب نسوة ... لهن بها لَيْلٌ عن النوم ساهر
وذلك أنا لاتزال سيوفنا ... لهن دم ممن يحاربن سائر
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما ... بأحمد أمسى جدكم وهو ظاهر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه ... يحامون في اللأْواءِ والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ... ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لامن نتجت في ديارها ... بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب ... إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل في كل معرك ... غداة الهياج الأطيبون الأكابر

الخ القصيدة . ومن شعره أيضاً قوله يوم الفتح :

يَانَبِيَّ الْهُدَىٰ إِلَيْكَ لَجَا
حَيُّ قُرَيْشٍ وَأَنْتَ خَيْرُ لَجَاءِ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ سَعَةُ الْـ
أَرْضِ وَعَادَاهُمْ إِلٰهُ السَّمَاءِ
وَالْتَقَتْ حَلْقَتَا البِطَانِ عَلَىٰ الْـ
ـقَوْمِ وَنُودُوا بِالصَّيْلَمِ الصَّلْعَاءِ
إِنَّ سَعْداً يُرِيدُ قَاصِمَةَ الـ
ظَهْرِ بِأَهْلِ الْحَجُونِ وَالْبَطْحَاءِ

خَزْرَجِــيٌّ لَوْ يَسْــتَــطِيــعُ مِنْ الْــغَيْــ

ــظِ رَمَــانَــا بالــنَّسْرِ وَالْــعَــوَّاءِ

وكـان ضرار بن الخـطاب في جيوش الشـام ، شرب هو وأبو جندل بن سهيل بن عمـرو وضرار بن الأزور الخمـر متـأولـين بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾[1] ثم اعترفوا لأبي عبيدة فهمّ بجلدهم ، فقالوا : إنك لاق بنا العدو غداً ، فإن أصبنا كُفيتنا وإلا فشأنك بنا ، فلما كان الغد أصيب ضرار بن الأزور وضرار[2] بن االخطاب ، ونجا أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فحده أبو عبيدة بعد أن كتب إلى عمر بالمدينة فأمر بحده .

وَانْسُبْ حَبِيبَهُمْ وَذَا الْكَيـودِ آكِــلِ سَقْبِ بَكْـرٍ الْمَعْبُـودِ

الضمير في حبيبهم يعود إلى بني فهر ؛ كقول الشاعر وهو شريح بن الحارث :

ألا كل من يدعـى حبيبـاً ولــو بدت

مروءَتــه يفــدي حبـيــب بني فهــر

همام يقــود الخـيــل حتـى كأنـما

يطأن برضراض الحصـا جاحِم الجمـر

---

(١) سورة المائدة : ٩٣ .

(٢) تناقض رحمه الله ، لقد ذكر في ترجمة ابن الأزور في الكلام على بني أسد أن الناجي من الثلاثة المحدود بأمر عمر هو ضرار بن الخطاب ، وهاهو هنا يقول أن الناجي المحدود أبو جندل . والله اعلم أي الروايتين أصح .

وهو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمر بن شيبان بن محارب ، يقال له حبيب الروم ؛ لكثرة دخوله عليهم ونيله منهم ، يكنى أبا عبد الرحمن ، ولاه عمر الجزيرة وضم إليها أذربيجان وأرمينية ، ثم عزله وولى مكانه عمير بن سعد الأنصاري الأوسي ، وبعثه عثمان هو وسلمان بن ربيعة الباهلي إلى أذربيجان ، كما روي أن أحد هما مدد لصاحبه فاختلفا في الفيءِ ، فقال رجل من أصحاب سلمان :

فإن تقتلوا سلمان نقتل حبيبكم
وإن ترحلوا نحو ابن عفان نرحل

وكان حبيب فاضلاً مجاب الدعوة ، شهد صفين مع معاوية وبعثه والياً على أرمينية وبها مات سنة اثنتين وأربعين .

وقوله : وذا الكيود ، أي وانسب أيضاً إلى محارب صاحب الكيود ؛ وهو عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان ، ومن كيوده أنه أغار على بني بكر ، ولا أدري أبكر بن وائل ؟ . أو بكر بن كنانة أو هو بكر غيرهما ؟ . فأصاب سَقباً أي حُوَاراً كانوا يعبدونه من دون الله فأكله استهزاءً ، وهو جد ضرار بن الخطاب كما ذكرنا في نسب ضرار .

وَمِنْهُمُ ابْنُ قَيْسٍ الضَّحَّاكُ
حُمَّ لَهُ بِالْوَزَغِ الْهَلاَكُ

أي ومن بني محارب بن فهر الضحاك بن قيس الصحابي وحم : قدر . والوزغ يعني مروان بن الحكم ، قال فيه ﷺ «الْوَزَغُ» نص على ذلك الشهاب على الشفاءِ وأسنده لعبد الرحمن بن عوف ، وأما مايزعم بعض الناس أنه

خاص بذلك الحكم فلا أصل له . وقوله : حم له بالوزغ الهلاك ، يريد به ماوقع يوم مرج راهط ؛ كان الضحاك وزفر بن الحارث الكلابي على جيش عبد الله بن الزبير ، ومروان على قومه فهزم جيش ابن الزبير ، وقتل الضحاك ونجا زفر بن الحارث ، وفي ذلك يقول :

وكنا حسبنا كل بيضاءَ شحمة
عشية لاقينا جذام وحميرا
سقيناهم كأساً سقوْنا بمثلها
ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

والضحاك هو ابن قيس بن خالد الأكبر بن وهب بن واثلة بن ثعلبة بن عمرو بن شيبان بن محارب ، قيل : إنه أبو فاطمة بنت الضحاك ولايصح ، وإنما هي أخته فاطمة بنت قيس التي استشارت النبي ﷺ في تزويج معاوية وأبي جهم بن حذافة وأسامة بن زيد فقال : «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ وَأَمَّا أَبُو جهْمٍ فَإِنَّهُ لاَ يَضَعُ الْعَصَىٰ عَنْ عَاتِقِهِ ، انْكَحِي أُسَامَةَ بن زَيْدٍ**» ، وفيه جواز أن يقال في المسلم صفته غير المرضية عند التفتيش عن حاله ، وجواز الغابة وليست بكذب إذ مراده بقوله : «**لاَ يَضَعُ الْعَصَىٰ عَنْ عَاتِقِهِ**» كثرة الضرب ، كقوله ﷺ في فرس أبي طلحة ، «**وَجَدْنَاهُ بَحْراً**» ، وهذا الحديث هو سبب اجتهاد الشافعي وانفراده عن مالك ، وذلك أنه أتى رجل يسأل عمن حلف بطلاق زوجته أنَ البلبل لايسكت . فقال الشافعي : اذهب إلى الإمام فاسأله ثم ائتني بجوابه لك . فسأله الرجل فقال له : تطلق . ثم أتى الشافعي فأخبره فقال له : لاتطلق . فرجع الرجل إلى مالك فقال له :

الغـــلام القـــرشي يزعم أنها لاتـــطلق . فدعـاه مالـك فقـال له : بم تقـوّي ماتقول ؟ . فقال له : يقول النبي ﷺ : «**أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ الْعَصَىٰ عَنْ عَاتِقِـهِ**» ، قد يضـع أبـو جهم العصى ، وقد يسكت البلبل فقال له مالك : اذهب فاجتهد فإن عليك حق الأمة . ا . هـ .

ولما أنهى الكلام على بني محارب بن فهر شرع يتكلم على بني الحارث ابن فهر فقال رحمه الله :

وَانْسُبْ لِحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ الأَمِيْنْ

أَبَــا عُبَيْــدَةَ المـؤيَّـدِ المَكِــين

سمي أبو عبيدة بالأمين لأن النبي ﷺ سماه ذلك الاسم قال : « **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ**» ، وسماه المؤ يد لقوله ﷺ لنصارى نجران حين امتنعـوا من الإسلام والابتهال فقالوا : يامحمد ، لانرجع عن ديننا ، ونتركك على دينك ، ولكن ابعث معنا من يحكم بيننا في أمور ديننا فإنكم مرضيون عنـدنـا.قال لهم : « **نَعَمْ ، أَبْعَثُ مَعَكُمُ الْقَوِيَّ الأَمِينَ ، إِيتُونِي الْعَشِيَّةَ**» ، قال عمر : ماأحببت الإمارة قط حبّي إياها ذلك اليوم ، رجاءَ أن أكون صاحبها ، فرجعت إلى الظهر مهجراً ، فلما صلى رسول الله ﷺ جعل ينظر يميناً وشمالاً فتشرفت إليه لعله يراني فقال : «**قُمْ يَاأَبَا عُبَيْدَةَ مَعَ هٰؤُلَاءِ فَاقْضِ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ**» ، قال عمـر : فذهب بها أبـو عبيدة . والمكين : ذو المكـانة ، أي المنزلة عند الله ، ويعني أيضاً بالمؤ يد قول الله تعالى فيه وفي أصحابه الآتين قريباً إن شاءَ الله ﴿ **وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ** ﴾[1] .

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

وَفِيـــهِ إِذْ أَهْلَكَ وَالِــداً فَتُــونْ

أَنْــزَلَ لَا تَجِدُ قَوْمــاً يُؤمِـنُــونْ

وفيه أي وفي أبي عبيدة . إذ أهلك : أي قتل . والداً : أي أباه الجراح أو عبد الله بن الجراح على الخلاف ، أنزل الله قوله : ﴿ لَاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[1] إلى آخر السورة . يقال : إن هذه الآيات نزلت في أبي عبيدة وأبي بكر ومصعب بن عمير والمبارزين يوم بدر ؛ أما أبو عبيدة فلقتله أباه ـ إن صح ـ وهو المقصود بآبائهم ، وأما أبو بكر فقد أراد أن يبارز ابنه عبد الرحمن ، وهو المقصود بقوله : ﴿ أَوْ أَبْنَائِهِمْ ﴾ فقال له النبي ﷺ : « مَتِّعْنَا بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» كأنه خاف عليه عبد الرحمن ، لأنه من أرمى قريش ومن أبطالهم . وقد قال عبد الرحمن بعد ذلك لأبيه : استهدفت لي يوم بدر فصرفتُ عنك ، فقال أبو بكر : أما إنك لو استهدفت لي لقتلتك . وهذا بعد إسلام عبد الرحمن . وأما : [أَوْ إِخْوَانِهِمْ] ففي مصعب بن عمير نزلت ؛ مر يوم بدر على الأنصار يأسرون أخاه لأبيه وأمه أبا عزيز بن عمير فقال لهم : شدّوا أسره فإن له أماً بمكة ذات مال تفديه منه . وأما : [أَوْ عَشِيرَتِهِمْ] ففي المبارزين يوم بدر ؛ عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي قتلوا بني عمهم من عبد مناف ؛ عتبة وشيبة والوليد بني ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وبه يلتقون معهم ، وفيهم نزل : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾[2] الآية ، قيل : إنهم يختصمون يوم القيامة عند الله فيقول الكافرون : هؤلاءِ قتلونا ونحن نطلب منهم دماءَنا . فيقــول المسلمــون : نحن قتلنـاهم فيك ياربنـا . فالـذين كفـوا قطعت لهم

---

(١) سورة المجادلة : ٢٢

(٢) سورة الحج : ١٩ .

ثياب من نار . وروي أن علياً كان يقول : الله أكبر ، أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصام .

وقوله : ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ﴾؛ محكي قول نائب قوله أُنزل ، أي وفيه لأجل أو حين أهلك أباه أُنزل قوله تعالى : ﴿ لَاتَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ ﴾ .

وفتون أي يفتن الناس عن دينهم أو بمعنى مفتون ، واسم أبي عبيدة عامر ابن الجـراح أو ابن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن أمية بن غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن عمير بن الحارث بن فهر . وله من الـولـد يزيد وعمير وانقرضا ، ولا عقب له غيرهما ، وأخوه يزيد بن الجراح أول مسلم تزوج كتابية ؛ فإنه تزوج نصرانية حين فتحت مصر . وأبو عبيدة أحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة . ولاه النبي ﷺ سرية الخبط وغـيرهـا وولاه عمر على جيوش الشام ، وعزل خالد بن الوليد وكتم أبو عبيدة ذلك عن خالد فلما علم عاتب أبا عبيدة وقال : تدعني أصلي أمامك وأنت أمـيري ؟ . فلما قدم أبـو عبيدة على أهـل إيلياء قالوا : لانقاتلك ولا نصالحك حتى يأتينـا إمـامكم الأعظم . فكتب أبو عبيدة بذلك إلى عمر ، فلما قدم على جيوش المسلمـين جعلوا يدخلونـه بيوتهم فيورّونـه حسن حالهم ومـاهم فيه من السعـة ، وقال عمر لأبي عبيدة : ألا توريني دارك ؟ . فقال : أخاف أن تقصر عينـك . فلم يزل عمر به إلى أن ذهب به إليها ، فلما دخلها لم يجد إلا ماكان في بيوت المهـاجـرين قيل : السرج واللجام والسيف ونحو ذلك مما يعد للجهاد ، فجعـل عمـر يبكي أشـد البكـاءِ . وفي أول قدومه عليهم لم يجد أبا عبيدة فقال لهم : أين أخي ؟ فقـالوا : يأتيك الساعة . فاستبطأه فقدم أبو عبيدة على ناقة مخطومة بحبل من ليف ، فقام عمر إليه وهو يقول : مرحباً بأخي . ودخل معهم

داراً واسعة ، فقال ماتمنون بهذه الدار ؟ . فقال بعضهم : أتمنى ملأها ذهباً أنفقه في سبيل الله . وجعل كلهم يقول مايقول ، فقال عمر : لكني أتمنى أن أملأها رجالاً كلهم مثل أبي عبيدة . وكان رضي الله عنه أهتم ، ولم ير أهتم أحسن منه . وسبب هتمه أنه انتزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي ﷺ من المغفر يوم أحد ، انتزع إحداهما فسقطت معها ثنية ، وانتزع الأخرى فسقطت الأخرى لأنه تحامى خوف إيلام النبي ﷺ . والهتم والثرم أو كسرهما أو الثنية والرباعية قال الشاعر :

هزلت زينب أن رأت ثرمي وأن انحنى لتقادم ظهري

بصق أبو عبيدة ليلة في المسجد ، فلما أتى بيته تذكر تفلته في المسجد ، فأخذ شعلة نار وخرج بها يسعى حتى أتى المسجد فاستضاء بها على بصاقه إلى أن وجده فدفنه ، فلما دخل بيته قال : الحمد لله الذي لم يُبْتني متلبساً بخطيئة . وقال ﷺ : « **مَا مِنْ أَصْحَابِي إِلاَّ لَوْ شِئْتُ أَخَذْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ أَبَا عُبَيْدَةَ** » . ولا تعد مناقب أبي عبيدة رضي الله عنه . توفي بطاعون عمواس في خلافة عمر رضي الله عنهما .

سَهْلُ بْنُ بَيْضَاءَ عِيَاضُ ذو الْحُروبْ
أَوَّلُ مَنْ جَازَ إِلَى الرُّومِ الدُّرُوبْ

يعني ومن بني الحارث بن فهر سهل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وأخواه سهيل وصفوان شهدا بدراً واستشهد بها صفوان . وسهيل من سرية ابن جحش الذين قتلوا ابن الحضرمي ، واشتهروا بالنسبة إلى أمهم بيضاءَ ، واسمها دعد بنت جحدم

من بني الحارث أيضاً ، وأما سهل فكتم إسلامه بمكة وأُسر ببدر فشهد له ابن مسعود بالإسلام ، ومات هو وأخوه سهيل في حياة النبي ﷺ وصلى عليهما في المسجد . وقيل : مات سهيل في حياة النبي ﷺ وصلى عليه في المسجد ، وأما سهل فلم يمت إلا بعد النبي ﷺ .

وقوله : عياض ذو الحروب ، أي ومن بني الحارث أيضاً عياض بن أبي غنم بن زهير بن أبي شداد بن مالك بن ضبة ، صاحب حروب الروم وهو أول من جاز إليهم الدروب ؛ افتتح الجزيرة والرقة ، وكان ربيب أبي عبيدة ، واستخلفه مكانه ، وأمّره عمر وهو ابن أخي عياض بن زهير ، وفيه يقول ابن قيس الرقيات حين ذكر أشراف قريش :

وعياض وما عياض بن غنم   عصمة الجارحين حب الوفاءِ

وعمه عياض بن زهير هاجر الى الحبشة وشهد بدراً .

وَعُـقْبَـةُ بْنِ نافِـعِ الَّـذْ قَالَا
يَاأَهْـلَ ذا الْـوادِي اظْعَنُوا فَسَالَا
وَادِيــهِ بِالْمَعْـرُوفِ وَالْمَنْكُـورِ
مِنْ كُلِّ مَايَضُرُّ فِي الْـعُـصُـورِ

قصة عقبة بن نافع
مع وادي القيروان

أي ومن بني الحارث بن فهر عقبة بن نافع بن عبد قيس ، ولد على

عهـد النبي ﷺ وهو ابن خالة عمرو بن العاص ، وكان أميراً بالمغرب . وقيل : لاتصح له صحبة . وهو تابعي كبير ، وقصته مع الوادي كما ذكر السيوطي في حسن المحاضرة ، وذكرها غيره حتى اشتهرت : هي أنه كان في رفقة فاتوا وادياً بالقيروان فقيل : هذا الوادي لايكاد أحد ينزله ولايهبط فيه لكثرة سباعه وهوامه . فنزلوا فأشرف على الوادي وقال : اظعنوا أهل الوادي فإنا نازلون . فسال الوادي بكل مافيه من كل مايعرف من السباع والهوام ومالا يعرف ، فجعل الدب يجر ولده والأرنب وسائر السباع والهوام كالحيات والعقارب وغير ذلك ، ثم مكثت تلك البلاد من القيروان وافريقية أربعين سنة لو طلبت حية بأربعين ديناراً ما وجدت .

وقوله : واديه ، أضاف له الوادي لخطابه لما فيه وسمعه وطاعته له . والمعروف والمنكور أي مايعرفه الناس ومالا يعرفونه. وقوله : من كل مايضر ، يفهم منه أن ما لا يضر كالوحوش غير العادية لم يسر عن الوادي ، وفي قصته : فجعل الأرنب يجر ولده .

ومن ولده عبد الرحمن بن عقبة بن نافع ولي أفريقية .

وَالْحَبَشِيُّ ابْنُ أَبِي رَبَاح
مَوْلاَهُمُ الْمَشْهُورُ بالصَّلاَحِ
مِنْ عِلمِهِ الْغَرِيبِ أَنَّ الْجُمُعَهْ
وَظُهْرَهَا وركْعَتَا الْعِيدِ مَعَهْ
فِي الْيَوْمِ يُوجِبُ صَلاَةَ الْعِيدِ
وَيُكْتَفَى عَنْ ظُهْرِهَا الْمَعْهُودِ

وَعِـنْـدَهُ أَنَّ إِرَادَةَ الـسَّـفَـرْ

كَفِعْلِهِ فَالْقَصْـدَ وَحْـدَهُ اعْتَـبَرْ

يعني أنـه من بني الحارث بن فهر بالولاءِ ـ ولا أدري لأيهم ولاؤه ـ الإمام عطاء المشهـور بالصـلاح والعلم والـورع وجميع الأوصاف الحميدة ، ومنها مع غرابـة علمــه أنــه يزيد على النـاس في إكـرام الضيف بأنـه يكـرم الأضياف بالجواري ، والظاهر أنه يمتعهم بهن ويرى ذلك مباحاً لأنهن مال ، والاستمتاع بهن من المنـافـع كلبن الحلوبة وظهر المركوب ، وتأول العلماءُ ذلك بأنه يزوجهن منهم أو يعـطيهن لهم ، ومن غريب علمـه ما ذكـره الناظم رحمه الله بقوله : من علمـه الغـريب الـخ . أي أنه إذا وافق العيد[1] يوم الجمعة يوجب ركعتي العيد المسنـونتـين أو المستحبتين ، وتسقط الجمعة عن أهلها والظهر كذلك ؛ أي من تجب عليه الجمعـة بشروطها تسقط عنه ومن لا تجب عليه الجمعة كأهل البوادي والقـرى التي لم تستـوف شروط الجمعـة ، بل فرضهم الظهر يسقط عنهم ، ولا تجب على الكل بعد ركعتي العيد صلاة إلى العصر .

---

(١) هذه مسألة الخلاف فيها بين العلماءِ مطروق وليست من غريب العلم ، فقد قال قوم من العلماءِ ـ منهم عطاءٌ وابن الزبير ـ إنه إذا اجتمع يوم عيد وجمعة أجزأ العيد عن الجمعة ، وليس على الناس في ذلك اليوم صلاة بعد العيد إلا العصر . وذهب الإمام أحمد إلى أن صلاة الظهر لا تسقط ولكن لا يجب على الرجل الحضور لأداءِ الجمعة ، فإن شاءَ صلاها وإن شاءَ تركها وصلى الظهر فقط ، إلا أن الخطيب يجب عليه حضور الجامع والصلاة بمن حضر ، ويروى هذا المذهب عن عمر وعثمان وابن عباس ، ودليل هذا القول ماروي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : «قَدِ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هٰذَا عِيدَانِ فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ عَن =

وقوله : وركعتا العيد معه ، ذكر الضمير لعوده على الظهر باعتبار . وركعتا مبتدأ خبره معه ، وقوله في اليوم والجمعة حالية ، وخبر أن يوجب . ومن غريب علمه أيضاً أن نية السفر لايحتاج صاحبها إلى الشروع فيه ليفطر ، وإنما يعتبر القصد وحده أي النية الحاصلة ، فمن نوى مثلاً السفر غداً مع أنه قاصد أن يصبح في بيته يصبح مفطراً .

أَعْوَرُ أعْرَجُ أَشَلُّ أفْطَسُ

أَسْوَدُ مِنْ أَنواره يُقْتَبَسُ

ذكر هذه الأوصاف لسيدنا عطاء من غير تنقيص له ، بل استعظاماً

= الْجُمُعَةِ وإنَّا مُجَمِّعُونَ» . رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم .

كما ورد أن معاوية رضي الله عنه سأل زيد بن أرقم : هل شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا في يوم ؟ قال نعم . قال : فكيف صنع ؟ قال : صلى العيد ثم رخص في الجمعة . فقال : «مَنْ شَاءَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيُصَلِّ» ، رواه أبو داود .

وذهب جماعة من أهل العلم ؛ منهم مالك وأبو حنيفة والشافعي إلى أنه إذا اجتمع عيد وجمعة يكلف المرء بهما معاً ؛ بالعيد على أنه سنة وبالجمعة على أنها فرض ولا ينوب أي منهما عن الآخر ، غير أن الشافعي رخص ـ والحالة هذه لأهل القرى المجاورة المخاطبين بالجمعة في المحل الذي تقام به بالقرب من قراهم ، رخص لهؤلاءِ في الخروج إلى قراهم قبل أن يصلوا الجمعة وليس عليهم رجوع لأدائها ، وذلك عملاً منه بما رواه البخاري أن عثمان رضي الله عنه قال في خطبته : أيها الناس قد اجتمع عيدان في يومكم ، فمن أراد من أهل العالية أن يصلي معنا الجمعة فليصل ، ومن أراد أن ينصرف فلينصرف . ولم ينكر عليه أحد . ا . هـ . من كتاب الجمعة لشيخنا الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي بتصرف .

له وتعجباً ممن هذه أوصافه ، وقوله : يقتبس أي يستضاءُ من أنوار علومه وصلاحه وآدابه وعقله ، [يستضيءُ من ذلك] أهل كمال الذوات وغيرهم ، لأن المرءَ بأصغريه قلبه ولسانه ، والفطس ميل في الأرنبة ، قال الراجز :

الميل في أرنبة الأنف طفس

وكان الإمام عطاء من كبار التابعين ومن أجلّهم ، ويروي عنه حازم . وكان أسود لأنه من الحبشة وهم جيل أسود ، منهم بلال بن حمامة المشهور بالسواد ، وقال فيه عتاب بن أسيد إذ سمعه يؤذن يوم الفتح : أكرم الله أسيداً إذ لم يسمع صوت هذا الغراب والحبشة[1] هم بنبارة بالحسانية ، والدليل على ذلك قول الشاعر :

ولي حبشية سلبت فؤادي ... ونفسي لاتتوق إلى سواها
كأن شروطها طرق ثلاث ... تميل بها النفوس إلى هواها

والشروط لاتعرف لغير بَنْبَارَه كما هو المشاهد .

ومن بني الحارث بن فهر وهب وعمرو ابنا أبي سرح بن ربيعة بن هلال

---

(١) وقول الشارح : والحبشة هم بنبارة بالحسانية الخ . خطأ منه رحمه الله ، إن بنبارة BAMBARA قبيلة من قبائل الزنوج بغرب أفريقيا ربما أنها لاتجتمع مع الحبشة قبل حام بن نوح عليه السلام ، ولكن الشيخ رحمه الله ربما لم يخرج من بلده الذي ولد فيه ولم يشاهد ربما غير بعض مماليك مشلخين ، وعندما سمع أن الحبشة يتصفون بذلك ، ظن أنهم نفس القبيلة . اللهم إلا إذا كان يريد أن الحبشة ربما تطلق مجازاً على الجنس الأسود كما يشير إليه قوله ﷺ «وَلَوْ عَبْداً حَبَشِياً» .

والحسانية لهجة عربية دارجة هي التي يجري بها التخاطب في موريتانيا ، وهي أقرب اللهجات العربية إلى الفصحى .

ابن ضبة بن الحارث ، هاجرا للحبشة وشهدا بدراً ؛ ومنهم الخَلَجُ ، ومن الخلج ابن هَرْمَةْ الشاعر وهو ابراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة ، من شعراءِ قريش ، مدح أبا جعفر المنصور بقصيدة فقال له : احتكم . فقال : تسقط عني حدّ الخمر . فأبى المنصور ذلك ، فقال : تكتب إلى والي المدينة : من أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة جلدة . ففعل فكان من مر به سكران يقول : من يشري مائة بثمانين ؟ . فهاب الناس السعي به إلى السلطان .

ومن بني الحارث أيضاً عمرو بن شقيق من شعراءِ قريش في الجاهلية وهو القائل :

لايبعدون ربيعة بن مكدم وسقى الغوادي قبره بذَنوب

الأبيات . وتقدمت في الكلام على ربيعة بن مكدم .

وسكت الناظم رحمه الله عن حي بني تيم الأدرم بن غالب بن فهر ، وسمي الأدرم لأنه ناقص الذقن ويقال لبنيه : بنو الأدرم . دون ذكر تيم ، وآخرهم ابن خطل الذي أسلم وهاجر ثم ارتد . نسأل الله العافية والموت على الإيمان ، ورجع ابن خَطَل إلى مكة ، وكانت له قينتان تغنيان بهجاءِ رسول الله ﷺ ، فلما كان يوم الفتح أمر النبي ﷺ بقتله لو وجدَ متعلقاً بأستار الكعبة ، فوجد كذلك وقتل . انتهى .

نسب بني عامر بن لؤي

ثم شرع يتكلم على بني لؤي ، فبدأ ببني عامر وأخر عمود النسب بني كعب كصنيعه ، فقال رحمه الله :

لابْــنِ لُؤَيٍّ عامــرٍ الْحِــسْــلُ
وَمِنْــهُ الأَعْلَمُ سُهَيْــلُ الْعَــدْلُ
مِن بنْــتِ عُتْبَــةَ ابْنِــهِ الشَّريــدَةْ
زَوْجِ الشَّريــدِ أُمَّــةُ عَديــدَةْ

لؤي بالهمـزة تصغير اللئا وهو الثور الوحشي ، وبغير همزة تصغير ماالتوى من الرمل . والحسل : ولد الضب . والأعلم : مشقوق الشفة العليا .

يقول : إن عامر بن لؤي له الحسل بن عامر ، والحسل منه سهيل الأعلم بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن الحسْل كنيته أبو يزيد . قال حماس بن البكير :

أذفــر صفــوان وفــر عكــرمة وبــو يزيــد كالعجــوز الموتمة

بتخفيف الهمـزة من المؤتمة وإبدالها واواً ، قال السهيلي : فيه حجة لورش في تخفيف أول الكلمة . وسهيل من أشراف قريش ، وصالح النبي ﷺ دون سائر قريش يوم الحديبية ، فلما رآه النبي ﷺ قال : «**سُهِّل لَكُمْ مِنْ أَمْـرِكُمْ**» . قال السهيلي : من للتبعيض لأنه ﷺ رأى أنه يصلح بعضه لا

كله ، لأنهم لم يدخلوا المسجد ذلك العام ، ويردون من أتاهم مسلمًا وغير ذلك مما لم تطب به نفس عمر ولا غيره .

أُسر سهيل يوم بدر ، أسره مالك بن الدخشم السالمي ، فجاءَ مكرز ابن حفص فربط نفسه مكان سهيل وأطلقه حتى أتى بفدائه ، وقال عمر للنبي ﷺ : دعني أنزع ثنيتي سهيل فلا يقوم خطيباً عليك أبداً.فقال النبي ﷺ : «**دَعْهُ فَعَسَىٰ أَنْ يَقومَ مَقاماً تَحْمَدُهُ**» . ولما مات النبي ﷺ وارتد من ارتد من العرب ، قام في قريش خطيباً وقال : إن الدين ليستمد استمداد الشمس في طلوعها إلى غروبها ، فلا يغرنكم هذا من أنفسكم ـ يعني أبا سفيان ـ فإنه يعلم من هذا الأمر ما أعلم ، ولكنه جثم على صدره حسد بني هاشم . فكان ذلك تصديقاً لمقالة النبي ﷺ لعمر : «**فَعَسَىٰ أَنْ يَقومَ مَقاماً تَحْمَدُهُ**» . وكان بعد إسلامه كثير الصوم والصلاة والصدقة ، لكنه لم يهاجر إلا بعد الفتح . وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ**» . وهو أحد الثلاثة الذين قالوا : إن فاتنا إخواننا بسابقة الإسلام والهجرة ، فلنبذل أنفسنا وأهلنا في الجهاد عسى أن نلحق بهم . فخرجوا بأهليهم إلى الشام ، فاستشهدوا ثلاثتهم يوم اليرموك وهم : الحارث بن هشام وأبو سفيان بن[1] حرب وسهيل بن عمرو ، وقيل : جاءَ آت بشراب

---

(١) قلت : عد أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه ممن ماتوا يوم اليرموك غلط فاحش ، ولايمكن أن يصدر من مثل حماد القدوة في السيرة النبوية ومعرفة الأصحاب ، ولكنه فقد عينه الأخيرة يوم اليرموك تحت لواءِ ابنه يزيد ، وعاش إلى أن مات سنة ثنتين وثلاثين وصلى عليه عثمان وقيل : معاوية ، ولعل ذكره هنا غلط من الناسخ ، ويؤيد ذلك أن النسخة الأخرى التي بيدي لم يسم فيها الثلاثة ، على أني لم أقف لهذه المقالة إلا على اثنين فقط هما سهيل بن عمرو والحارث بن هشام . والله الموفق .

إلى أحدهم فوجده يجود بنفسه فقال : اذهب به إلى فلان . فجاءَ به إليه فقال : اذهب به إلى فلان . فقال الثالث : اذهب به إلى فلان . فوجده قد مات ، فرجع به إلى الثاني ثم الثالث كل يجده قد مات ، فرجع بشرابه لم يشرب منه واحد منهم ، ولم يبق منهم ولا من أهلهم إلا عبد الرحمن بن الحارث وفاختة بنت عتبة بن سهيل فقدما المدينة فقال عمر : زوجوا الشريدة من الشريد عسى الله أن ينشر منهما أمة مديدة . فكان ذلك وأقطعهما أرضاً ، والشريد من لم يبق من أهله غيره .

وهاجر إلى الحبشة إخوة سهيل : السكران وسليط وحاطب بنو عمرو ابن عبد شمس ، وشهدوا بدراً وكذلك ابنه عبد الله شهد بدراً ـ وكان محبوساً ـ فخرج مع قريش إلى بدر يرغمونه على رأيهم ، فلما رأى المسلمين هرب إليهم ، وهاجر هو وأخته سهلة بنت سهيل إلى الحبشة مع زوجها أبي حذيفة بن عتبة في الهجرة الأولى .

وَانْسُبْ لِحِسْلٍ الْخِراشَ القَاتِلاَ
أَجِيرَهُ الْمُطَّلِبِيَّ الْبَاذِلاَ
حَبْلاً فَجَاءَت حَبْلُه بأَحْبُلِ
وَانْسُبْ أَبَا سَبْرَةَ أَيْضاً الْعَلِي

الخراش : هو ابن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْلٍ . والمطلبي أجير الخراش هو عمرو بن علقمة بن المطلب ؛ كان أجيراً للخراش في تجارة إلى الشام ، فلما كانوا قافلين نفرت إبل الخراش ليلة ، فرأى بعيراً غير معقول فقال لعمرو : أين عقال هذا البعير ؟ فقال :

مرَّ بي فلان وقد انقطعت عروة جوالق له فأعطيته إياه . فقام له فضربه على رأسه بهراوة فقتله ، وارتحل عنه وبه رمق ، فمرت به رفقة من أهل اليمن قاصدين الحرم للحج أو العمرة فصاح بهم فعطفوا عليه فقال : أتشهدون الموسم ؟ قالوا : نعم ، قال : إن وصلتم الحرم فنادوا في قريش ، ثم نادوا أبا طالب فقولوا له : عمرو بن علقمة يقرئك السلام ، ويقول لك : إن خراشاً قتله في حبل . فبلَّغت الرفقة ذلك لأبي طالب فقال للخراش : ماذا فعلت بصاحبنا أجيرك ؟ . فقال : مرض بالشام فأحسنت القيام عليه إلى أن مات . ثم تحاكموا إلى الوليد بن المغيرة فقضى أن يحلف خمسون رجلاً من بني عامر عند البيت ؛ ماقتله خراش . فقامت أم حويطب بن عبد العزى فقالت لبني عبد مناف : إن يلحقه من مائة ناقة على خمسين رجلاً بعيران ، وأنا أفدي حلفه ببعيرين . فقبلوا منها ذلك فحلفوا ، ولم يحل الحول على واحد منهم إلا حويطب بن عبد العزى ولم يحلفوا أبا سبرة لأنه ابن بنتهم برة بنت عبد المطلب . فقال أبو طالب في ذلك :

أفي فضل حبل لا أباك ضربته ... بمنسأة قد جر حبلك أحبلا

وقوله : وانسب أبا سبرة ؛ هو ابن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن الحسل ، أي انسبه الى الحسل بن عامر ابن لؤي ، وأمه برة بنت عبد المطلب ، وأخوه لأمه أبو سلمة بن عبد الأسد . ووصفه بالعلاءِ لأنه قديم الإسلام بمكة ، وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، وشهد بدراً ثم رجع إلى مكة وسكنها إلى أن توفي بها في خلافة عثمان رضي الله عنهما ، ولم يعلم أحد من المهاجرين رجع إليها غيره . ومن ولده أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن أبي سُبرة ، كان من علماءِ قريش وأشرافهم ، أعان محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بالمال حين خرج عن

المنصـور ، فلما قتل عيسى بن موسى محمد بن عبد الله قيل لأبي بكر : اهرب . قال : ليس لمثـلي الهـروب . فطرح في حبس المـدينـة في الحـديد ، ثم حدث شيءٌ في المدينة فأتاه أهلها فقالوا له : نكسر عنك الحديد . فقال : ليس على هذا أفوت . وقالوا له : اصعد المنبر . فأبى وتكلم تحت المنبر ؛ فأمرهم بالسمع والطاعة لأمير المؤمنين . فبلغ ذلك المنصور فبعث جعفر بن سليمان أميراً على المدينة وأوصاه أن يطلقه ويحسن جواره ففعل .

هشام بن عمرو بن ربيعة

ناقض الصحيفة

وانْسُبْ هِشَـاماً نَاقِضَ الصَّحِيفَهْ

مَخْرَمَـةً ذَا الـرُّتْبَـةِ الْمُنِيفَـةْ

يقـول : وانسب لبني حسـل هشاماً ذا الرتبة المنيفة على غيرها من الرتب منهـا ؛ نقض الصحيفة المشهورة في الجاهلية ، وأحرى بإنافة رتبه بعد أن أسلم وصحب رسـول الله ﷺ . ووصفنـا هشاماً بذي الرتبة وصرفناها عن مخرمة لأنه لايذكر له إسلام ، اللهم إلا إذا كان الناظم وقف له على إسلام ، ومن إنافة رتبة هشـام أي من ارتفـاعهـا ؛ أن من هاجـر من المسلمـين يودع داره لرجـل من المشركين ، فمنهم من وفّى ومنهم من غدر ، وممن وفّى هشام . قال حسان يمدحه :

أخنى بنـو خلف وأخنى منقـذ	وابن الـربيـع وطـار ثوب هشـام
من معشر لايغـدُرون بجـارهم	للحـارث بن حبيب بن شحـا م

وشحام اسم جده جذيمة بن مالك بن حسل ، وهو هشام بن عمرو ابن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن شحام ، وهو من المؤلفة قلوبهم بغير المائة من الإبل ، أعطاه النبي ﷺ خمسين بعيراً .

قصة نقض الصحيفة

وقصة الصحيفة : هي أن قريشاً تمالؤوا على مقاطعة بني هاشم ، وأن لاينكحوهم ولا يتركوا أحداً يبيع منهم ، ويتعرضون للتجار يحبسونهم عنهم ، ورئيسهم في ذلك أبو جهل ـ عليه لعنة الله ـ ومعه في ذلك أو هو أشد منه أبو لهب ، وأخرجوهم من مكة إلى شعب أبي طالب ، وخرج معهم بنو المطلب ؛ مسلمهم وكافرهم وجميع من أسلم ، وبلغوا في شعبهم غاية الجهد ، ثم قام هشام هذا فقال لزهير بن أبي أمية مساراً له : ويحك يازهير ، مايمنعك أن تسود قريشاً آخر الدهر وأنت من بني مخزوم ، وأمك بنت عبد المطلب من بني عبد مناف ؟ . فقال : ماذا تريد مني أن أفعل ؟ . قال : أخوالك بنو هاشم محصورون في غاية الجهد والجوع ، وأنت تقدر أن تنقذهم من ذلك ، قال : فمن يقوم معي ؟ قال : أنا معك . وكان هشام عزيزاً في قومه لخئولة له في بني هاشم ، فقال زهير : ابغ لنا ثالثاً . فجاءَ إلى المطعم بن عدي فقال له نحو ذلك ، فقال : ومن يقوم معي ؟ . قال : أنا وزهير بن أبي أمية . فقال : ابغ لنا رابعاً . فجاءَ أبا البختري بن هشام فقال له ماقال للرهط قبله وقال له : ابغ لنا خامساً . فجاءَ إلى زمعة بن الأسود بن المطلب فأجابه إلى ذلك ، فتعاقدوا ليلاً ، فلما كان من الغد اجتمعت قريش في بعض أنديتها وحضرهم الرهط ، فتكلم أبو جهل وقال : كان من أمر بني هاشم كذا وكذا . فقال : أحد الرهط : كذبت . وتكلموا ، فقال أبو جهل :

هذا أمر قضي بليل . وهو أول من قالها ، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليأخذها فرأوا أبا طالب في رهط هابطين عليهم فقالوا : هذا أبو طالب ماجاءَ إلا لأمر فانتظروه في شأنكم . فجاءَ أبو طالب وقال : يامعشر قريش إن ابني حدثني بشيءٍ إن صدقني فهو صادق فيما يقول ، وإن كذبني فشأنكم به . فقالوا : ماذا أخبرك به ؟ . قال : أخبرني أن صحيفتكم التي كتبتم علينا بعث الله عليها دابة لحست كل مافيها من قطيعة رحم وغيرها ، ولم يبق إلا مافيها من اسم الله واسم نبيه . فقالوا : أنصفت يا أبا طالب . فأخرجوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق صادقاً ولم يزدهم ذلك إلا عناداً وكفراً . ومخرمة هو ابن عبد العزى بن قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وهو أخو حويطب بن عبد العزى وأبي رهم ، وابنه عبد الله بن مخرمة ممن هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها إلى أن استشهد يوم اليمامة رضي الله عنه :

حُوَيْـطِبـاً وَعَبْـدَ وِدٍّ عُدَّهْ   وابْنُ أَبي سَرْحٍ لَهُمْ وَسَـوْدَهْ

حويطباً عطف على هشام بحذف العاطف ، أي وانسب هشاماً ومخرمة وحويطباً وعبد ود ـ اشتغال على اختيار النصب ـ وابن أبي سرح وسودة معطوفان عليه ، ويحتمل أن يكون ابن أبي سرح مبتدأ خبره لهم ، وسودة عطف على ابن أبي سرح ، ويحتمل أيضاً أن يكون وابن أبي سرح وسودة معطوفين على عبد ود ويتعلق لهم في عده ؛ يعني أن حويطب بن عبد العزى أخا مخرمة المتقدم ذكره يعد لهؤلاءِ . أسلم حويطب يوم الفتح وألفه النبي ﷺ بمائة بعير ، وابنه أبو سفيان بن حويطب أمه أم حبيب بنت أبي سفيان شقيقة أمنا أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان ، أمهما بنت أبي العاص صفية عمة عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، كان حويطب يقول : شهدت بدراً مع المشركين

فرأيت الملائكة يقتلون ويأسرون بين السماءِ والأَرض . وهو ممن بعثهم عمر يجدون الحرم فنصب الأَعلام على منتهاه ، وشهد حنيناً والطائف مسلمًا ، واستقـرضـه النبي ﷺ أَربعين أَلف درهـم فأَقرضه إياها ، وعاش مائة وعشرين عاماً ، وتوفي في آخر خلافة معاوية .

من عاشوا مائة وعشرين عاما

وهو سادس من عاش مائة وعشرين عاماً . وهم : حويطب هذا ، ومخرمة بن نوفل الزهري ، وسعيد بن يربوع المخزومي ، وحكيم بن حزام ، وحسان بن ثابت وسادسهم من الكتب من يعده حمنن بن عوف وهو أخو عبد الرحمن بن عوف الزهري ، ومنهم من يعده لبيد بن ربيعة ، ونظمتهم فقلت :

لقـد عاش في الأَصحـاب ستين حجة
ضلالاً وعـاشـوهـا على خير مذهب

سعيـد بن يربـوع حكيم حويـطب
ومخـرمـة الـزهـري وحسـان يعـرب

وفي الـعـد خلف في لبيـد وحمـنـن
بهم [1]أتـقـي الأَسـوا وأَغـنـم مطلب

ولابد أَنهم إذاً سبعة لأَن هذين المختلف بينهما كلاهما اشتهر أَنه عاش كذلك بتاريخ إسلامه ووفاته ؛ أَما لبيد فإنه يذكر ذلك في شعره ـ إن صح أَنه

(١) هذا النوع من التوسل غير مشروع وبالله تعالى التوفيق .

له ـ ويروى عن لبيد أنه لم يقل من الشعر منذ أسلم إلا بيتاً واحداً هو قوله :

الحمـد لله الـذي لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وعبـد ود ابنه عمرو الذي بارز علياً ـ كرم الله وجهه ـ يوم الخندق فقتله علي وكان فارس قريش وخلفه عن أحد جراحات أصابته ببدر ، فلما كان يوم الخنـدق خرج مغضباً لفوات أُحُد له ، فاقتحم الخندق وطلب المبارزة من الصحابة ، فقام له علي بعد لأْي ، وفيه يقول الشاعر :

عمرو بن عبـد كان أول فارس جزع المـزاد وفـارسـاً بيليـل

والمزاد موضع الخندق . ويليل واد يصب على بدر وسماه به .

عبد الله بن سعد
ابن أبي سرح رضي الله عنه

وابن أبي سرح هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب ابن حذيفـة بن مالك بن حسل ، كان أخا عثمان من الرضاعة ، ولذلك استأمن له عثمان النبي ﷺ وكان أمر الصحابة بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبـة ، لأنـه كان أسلم وهـاجر وكتب الوحي للنبي ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة ، فلما دخل المسلمون مكة اختفى حتى اطمأن الناس ، فأتى عثمان واستأمن له النبي ﷺ وقد أتى به إليه فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال : «**نعَمْ**» . فذهب به عثمان ، فقـال النبي ﷺ : «**مَـاسَكَتتُ عَن الـرَّجُلِ إلاَّ لِيَقومَ إلَيْهِ أحدُكُمْ فَيَقْتُلَهُ**» فقال أحد القوم : هلا أومأت يارسول الله . فقال : « **لاَيَنْبَغِي**

لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُـونَ لَهُ خَائِنَـةُ الأَعْـيُنُ» . ثم حسن إسـلامـه وكـان نجيباً كريمًا ، واستعمله عمـر ثم استعمله عثمان وولاه مصر وفتح أفريقية ، ولما بلغه حصار عثمان سأل الله أن يميته ، وأن لا يميته إلا عقب الصلاة ، فصلى الصبح بالناس وكـان يسلم تسليمتـين فسلم التسليمة الأولى وذهب يسلم الأخرى فقبضت روحه بين التسليمتين .

التي خاصمت سعيد بن زيد في الأرض فدعا عليها

وبنت أخيه أروى بنت أويس بن سعيد بن أبي سرح أو ابنة عمه ، هي التي خاصمت سعيد بن زيد في أرض فقالت للقاضي : اقتطعني أرضي . فقـال سعيد : كيف وقد سمعت النبي ﷺ يقول : «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْراً مِنَ الأَرْضِ لِمُسْلِمٍ طَوَّقَـهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» . فتركها لها وقال : اللهم إن كانت كاذبة فأدم فقرها ، واعم بصرها واجعل قبرها في بئرها . فأجيبت فيها دعوته .

وابن أخيها عبد الله بن عمرو بن أويس او ابن أبي أويس ، وأبو أويس وأويس أخوان ، وهو الذي قدم المدينة على الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو أميرها بنعي معاوية ، فأسكته وبعثه إلى الحسين وعبد الله بن الزبير لبيعة يزيد ، فكلاهما اعتذر بالليل ووعده بالصباح ، ولم يذكر له الرسول حاجته إليهـما ، فالتقيا وقـال الحسـين لابن الـزبير : ماترى حاجته إلينا في هذه السـاعة ؟ . فقال : أظن طاغيتهم قد مات ـــ يعني معاوية ـ فخرج ابن الزبير إلى مكة ودعا لنفسه فبويع ، وخرج الحسين إلى العراق فقتل رضي الله عنه . وقد نهاه ابن عباس وابن عمر وقال له : أستودعك الله من قتيل .

أمنا سودة بنت زمعة
رضي الله عنها

وسـودة يعني أُمنا سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ، كانت عند السكران بن عمرو أخي سهيل ، فأسلما وهاجرا الحبشة ، فمات السكران وله منها عبد الله ، فخلف عليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين ، وغلط صاحب قرة الأبصار في قوله : وهاجر الخ .

وكانت رأت في منامها أن رسول الله ﷺ وطىء على ظهرها ، فقصَّتها على زوجها فقال : إن صدقت رؤ ياك فأنا أموت ويتزوجك رسول الله ﷺ . فلما حلت أرسل اليها خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ، فبلغ ذلك أباها وكان شيخاً مشركاً فغضب ، فتزوجها رسول الله ﷺ ثم قدم أخوها عبد الله فغضب ، فلما أسلم بعد ذلك ندم جداً على غضبه ذلك . وعبد الله بن زمعة هو الذي خاصمه سعد بن أبي وقاص في عبد الرحمن بن زمعة وهو ابن وليدة لأبيه ، وأوصى عتبة بن أبي وقاص سعداً أن يأخذه ، فلما كان عام الفتح أتى سعد ليأخذه وقال : إن أخي أوصاني وقال : إذا قدمت مكة اقبض من وليدة زمعة ولداً لي فإنه ابني . وقال عبد الله : هو أخي ، وولد على فراش أبي . فقضى ﷺ لعبد الله بن زمعة وقال : «**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ وَلٰكِنِ احْتَجِبِي مِنْهُ يَاسَوْدَةُ**» لعلمه ﷺ أنه ابن عتبة لشبهه به ، ولكن حكم بالظاهر لأنه مبعوث به بخلاف من قبله من الرسل ، وذلك لفضله الذي منه

الرفق بأُمته [1] وسهولة ملته . جزاه الله عنا أَحسن ماجازى نبياً عن أُمته .

ومن بني الحسل أَيضاً عالم المدينة ابن أَبي ذئب ؛ وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحا رث بن أَبي ذئب .

نسب معيص بن عامر بن لؤي

وذكر ابن أم مكتوم

لِعَــامِــرٍ أَيضــاً مَعِيصُ الْأَعْمَىٰ

خَالُ خَدِيَجــةَ إِلَــيْــهِــمْ يُنْــمَــىٰ

معيص ـ كأَمير ـ مبتدأٌ خبره لعامر ، والأَعمى مبتدأٌ خبره ينمى إليهم . وخال خديجة عطف بيان من الأَعمى . يقول : لعامر بن لؤي من الولد غير الحسل ، مَعِيص ـ كأَمير ـ وفي القاموس معيص ـ كأَمير ـ قبيلة من قريش . ويعنى بالأَعمى عبد الله بن أُم مكتوم [وقيل] اسمه عمرو بن قيس بن زائدة بن الأَصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي ، أُمه أُم مكتوم بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم ، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة مراراً ، وكان يؤذن له ، قال ﷺ

---

(١) لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ وحديث مسلم أَن رسول الله ﷺ لما قرأَ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾قال الله : قد فعلت .

«إذا سَمِعْتُمْ أَذَانَ بِلاَلٍ فَكُلوا وَإذَا سَمِعْتُمْ أَذَانَ ابْنِ أَمِّ مَكْتُومٍ فَأَمْسِكُوا فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَعْمَى لاَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ : أَصْبَحْتَ» . وكان ابن أم مكتوم يوماً مع النبي ﷺ فجاءَ عتبة بن ربيعة فأعرض النبي ﷺ عن ابن مكتوم إلى عتبة طمعاً في إسلامه ، فعاتبه تعالى بقوله : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[1] ونزل جبريل على النبي ﷺ ومعه ابن أم مكتوم فقال : ياهذا ، متى فقدت بصرك ؟ . فقال : فقدته وأنا صغير . فقال جبريل : أبشر فإن الله تعالى يقول : ﴿إذا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي فَلاَ أُجَازِيهِ إلَّا بِالْجَنَّةِ﴾[1] .

وَإِذْ شَكَا لِلْمُصْطفى أَنْ حَذَفَا
غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ جَاءَ الْمُصْطَفَىٰ

مِنْ ثِقَلِ الْوَحْيِ بِهِ مَابَرِحَا
بِفَخِذِ ابْنِ ثَابِتٍ وإذْ صَحَا

أَمَرَهُ بِكَتْبِهَا فَأُدْخِلتْ
وَلَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَاكَ أُنْزِلَتْ

غير أُولي الضرر نائب حذف على أنه مبني للمفعول ، ومفعول به على أنه مبني للفاعل ؛ أي حذف النبي ﷺ غير أولي الضرر في تلاوته إذ لم تكن أُنزلت بعدُ ، وجاءَ المصطفى ، جواب وإذْ . و«ما» من قوله : مابرحا ، فاعل جاءَ . وابن ثابت هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري النجاري كاتب الوحي للنبي ﷺ وسيأتي إن شاءَ الله الكلام عليه . وصحا أي النبي ﷺ من

(١) سورة عبس : ١ ، ٢ .

ثقل الوحي أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يكتب : غَيْرَ أُولي الضَّرر ، فأُدخلت بين المؤمنين والمجاهدون ، يعني : أن عبد الله بن أم مكتوم شكا إلى النبي ﷺ فضل المجاهدين على القاعدين حين نزلت هذه الآية في المدينة ، وكان النبي ﷺ واضعاً فخذه على فخذ زيد بن ثابت وهو يكتب له ، فنزل الوحي عليه . وكان زيد يقول : ما أظن فخذي إلا رضت من ثقل فخذ النبي ﷺ ، وكذلك يكون إذا نزل عليه الوحي ، ولايحمله إلا ناقته الجدعاءُ وربما بركت ، وكان نزول هذه الآية من بركة عبد الله بن أم مكتوم ورفق النبي ﷺ بأمته ، ثم إن ابن أُم مكتوم لم يقنع بهذا العذر الصريح الذي نزل بسببه فيه وحي حتى استشهد رضي الله عنه بالقادسية ومعه لواءُ المسلمين .

تنبيه : سكت الناظم رحمه الله عن مشاهير بني معيص إلا ابن أم مكتوم إذ لم يكونوا كثيرين في الصحابة ، وهانحن نذكر منهم ماتيسر لنا ؛ منهم مكرز بن حفص الأحنف الذي بعثته قريش يوم الحديبية قبل سهيل يسترد النبي ﷺ فلما رآه قال لأصحابه : «أَتَاكُمْ رَجُلٌ فَاجِرٌ» . وهو الذي قال للصحابة حين أسروا سهيلاً : اجعلوني مكانه حتى يأتيكم فداؤه . وفي ذلك يقول :

فديت بأذواد ثمان سبا فتى ... ينال الصميم غرمها لا المواليا
فقلت : سهيل خيرنا فاذهبوا به ... لأبياتنا حتى نديـر الأمانيا

وكان شاعراً ومن شعره قوله :

ولما رأيت إنما هو عامر ... تذكرت أشلاءَ الحبيب الملحب
فقلت لنفسي إنما هو عامر ... فلا ترهبيه واركبي كل مركب
فألجمته سيفي وألقيت كلكلي ... على بطلٍ شاكي السلاح مجرب
وأيقنت أني إن أنله بضربة ... متى ما أحلله الفرافر يعطب

والفرافر اسم سيفه . وعامر رجل من بني الملوح يقال له عامر بن زيد ، قتل أخا مكرز . وفي ذلك يقول هذا الشعر . ولم يذكر لمكرز إسلام إلا مافي نور النبراس أن ابن حبان ذكر له صحبة والله أعلم .

ومن بني معيص أيضاً : حبان بن العرقة . والعرقة جدته لأبيه وهي قلابة بنت سعد بن سهم ، وسميت العرقة لطيب ريحها ، وهو الذي قتل عمير بن الحمام يوم بدر ، رماه فأصابه في حنجرته ثم قتل يوم الخندق سعد ابن معاذ رماه في أكحله فقال : خذها وأنا ابن العرقة . فقال : أعرق الله وجهك في النار .

ومنهم أيضاً : شديد بن شداد ، وهو الذي يقول يحرض عبد الملك على خالد بن يزيد بن معاوية حين تزوج خالد آمنة بنت سعيد بن العاص :

وما يستوي الحبلان حبل تنكثت قواه وحبل قد أمرّ شديد
إذا مانظرنا في مناكح خالد علمنا الذي يهوى وأين يريد
عليك أمير المؤمنين بخالد ففي خالد عما تحب صدود

ومنهم العلاءُ بن وهب من مسلمة الفتح ، ولاه عثمان وكانت عنده أخته لأمه من بنات عقبة بن أبي معيط .

ومنهم حميد بن درة وهو ابن عمرو بن مساحق واشتهر بأمه درة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة ، وهو ابن خالة خالد بن يزيد بن معاوية .

ومنهم بشر بن أرطأة البطل الذي قتل ابني عبيد الله بن العباس .

الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات

ومنهم الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات ، سمي بذلك لأنه تشبب بثلاث نسوة كلهن اسمها رقية ، فهو إذاً وصف عبد الله لاقيس وهو عبد الله ابن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب بن حجير بن عبد الله بن معيص ، وأمه من بني ليث بن بكر بن كنانة . ومن شعره قوله حين أتاه نعي ابني أخيه قتلا يوم الحرة :

إن المصائب بالمدينة قد أوجعنني وقر عين مروتيه
وأتى كتاب من يزيدَ وقد شد الحزام بسرج بغلتيه
فنعى أسامة لي وإخوته فظلت مستكاً مسمعيه
كالشارب النشوان قطره سمل الزقاق تفيض عبرتيه

ويزيد الذي أتى منه كتاب هو يزيد بن مالك بن ربيعة من بني معيص ، كتب إليه كتاباً فيه مقتل ابني أخيه أسامة وسعد ابني عبد الله الأكبر ابن قيس ، وكان عبد الله بن قيس مع مصعب بن الزبير في حروبه لعبد الملك ابن مروان ، ويكثر من مدح مصعب ومنه قوله :

إنما مصعب شهاب من الـ ـلّه تجلت عن وجهه الظلماءُ
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا له كبرياءُ

وقوله فيه :

إن يعش مصعب فنحن بخير قد أتانا من دهرنا مانرجي
يلبس الجيش بالجيوش ويسقي لبس البخت في عساس الخليج
جلب الخيل من تهامة حتى بلغت خيله قصور الفريج

فلما قتل مصعب اختفى ابن قيس ، ولم يزل عبد الملك يجعل الأجعال لمن يأتيه به ، وهو في دار امرأة من أهل الكوفة ، قد أخفته في غرفة من بيتها ، وهي تبالغ في إكرامه ، فلما طال عليه ذلك قال لها : لابد لي من لقاء عبد الله ابن جعفر بالمدينة . فقالت : أتانا آنفاً رسول أمير المؤمنين يسأل عنك . ولكن انزل عند صلاة المغرب . ففعل فوجدها أرحلت له راحلة وعليها مايكفيه من الزاد والمتاع والمال ، وقصد ابن جعفر فأتاه مستجيراً به ، فسار ابن جعفر إلى عبد الملك وكان صديقاً له فاستحيى أن يواجهه مستشفعاً لابن قيس ، فاستشفع بأم البنين بنت عبد العزيز ؛ وهي بنت أخي عبد الملك وزوج ابنه الوليد ، فاستأذنت عليه وقالت : ياعم ، لي إليك أعظم حاجة . فقال كل حاجة تقضى لك إلا ابن قيس . فقالت : هو حاجتي ياعم . فلطمها على الأنف حتى أرعفها . فخرجت عنه تبكي ، فرق لها واستردها فأرضاها بابن قيس . وقال لعبد الله : ائتني بابن قيس . فأتاه به فلما دخل عليه قال قصيدته التي أولها :

عاد له من كثيرة الطرب ... فعينه بالدموع تنسكب
كوفية نازح محلتها ... لاأمم دارها ولا صقب

إلى أن قال في مدح عبد الملك :

إن الأغر الذي أبوه أبو الـ ... ـعاص عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب
مانقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

غنت جارية الرشيد فقالت : مانقموا من بني أمية . البيت . فغضب ورأت الغضب في وجهه ، فقالت :

وأنهم معـــددون النفاق فلا تفـــســـد إلا عليـــهـم الـعـــرب

فسكن غضبه .

فقال عبد الملك لعبد الله بن قيس : تمدحني بالتاج كأنني من العجم وتمدح مصعباً بقولك : **إنما مصعب شهاب من الله . . .**

اذهب ولك دمك ، ولكن لايصل إليك معروف مني أبداً . فجاءَ عبد الله بن جعفر وقال : عفا عني وكأنه قتلني . قال : بماذا ؟ . قال : قطع عني العطاءَ والشاعر إذا قطع عنه الملك العطاءَ فماذا يعيش به ؟ . وماحاجته في الحياة ؟ . فقال ابن جعفر : ماذا كنت تؤمل منه ؟ قال : كذا وكذا . قال : لك عندي ضعفه كل سنة . فجعل ابنُ قيس ابْنَ جعفر مكان مصعب بن الزبير في المدح ، وأكثر من شعره فيه . ومن ذلك قصيدته :

تقدَّتْ بِيَ الشهباءُ نحو ابن جعفر سواءٌ عليها صحوها وغيارها

إلى أن قال :

وحـــولي مما خول الله هجـمـــة عطايـاك منها شولها وعشارها
مبـــاركـــة كانت عطايــا مبارك تمانــح كبراهـا وتنمـو صغـارهـا

وسلم ابن قيس يوماً على ابن عتيق فقال له : وعليك السلام يافارس العمياءِ . فقال : ماهـذه العمياءُ ؟ . قال قولك : سواءٌ عليها صحوها وغيارها ، وهذه صفة العميان . فقال ابن قيس : أُريد جدها في السير نهاراً واقتحامها الظلمة . فقال : بيتك إذاً يحتاج إلى ترجمان . وتوفي عبد الله بن جعفر بالصداع ، فرثاه ابن قيس بمراثي منها قصيدة يقول فيها :

قال يشكـو الصـداع وهـو سقيم بك لابـالـذي عنيت الصـداعُ
لا ابن أســماءَ لا أبــالـك تعني إنــه غير هالـك نفَّــاعُ

تتمة : لم يذكر الناظم رحمه الله للؤي إلا كعباً وعامراً لأنهما قريش مكة ، وغيرهما من بنيه دخلوا في قبائل العرب ؛ وهم سامة وخزيمة والحارث وسعد وعوف ، على القول بأنه ابنه ، وذكره الناظم في ذبيان ، وذكره تذبذبه بين لؤي وسعد بن ذبيان ؛ وأما سعد بن لؤي فهم بُنَانَةُ ـ بضم الباءِ وتخفيف النون كثمامة ـ منهم المحدث الزاهد ثابت البناني ، نسبوا إلى حاضنة اسمها بنانة .

وأمـا سامـة فإنه كان بينه وبين عامر شحناءُ ، ففقأ عين أخيه عامر فأخافه عامر ، فخرج إلى عُمان وسكنها ، ثم إنه سافر على ناقة فبينما هو يسير عليها إذ وضعت رأسها ترعى ، فأخذت حية بمشفرها فرفعت رأسها تحكه من الألم ، فوقعت الحية على سامـة فنهشته ووقعت الناقة إلى جنبها ، فلما أحس سامة بالموت قال :

عين فابـكـي لسـامـة بن لؤي	علقـت ساق سامـة الـعـلاقـة
لاأرى مثـل سامـة بن لؤي	يوم حلّوا به قتـيـلاً لنـاقـة
بلّغـا عامـراً وكـعـبـاً رسـولاً	إن نفسي إلـيـهـما مشتـاقـة
إن تكـن في عُمان داري فاني	غالـبـيّ خرجـت من غير فاقـة
رب كأس هرقـت بابـن لؤي	حذر المـوت لم تكـن مهـراقـة
رمت دمـع الحتـوف يا ابن لؤي	ما لمن رام ذاك بالحـتـف طاقـة

وفد رجل من بني سامة بن لؤي على النبي ﷺ وانتسب له ـ إلى سامة ،

قريش البطـاح

بنو كعب بن لؤي

بِمَـوْتِ كَعْبٍ أَرَّخُـوا لِشُهْـرَتِـهْ

رَدَّ إِلَىٰ الـدِّيـنِ أَهَـالِي مكَّـتِـهْ

يَدْعُـو إِلَىٰ الـنَّـبِـيِّ كُلَّ جُمُعَـةْ

بِخُـطَبٍ كُلَّ الـرَّشَـادِ مُودَعَـةْ

يقـول : إن قريشاً أو غيرهم كانوا يؤرخون بموت كعب بن لؤي لشهرته ، يقولون : كان كذا وكذا بعد موت كعب ، كتاريخنا الآن بالهجرة النبوية على صاحبها أشرف الصلاة والسلام ، وداموا على ذلك إلى أن قدم عليهم الفيل فأرخوا به ، وبينهما خمسمائة عام وعشرون عاما ، وقدوم الفيل هو مولد النبي ﷺ ، سبق الفيل [مولده الشريف] بخمسين يوماً ، وأضاف مكـة إلى كعب لأنـه سيد أهلها غير مدافع . وكل الرشاد ؛ مفعول ثان لمودعة . والدين الذي رد إليه كعب أهل مكة وهو دين ابراهيم عليه السلام ؛ وهي الحنيفية السمحاءُ البيضاءُ السهلة التي جاءَ بها النبي ﷺ وقوله : يدعو إلى النبي كل جمعة ، يعني أنه كان كل جمعة يجمع أهل مكة ، وبذلك سميت الجمعة جمعة لجمعه الناس فيها ، وكان اسمها العَروبة ، وكان يخطبهم ، ومن خطبه إياهم قوله :

أيها الناس اسمعوا وافهموا وتعلموا ، ليل ساج ونهار ضاح ، والسماءُ بنـاءٌ والأرض والنجوم أعلام ، لم تخلق عبثاً فتضربوا عن أمرها صفحاً . الآخرون كالأولين ، والدار أمامكم واليقين غير ظنكم ، صلوا أرحامكم واحفـظوا أطهـاركم وأوفـوا بعهدكم وثمروا أموالكم فانها قوام مروءَتكم ، ولاتصونوها عما يجب عليكم ، وعظموا هذا الحرم وتمسكوا به فسيكون له نبأٌ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، ثم ينشد أبياتاً منها :

صروف وأنـبـاءُ تقـلب أهـلهـا
لها عقـده ما يسـتحـل مريـرهـا
على غفـلة يأتي الـنـبـي محمـد
فيخـبر أخبـاراً صدوقـاً خبـيرهـا

ثم يقـول : ياليتني شاهد فحواءَ دعوته ، حين العشيرة تبغي الحق خذلانـاً ، أما والله لو كنت ذا سمع وذا بصر ويد ورجْل ، لتنصبت فيها تنصب الفحل ، ولا رقلت فيها إرقال الجمل ؛ فرحاً بدعوته وجذلاً بصرخته .

بنو عدي بن كعب

أَبُـو هُصَـيْصٍ وَعَـدِيٍّ مُرَّةْ
فَمِـنْ عَدِيٍّ قُطْبُـهُـمْ ذو الـدُّرَّةْ

ذكر أولاد كعب وهم ثلاثة [هصيص وعدي ومرة] وبدأ بعدي على هصيص لأن منهم سيدنا وإمامنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأتبعه

هصيصاً ، وأخر عمود النسب وهو مرة لأن ذلك دأبه اهتماماً به ولأنه الأصل ، وتقديم الفرع على الأصل في مثل هذا أولى . وقطب القوم : سيدهم الذي عليه مدار أمرهم ؛ مأخوذ من قطب الرحى ؛ وهو العود المنصوب الذي عليه تدور . وقطب السماء نجم ثابت لايغرب ولايتحرك عن مكانه وتدور عليه النجوم من بنات نعش وغيرها . والدرة العصى [وقد غلب هذا] الاسم على عصى عمر رضي الله عنه التي اتخذها لتأديب الناس يضرب بها العاصي ، ثم اتخذت الملوك بعد ذلك السيف ، وأول من اتخذه معاوية رضي الله عنه مع سعة حلمه لإجابة دعوة النبي ﷺ حين قال له : ماذا الذي يليني منك ؟ . فقال : بطني . فقال : ملأ الله بطنك حلمًا . وهصيص كزبير - أبو قبيلتين عظيمتين من قريش هما سهم وجمح ابنا عمرو بن هصيص .

سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبَرُّ الأَغَرْ
أَبُو الْفُتُوحِ نُورُ الاسْلَامِ عُمَرْ

السراج : المصباح . والبر بالفتح فاعل البر بالكسر . والأغر : الكريم ويكنى عمر أبا الفتوح لكثرة فتوحاته . وأشار في أول البيت وفي آخره إلى ماروي أن عمر أتاه يوماً الحسن والحسين فأمسكهما سائر ذلك اليوم يبالغ في إكرامهما ، ثم كساهما وأرسلهما ، فأتيا علياً فأخبراه فسر بذلك وقال : إني لأعرف في عمر خيراً من ذلك ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**عُمَرُ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، عُمَرُ نُورُ الإِسْلَامِ**» . فرجعا إليه فأخبراه بما قال أبوهما ، فدعا ابنه عبد الله وأمره بكتب هذه الكلمات ، وأوصاه إذا مات أن تدفن معه . ولما توفي رضي الله عنه دفن عبد الله معه الورقة ، فأصبح مكتوباً على قبره :

صدق سيدا شباب أهل الجنة . وصدق أبوهما . وصدق رسول الله ﷺ الصادق المصدوق : «**عُمَرُ سِرَاجُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عُمَرُ نُورُ الْإِسْلَامِ**» . قلت : لايستغرب مثل هذا في سيدنا عمر أمير المؤمنين رضي الله عنه ؛ لأنه قطب المسلمين جميعهم لا بني عدي خصوصاً ؛ لقيامه بحقوقهم الدنيوية والأخروية ولإجماع الأمة على أن أفضل الناس بعد الأنبياءِ أبو بكر ثم عمر .

ومن قيامه بحقوقهم أنه كان يتجسس الديار ليجد من به خلة فيسدها ، فسمع ليلة امرأة تقول لابنتها : أَوْفي اللبن بالماءِ . فقالت البنت : نهى أمير المؤمنين عن غش اللبن . فقالت الأم : ومن يعلم أمير المؤمنين بفعلك ؟ . فقالت البنت : ماكنت لأطيعه شاهداً وأعصيه غائباً . فلما غدا قال لأحد بنيه : إني الآن لا أريد التزويج ، فتزوج هذه الجارية .

وبينما هو ذات ليلة إذ سمع عجوزاً تشكو فاقتها وفاقة عيالها ، فأتاها وسألها فشكت له وجعلت تسب أمير المؤمنين فقال لها : ومايدري أمير المؤمنين بحالك ؟ . فقالت له : من أين له أن يغفل عن حالنا ؟ . فذهب فأتى بدقيق وأوقد ناراً وطبخ لها ولصبيانها حتى شبعوا ، ثم جعل يلاعبهم ويركبهم على ظهره على أنه كالدابة لهم [حتى ضحكوا] . ويوم قتل عمر أصاب المدينة ما أصابها يوم توفي النبي ﷺ حتى كان الصبى يقول لأبيه : هل قامت القيامة ؟ . فيقول : لا ، ولكن قتل عمر . وخلافته عشر [1] سنين

---

(١) بويع لعمر رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الأخيرة سنة ثلاث عشرة ، وتوفي رضي الله عنه انسلاخ سنة ثلاث وعشرين بعد رجوعه من الحج ، فتكون مدته عشر سنين وستة أشهر تقريباً . والله أعلم .

قدر مدة النبي ﷺ بالمدينة . وعمره ثلاث وستون مثل عمر النبي ﷺ إلا أن خلافته زادت عن المدة النبوية [بالمدينة] بستة أشهر ، فكأنه كان يبني ويقوي ويجدد ماشرعه لهم رسول الله ﷺ .

وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وكنيته أبو حفص . والحفص ولد الأسد . كناه النبي ﷺ بذلك يوم بدر لشدته في أمر الأسارى ، وأمه حنتمة بنت هاشم ابن المغيرة ، وغلط من يقول بنت هشام بن المغيرة ، وهي بنت عم أبي جميل وليست بأخته .

قتله ـ رضي الله عنه ـ أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو مجوسي وقيل نصراني [ولما أصيب] قال لابنه عبد الله : انظر من قتلني . فقال : غلام المغيرة بن شعبة . فقال : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يحاجني بلا اله إلّا الله . وحين طعنه قال : قتلني الكلب . فابتدره الناس فجعل يضرب يميناً وشمالاً حتى طعن اثني عشر رجلاً ، وحتى ألقى عليه رجل برنساً ، فلما رأى أنه لايستطيع النجاة نحر نفسه ، فأمر عمر أن يدعى له طبيب ، فقال له : أي الشراب أحب إليك ؟ . قال : النبيذ : فسقاه نبيذاً فخرج من الطعنة فقال : لا أراك تصلي الظهر ، فما أنت فاعل افعله . فجعل الشورى ، وأمر صهيباً بالصلاة عليه ، وأوصى الناس أن يصلي بهم في ثلاث الشورى ، ولما احتضر قال لابنه عبد الله ، ورأسه في حجره . : اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فاستأذنها لي أن أدفن مع صاحبيّ ، فإن أذنت فادفني معهما وإلا فادفني مع أصحابي بالبقيع ، واقض عني ديوني واستعن عليها ببنى الخطاب ، ثم في بني عدي ثم في قريش ولا تجاوزهم إلى غيرهم . وجعل يقول :

ظلوم لنفسي غير أني مسلم أصلِّي صلاتي كلها وأصوم

فِي الشَّرْقِ والْغَرْبِ وفي الشَّام لَهُ

مَا لَمْ يَكُنْ لِذي الْخِلَال قَبْلَهُ

عَلَىٰ زُهَاءِ أَرْبَعِينَ أَلْفَا

فِي الْعَامِ يَحْمِلُ إلَيْهَا الزَّحْفَا

عَلَىٰ بَعِيرٍ رَجُلٌ لِلشَّام

وَرَجُلَانِ لِلْعِرَاقِ السَّامِي

يعني بالشرق العراق وبالغرب مصر وما والاها من البلاد التي ليست من الشام . وذو الخلال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه . وقوله : مالم يكن مبتدأُ وخبره متعلق له قبله ، أي الذي لم يكن لأبي بكر قبله كائن له في الشرق والغرب ألخ . وزهاءَ بمعنى نحو ، وتمييز العدد بعير محذوف ؛ أي أربعين ألف بعير . والزحف : الجيش . والسامي : الرفيع ، وصف به العراق لكثرة مياهه وأشجاره ، ولما فيه أهله من نعيم الدنيا من لباس الحرير وكثرة الأموال ، وهو من عبدان إلى الموصل عرضاً ومن القادسية إلى حلوان طولاً . والشام تقدم ؛ يعني أن عمر رضي الله عنه كل عام يجهز الجيوش إلى العراق والشام ؛ أما الشام فيحمل إليه كل رجل على بعير ؛ لتباعد مياهه في الطريق إليه ، ولوعورة الأرض دونه وصلابتها ، ومنها الدروب التي لاتكسر وأما العراق فكان يحمل إليه كل رجلين على بعير واحد ، لتقارب المياه في الطريق إليه

ولسهولة الأرض دونه ، وكان أهل الشام الروم وملوكهم القياصرة ، وكان أمراؤه على جيوشه بالشام أمراءَ أبي بكر قبله ، إلا خالد بن الوليد الذي كان أمير الأمراء ، فقد عزله عمر وجعل مكانه أبا عبيدة . أما العراق فقد كان أهله الفرس ، وكان أمراؤهم الأكاسرة ، وأول أمير أرسله عمر إليه هو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو والد المختار الكذاب ، فكان منه يوم جسر أبي عبيد ؛ استشهد فيه هو ألف وثمانية من المسلمين ، وقيل أربعة آلاف بين قتيل وغريق ، ثم أمّر المثنى بن حارثة وجرير بن عبد الله البجيلي ، وأصيب المثنى ثم قدّم سعد ابن أبي وقاص وقال له : لا يغرنك أنك خال رسول الله ﷺ وصاحبه . ففتح الله على يديه في القوادس ، ولم يزل يتتبع فلولهم حتى لم يبق منهم إلا من بأيدي المسلمين بالملك أو بالاسلام ؛ وذلك من معجزاته ﷺ لأنه أخبر به في قوله : «فَارِسُ نَطْحَةٌ أَو نَطْحَتَانِ ثُمَّ لاَ فَارِسُ بَعْدَهَا» . ولإجابة دعوته ﷺ حين مزق ملكهم كسرى أبرويز كتابه فقال ﷺ : «مَزَّقَ الله مُلْكَهُمْ» .

وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ إِنَّ عُمَرا

مُحَدَّثٌ وَإِنَّ ذلكَ يُرَى

لِخَيْرِ أُمَّةٍ وكُلُّ الْخُلَفَا

مُكَاشَفٌ له وصَحْبُ الْمُصْطَفَىٰ

لاَ يَتَشَوَّفُونَ لِلْكَرَامَةْ

وَالْكَشْفِ بَلْ لِنَيْلِ الاسْتِقَامَةْ

وَقَـلَّ مَنْ بالْكَشْفِ مِنْهُمُ اشْتَهَـرْ

وَبَعْــدَهَمْ عَلَىٰ الخَــلاَئِقِ ظَهَــرْ

أتى بمعنى الحديث دون لفظه وهو : «كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ كَانَ فِيكُمْ فَعُمَرُ» . أو كما قال ﷺ . والمحدث من تتكلم الملائكة على لسانه فيتحدث هو بذلك . وقوله : وكل الخلفا مكاشف له ؛ أما أبو بكر فمما ظهر من كشفه قوله لعائشة : ذو بطن بنت خارجة أراه أنثى . وأما عمر فمنه قصة سارية المتقدمة . وأما عثمان فمن ذلك حديثه مع أنس بن مالك ؛ دخل عليه وهو ينظر محاسن إحدى زوجات عثمان فقال : لايدخل علي أحدكم وفي عينيه أثر الزنا . فقال أنس : أوحْي بعد رسول الله ﷺ ؟ . فقال : لا ، ولكن فراسة المؤمن . وأمـا علي فيما روي من أن معاوية أمر عمرو بن العاص أن يحتال على علي حتى يعلم عنده أيهما - أي علي ومعاوية - يموت الأول ؟ لما يعلمون من كشف علي ، فجـاءَه عمرو وقال : أحسن الله عزاءَك في ابن عمك معاوية . فقال : ماكان معـاوية ليمـوت قبـلي . والصحـابة رضوان الله عليهم لايرون الكشف دليلاً للكـرامـة - أي الـولاية - وإنما يستدلون عليها بالاستقامة ، وظهورها كسلمان وحـذيفـة وأبي ذر وأشباههم ، وقل من الصحابة من اشتهر بالكشف ولكن لما ذهبـوا ظهـر الكشف على الأولياءِ حتى كان في هذا الـزمـان أشرف من العلم المعمول به والصلاح والاستقامة والخلق مشتغل بالغيب[1] . واعمراه .

(١) تمنى الشارح وجود عمر في هذا الزمن الفاسد الذي كثر فيه الدجل والخرافة ، وصار كل نذل فيه يدعي علم الغيب ؛ بدعوى أنه مكاشف ضارباً بذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لاَيَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إلَّا الله ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ﴾ . وإنه لتمن في محله ، فلو تفضل الله على الاسلام بمثل عمر بن الخطاب

= لوجدت درته اليوم مجالاً تعمل فيه ، لو من الله على المسلمين بمثل عمر بن الخطاب اليوم لحطم هذه الأصنام المشيدة اليوم في ربوع الإسلام لابتزاز الدنيا باسم الدين ، ثم بدعوى أنهم يعلمون الغيب كأنهم يدعون أنهم يوحى إليهم !! . ولو ادعوه لقلنا : صدقوا فإن الوحي وإن انقطع بموت رسول الله ﷺ ، فان الوحي بالنسبة إليهم لم ينقطع : ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيوحونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلوكُمْ** ﴾ **الآية سورة الأنعام** : ١٢١ .

ترى الرجل يأتيك من أتباع أحد هولاءِ الدجاجلة ، يؤكد لك أن صاحبه يعلم مافي خطرات قلوب الناس ، مستدلاً على ذلك بأنه عندما أراد أن يذهب إليه أضمر في نفسه مسألة ، وإنه إن حدثه عنها يقطع بولايته ويكون من أتباعه ، وعندما يصل إليه إذا هو يخبره بها في ضميره ، وماشعر المسكين أن مثل هذا ليس من علم الغيب في شيءٍ بل هو من وحي الشيطان ، أليس مع كل نفس منفوسة قرين من ذرية إبليس يفتنه ؟! . وإن الحديث فيه : «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ**» ، فهذا المسكين ربما كان قرينه يوسوس في صدره بالإغراءِ على اتباع هذا الدجال ، وربما كان ذلك الامتحان الذي أضمر في نفسه من وسوسة الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، فإذا ذهب إليه ليختبر اطلاعه على الغيب ، اتصل خناسه بخناس الدجال على سبيل التعاون على الإثم والعدوان ، فيقول : إن صاحبي ذهب إلى صاحبك مضمراً أنه إن أخبره بكذا وكذا اتبعه ، فيقوم خناس الدجال بواجبه من الوسوسة ، وبذلك يقع الضحية المسكين في الضلال . والعياذ بالله .

وبالمناسبة أنقل ماكتبه أمير المؤمنين في المعقول والمنقول شيخنا وابن عمنا الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ثم اليعقوبي في أضواءِ البيان في الجزء الثاني ص ١٧٤ عند قوله تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَيَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ الآية سورة الانعام : ٥٩ قال : المراد بمفاتح الغيب قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَافي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي** =

= ﴿ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً وَمَاتَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ سورة لقمان : ٣٤ إلى أن قال : والله تعالى في هذه السورة الكريمة أمر ﷺ أن يعلن للناس أنه لايعلم الغيب ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ الله وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُول لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ سورة الأنعام : ٥٠ ولـذا رميت عائشة رضي الله عنها بالإفك ولم يعلم أهي بريئة أو لا ؟ . حتى أخبره الله تعالى بقوله : ﴿ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ سورة النور : ٢٦ وقد ذبح ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام عجله للملائكة ، ولا علم له بأنهم ملائكة حتى أخبروه فقالوا له : ﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لوطٍ ﴾ سورة هود : ٧٠ ولما جاؤوا لوطاً لم يعلم أيضاً أنهم ملائكة ولذا : ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ سورة هود : ٧٧ يخاف عليهم من أن يفعل بهم قومه فاحشتهم المعروفة حتى قال لهم : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ سورة هود : ٨٠ ولم يعلم خبرهم حتى قالوا له : ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ سورة هود ٨١ : ويعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن على يوسف ، وهو في مصر لايدري خبره ، حتى أظهر الله خبر يوسف .

وسليمان عليه السلام ـ مع أن الله سخر له الشياطين والريح ـ ماكان يدري عن أهل مأرب ، قوم بلقيس ، حتى جاءَ الهدهد وقال له : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ سورة النمل : ٢٢ .

ونوح عليه السلام ماكان يدري أن ابنه ـ الذي غرق ـ ليس من أهله الموعود بنجاتهم حتى قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ سورة هود : ٤٥ . ولم يعلم حقيقة الأمر حتى أخبره الله بقوله : ﴿ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ =

ومن تحديث عمر موافقته للوحي مراراً وكذلك للصواب ، قال رضي الله عنه : وافقني ربي في ثلاث : في أسارى بدر ، وفي نزول الحجاب وفي نساءِ النبي ﷺ ؛ أما في أسارى بدر فأشار إلى النبي ﷺ بقتلهم ، وجد في ذلك بخلاف أبي بكر فنزلت الآية : ﴿مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[1] . موافقة لإشارة عمر . وأما نزول الحجاب ؛ فإن سببه أن عمر دخل على النبي ﷺ فوجده مع عائشة يأكلان حيساً ، فأمره أن يأكل معهما فمس إصبع عائشة فقال: حس ، وددت لو أطاع فيكنّ . فنزلت آية الحجاب . وأما نساءُ النبي ؛ فدخل عليه ﷺ حين آلى منهن فقال : يارسول الله ، فالله معك إن طلقتهن وجبريل وأنا وأبو بكر . ووافق الحق والصواب في غير هذا ، قال ﷺ : «إِنَّ اللهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» .

= غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تسألن مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ سورة هود : ٤٦ .

وقد قال تعالى عن نوح في سورة هود : ﴿ وَلَاأَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ سورة هود ٣١ . والملائكة عليهم السلام لما قال لهم : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَاعِلْمَ لَنَا إِلَّا مَاعَلَّمْتَنَا ﴾ سورة البقرة : ٣١ - ٣٢ .

فقد ظهر أن أعلم المخلوقات وهم الرسل والملائكة لايعلمون من الغيب إلا ماعلمهم الله ، وهو تعالى يعلم رسله من غيبه ماشاء ، كما أشار له بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ سورة آل عمران : ١٧٩ .

انتهى محل الغرض منه . والله الموفق .

(١) سورة الأنفال : ٦٧

آخـــرُ مَنْ أَسْـلَمَ عِنْــدَ الْأَرْقَمِ
وَأَخْـــرَجَ الْــقَــوْمَ وَلَمْ يُنْـتَـقَـمِ
مِنْهُـــمْ كَمَا وَقَــعَ لِلْعَــتِــيــقِ
وَالْـقَــوْمِ مِنْ أَذىً وَمِــنْ تَمْزِيقِ
وَعَــزَّ الْاسْــلامُ بِهِ وَوَتَــرَا
عُتْـبَـــةَ لَمَّا بِالْـعَــتِـيـقِ مَكَــرَا

يعني إن عمر رضي الله عنه آخر من أسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ من الرجال والنساءِ ـ التي أسلم فيها أربعون ، كما يأتي.قيل : رجالاً . وقيل بين الرجال والنساءِ ، فلما أسلم أخرج من فيها من المسلمين من الاختفاءِ ، وكانوا مختفين عن قريش خوف تعذيبهم بالأذى والضرب حتى يفتنوهم عن دينهم . والقوم : يعنى الصحابة ؛ فلما أخرجهم لم يقدر أحد من قريش أن ينتقم منهم كما فعلوا بالسابقين كأبي بكر وغيره من الأذى وتمزيق الثياب والأبدان والأعراض لعز الاسلام بعمر وحمزة ـ وكان أسلم قبله قريباً ـ ووتر عتبة أي انتقم منه بسبب مكره بأبي بكر في اليوم الذي قبل إسلام عمر وإسلام حمزة ، وهو أنهم أرادوا رسول الله ﷺ بالأذى فقام أبو بكر دونه ، فضربوه وصفعه عتبة بن ربيعة صفعة منكرة أغمي عليه فيها يوماً وليلة ، وقومه من بني تيم جلوس عنده ، وحلفوا إن مات ليقتلن عتبة . فلما أفاق كان أول كلامه أن سألهم عن رسول الله ﷺ وأبى أن يطعم ذواقاً وشراباً حتى يلقى رسول الله ﷺ ليعلم مانالـه من أذى قريش ، فلما أسلم عمر تعرض لعتبة فصفعه على الوجه صفعة شديدة عن صفعه لأبي بكر ، فمن ذلك اليوم

لم تصل قريش إلى أذى النبي ﷺ وأصحابه لعز الإسلام بعمر وحمزة ، وكان خباب بن الأرت يقول : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

وكان بدءُ إسلامه فيما يروى عن ليلى بنت أبي حنتمة العدوية ـ زوج عامر بن ربيعة بن عبد العزى حليف بني الخطاب ـ أنها قالت : إنا لنرتحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه ، وكنا نلقى منه الشدة علينا والأذى والبلاءَ ، فقال : إنه الانطلاق ياأم عبد الله ؟ . قالت : فقلت : نعم ، والله لنخرجن في أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً . فقال : صحبكم الله . ورأيت له رقة لم أكن أراها . ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا ، قالت : فجاءَ عامر بحاجته تلك فقلت له : ياأبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعت في إسلامه ؟ . قالت : قلت : نعم . قال : والله لايسلم حتى يسلم حمار الخطاب . يأساً من إسلامه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام . ا . هـ .

وكان إسلام عمر بعد خروج أهل هجرة الحبشة ، وسببه أن فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد ـ وهما يستخفيان بإسلامهما ـ وكان نعيم بن عبد الله النحام من بني عويج بن عدي قد أسلم ، وكان يستخفى بإسلامه فرقاً من قومه وكان خباب بن الأرت يختفي إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه ، قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة وأبو بكر وعلي في رجال من المسلمين ، فالتقى عمر بنعيم فقال : أين تريد ياعمر ؟ . قال : أريد محمداً هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامهم وعاب دينهم وسب آلهتهم لأقتله . فقال نعيم : والله

لقد غرتك نفسك ، من أنت ياعمر ؟! . أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي وقد قتلت محمداً ؟ ! . أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ . فقال : أي أهل بيتي ؟ قال : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب ، قد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما . فرجع عامداً إلى أخته وختنه ، وعندهما خباب معه صحيفة فيها طه يقرئها إياهما . فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع من البيت ، وأخذت فاطمة الصحيفة وجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر هينمة خباب ، فلما دخل قال : ماهذه الهينمة التي سمعت ؟ . قالا : ماسمعت شيئاً . قال بلى والله ، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً . وبطش بختنه ، فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وقال له ختنه : نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع مابدا لك . ولما رأى عمر مابأخته من الدم ندم وارعوى وقال لها . اعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤ ون آنفاً أنظر ماهذا الذي جاءَ به محمد ؟! وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك قالت له أخته : أنا أخشاك عليها . قال : لاتخافي ، وحلف بآلهته ليردنها عليها إذا قرأها . فلما قال لها ذلك طمعت في إسلامه وقالت : ياأخي إنك نجس على شركك ، وإنه لايمسه إلا الطاهرون المطهرون . فقام عمر واغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها ، فلما قرأ منها صدراً قال : ماأحسن هذا الكلام وأكرمه . فلما سمع خباب بذلك خرج إليه وقال : ياعمر ، والله إني لأرجو أن يكون الله قبل دعوة نبيه فيك ؛ فإني سمعته يقول : «**اللهُمَّ أَيِّدْ هٰذا الدِّينَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**» ، فالله الله . فقال : دلني ياخباب على محمد آتيه فأسلم . فقال خباب : هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه . فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ فضرب الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل منهم فنظر من خلال

الباب فرآه متوشحاً سيفه ، فرجع وهو فزع فقال : يارسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه . فقال حمزة : ائذن له ؛ فإن جاءَ يريد خيراً قبلناه منه ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه . فقال رسول الله ﷺ : **ائْذَنْ لَهُ** . فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة فأخذ مجمع ردائه وجذبه جذبة شديدة وقال : «**يَاابْنَ الْخَطَّاب وَاللهِ مَاأَرىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّىٰ يُنْزِلَ اللهُ بِكَ قَارِعَةً**» . فقال : يارسول الله ، جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاءَ من عنده . فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم ، وتفرقوا من مكانهم وقد عزوا بأنفسهم بإسلام عمر وحمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعانهم ويمنعان رسول الله ﷺ .

أَوْلَادُهُ عَوَابِدُ الرحمن
وَعَاصِمٌ زَيْدٌ وَزَيْدٌ ثان

عَبْدُ الْإِلٰه وَعُبَيْدُ الله
عِيَاضُ تَاسِعُ بني الأَوَّاهِ

عوابد جمع عابد وقد يسمى به عبد الرحمن . قوله : تاسع بني الأواه عدهم التسعة وترك عاشرهم وهو عبد الله الأصغر ، أمه من بني عمرو بن عوف من الأوس ذكره الزبيري في الجمهرة ؛ أما عبد الرحمن الأكبر فأمه زينب بنت مظعون بن حبيب أخت بني مظعون بن حبيب المشهورين عثمان وإخوته ، وهي أم عبد الله وأمنا حفصة . وزينب هاجرت مع زوجها عمر وبنيها ، ولعبد الرحمن ابنٌ يقال له عبد الله ، ويلقب به مثل ابن الحارث بن نوفل وانقرض ، وأما عبد الرحمن الأوسط فهو أبو شحمة ، أمه أم ولد وأخته عائشة ، وهو صاحب الحد الذي مات تحت سياط أبيه ، وحديثه مضطرب

لايصح منه إلا أنه مات تحت سياط أبيه قيل في الخمر . وقيل في الزنا ، وقيل فيهما .

وأما عبد الرحمن الأصغر فإن أمه أم ولد أيضاً ، وأخته لأمه زينب ، وهو أبو المُجَبَّر ـ بصيغة اسم المفعول ـ لأنه كسر وأتي به إلى عمته أمنا حفصة فقيل لها : هذا ابن أخيك المكسر . فقالت : بل المجبر . فسمي به ، وقيل : بصيغة الفاعل لأن أباه مات عنه وهو حمل ، فلما ولد قالت عمته أمنا حفصة : سموه عبد الرحمن لعله يجبر مصاب أبيه . فسمي المجبِّر . وابنه عبد الرحمن بن المجبر من أهل الحديث . قال االعمدة في شرح الموطإ : وليس من أهل الحديث من اسمه عبد الرحمن إلا ثلاثة غيره . ا . هـ .

وابنه داود بن المجبر من أهل الحديث وروايته بالحاءِ المهملة وتشديد الباءِ المفتوحة لجهاله .

وأما عاصم فإن أمه جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، أو بنت ثابت وعاصم أخوها وليس بأبيها على الأصح ، طلقها عمر فتزوجها يزيد بن جارية الأنصاري ، فركب عمر فوجد ابنه يلعب مع الصبيان فحمله ، فأدركته جدته الشموس بنت أبي عامر الفاسق ، فنازعته إياه حتى انتهيا إلى أبي بكر ، فقال : خل بينها وبين ابنها . فما راجعه وأسلمه لها ، وكان عاصم من أطول الناس وأعظمهم ؛ لحقه ابن الزبير يوماً فضربه بمنكبه وقال له : لايغرنك طولك وعظمك ، ادخل الزقاق حتى أصارعك وجعل يضحك . وكان ابن الزبير يقول له ذلك ممازحاً . وكان عاصم من أحسن الناس خلقاً لايسابُّ أحداً . قال عبد الله : أنا وأخي عاصم لانساب الناس . وكان عبد الله يحبه . ومات عاصم وعبد الله غائب فما دخل بيته حتى

سلم على قبره ، وخـرج عاصم حاجاً أو معتمراً فنزل قديداً إلى خيمة يستظل بظلها ، فأرسلت إليه ربة الخيمة ـ وهي لاتعرفه : ياعبد الله ، إن لي زوجاً غيوراً يضربني في كل حق وباطل ، وإن رآك لقيت منه شراً ، فتحول عنا يرحمك الله . فقال : ليس لك عليه مني عين ، وإنما أرتحل الساعة ، وإن جاءَ زوجك وعرفني لم ينكـر عليك منـزلي . فألحت عليه تسأله أن يتحول عنها ، فلما أكثرت عليه تحول عنها إلى ناحية فمرت به عجوز تدخل على المرأة فناداها وسألها عن المرأة ، فأخبرته خبرها وقالت : اسمها جازية بنت أكثم ، ولها ولد صغير اسمه أكثم سمي باسم أبيهـا ، وزوجها ربيع بن أصرم ؛ وهو شديد الغيرة ، قد ضربها وترك بها ندوباً وكسر ثنيتها . فاستوفى خبرها ثم قال شعراً ـ وكان يقول الشعر ـ فلما دخل زوجها منزله رفع صوته يتغنى بذلك الشعر فقال :

تعــفّــى قُديــدٌ كله بقــراضـم ... إلى النخـل من جازيّـة ابنة أكثم
ألا إن أبهــى النــاس أم غليّـم ... صغـير عليـه وَدْع جزع منـظم
بها ندب من زوجهــا وبنيّهــا ... سمي أبيهــا وهي قصـماءُ بالفم
ومــالي من علم بها غير أنها ... إذا وصلت قالت ربيع بن أصرم

فلما سمع زوجها الشعر وثب عليها يضربها ، فلما بلغ من ضربها بعض مايشفي عاصمًا ، مشى إليه حتى صاح عند بابـه ، فخرج إليه فقال له عاصم : ويحـك أنا عاصم بن عمر . وأخبره قصته فقال : غفر الله لك ماعرضتنا له يا ابن الفاروق ، لاآثمك الله . وأمسك عن ضرب زوجته . وقد حفظ عاصم عن أبيه وكان رجلاً في زمانه ؛ ويروى عنه أنه قال : زوجني أبي وأنفق علي شهراً ، ثم أرسل إلي بعد ماصلى الظهر ، فدخلت عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني كنت أرى هذا المال لايحل ، وهو أمانة

عندي إلا بحقه ، وماكان قط أحرم علي منه حين وليته فعاد أمانتي ، وقد أنفقت عليك شهراً من مال الله ولست بزائدك عليه ، وقد أعنتك بثُمن مالي فبعه ثم أنفق منه على أهلك .

أما زيد الأكبر فهو ابن أم كلثوم بنت علي ، أمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ خطبها عمر إلى علي فقال علي : إنها صغيرة وإن لها مالكين غيري . فقال عمر : زوجني ياأبا الحسن . وكان عمر سمع رسول الله ﷺ يقول : «**كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ يَنْقَطِعَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلاَّ نَسَبِي وَصِهْرِي**» . فاستأذن علي ابنيه فأشارا عليه بذلك ، فقال علي لعمر : أبعثها إليك فإن رضيتها زوجتكها . فبعثها بتمر فقالت له : أبي يقرئك السلام ويقول لك : هل رضيت الحلة ؟ . فقال : نعم ورضي الله عنك . ووضع يده على شيءٍ من جسدها فقالت له : أتفعل هذا ؟ . لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك . ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت : أرسلتني إلى شيخ سوءٍ . فقال : مهلاً يابنيتي فإنه زوجك . فولدت له زيداً ورقية ، وكانت إذا شكت إليه إدخالها في تقشفه يقول لها : لايضرك ؟ ، والناس يقولون : بنت علي بن أبي طالب وزوج أمير المؤمنين . وأما رقية فقد تزوجها ابراهيم بن نعيم النحام فولدت له جارية ، وماتت تلك الجارية ثم توفيت رقية ، فقال له عاصم بن عمر : إني أخاف أن ينقطع صهرنا منك . فأخذ بيده فخيره بين بنتيه حفصة وأم عاصم ، فترك له أم عاصم وهي أجمل لينال بها رغبة من بعض الملوك ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فاشترطوا عليه أن يكون جميع مايعطيها من صداق ونحوه من خالص مال آل مروان التليد لا مما نالوه في الملك ، فولدت له عمر ثم توفيت عنده ، وتوفي ابراهيم بن نعيم عن حفصة ولم تلد له ، فتزوجها عبد العزيز وحملت إليه فمرت بدومة وكان بها إنسان به خبل ،

وكانت أم عاصم قد أحسنت إليه فتعرض إليه يطمع فيها نال من أم عاصم ، فلم تكترث به فقال : ليست حفصة من رجال أم عاصم . فأرسلها مثلاً .

وأما زيد الأكبر فشب ، وكان له ابن انقرض . ويسمى الأكبر لشرفه على الثاني بالخئولة ، وأما السن فلا يصح أن يكون ولد قبله ، لأن الأصغر أمه مليكة بنت جرول الخزاعية ، وتلك طلقها عمر في هدنة الحديبية حين نزل قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾[1] . وأخوه عبيد الله صحابي ، وخلف عليها بعد أن طلقها عمر أبو جهم ، وولدت له بنيه إخوة عبيد الله وزيد لأمهما ، ووقعت حرب بين بني عدي فخرج زيد الأكبر بالليل يحجز بينهم فقتل ولم يدر قاتله ، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب :

إن عدياً ليلة البقيع تفرجوا عن رجل صريع
مقابل في الحسب الرفيع أدركه شؤم بني مطيع

وماتت أمه تلك الليلة ، فالتقت عليهما الصارختان فلم يدر أيهما مات قبل الآخر ؟ . ولم يتوارثا ، وصلى عليهما عبد الله بن عمر والحسين حاضر وانتزع منه وأفضل ولي ولو ولى امرأة .

وأما عبد الله فهو أكبر ولد عمر ؛ هاجر مع أبيه وأمه وهو ابن عشر سنين ، ولما كان يوم أحد رده النبي ﷺ إذ لم يبلغ خمسة عشر عاماً ، وأول مشاهده الخندق بعد ذلك بسنة ، ولم يتخلف بعد ذلك عن مشهد من مشاهد رسول الله ﷺ بل ولي على سرية قال : كنت في سرية بعثها رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الممتحنة : ١٠ .

قبل نجد ، فغنمنا وكانت سهامنا أحد عشر أو اثنا عشر بعيراً لكل واحد ، فنفلنا لرسول الله ﷺ بعيراً من كل واحد . وقال : كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في أناس فيهم أبي فقال رسول الله ﷺ : «**أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مِثْلُهَا مِثْلُ الْمُؤْمِنِ ؛ لَايَسْقُطُ وَرَقُهَا تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**» ، وكنت أصغر القوم واستحييت أن أتكلم ، فلما أكثروا ولم يصيبوا قالوا : أخبرنا يارسول الله . قال : «**هِيَ النَّخْلَةُ**» . فقلت لأبي : وقع في نفسي أنها النخلة . فقال ـ أي عمر : وددت أنك قلتها وعليّ كذا وكذا .

وكان عبد الله يتحفظ مايسمع من رسول الله ﷺ ويسأل ـ إذا غاب ـ من حضر عما قال ومافعل ، ويتتبع آثار رسول الله ﷺ ويصلي في كل مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ وكان يفعل كل مارأى رسول الله ﷺ يفعله ، ورآه يبول إلى بيت المقدس فكان يفعل ذلك ؛ ومنه جواز استقبال بيت المقدس بقضاءِ الحاجة بخلاف الكعبة ، وكان يتعرض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله ﷺ فقيل له في ذلك فقال : أتحرى أن تقع أخفاف راحلتي على بعض أخفاف راحلة رسول الله ﷺ . وكان مع سعة علمه يتأنى في الفتوى ، وربما يقول لصاحبها : اذهب بها إلى من قلدته أمورك . ولم يتخلف قط عن حج ، واعتزل الحرب بين الصحابة ثم ندم على أن لم يكن مع علي . وكان وقف مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع وكان يقف ذلك الموقف كلما حج ، فحج عام قتل ابن الزبير مع الحجاج ابن يوسف ، وكان عبد الملك كتب إلى الحجاج أن لايخالف عبد الله بن عمر في الحج ، فأتاه ابن عمر حين زالت الشمس يوم عرفة ومعه ابنه سالم وصاح به عند سرادقه : الرواح . فخرج إليه الحجاج في معصفرة فقال : أهذه الساعة ؟! . قال : نعم . قال فأمهلني أصب علي الماءَ . فدخل ثم خرج . قال سالم : فصار بيني وبين أبي فقلت له : إن كنت

تحب أن تصيب السنة فعجل الصلاة وأوجز الخطبة . فنظر إلى أبي ليسمع ذلك منه فقال عبد الله : صدق . ثم انطلق حتى وقف موقفه الذي كان يقف فيه ـ وكان ذلك الموقف بين يدي الحجاج ـ فأمر من نخس به حتى نفرت ناقته ، فسكنها ثم ردها إلى الموقف ، فأمر الحجاج ، أيضاً من نخسها إلى ثلاث ، فثقل ذلك على الحجاج فأمر رجلاً معه حربة يقال أنها كانت مسمومة ، فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأقر الحربة على رجله وهي في غرز رحله ، فمرض منها ابن عمر أياماً ودخل عليه الحجاج يعوده فقال : من فعل بك أبا عبد الرحمن ؟ . قال : ماتصنع به ؟ قال : والله لو علمته لقتلته . قال : ماكنت تقدر . أنت الذي أمرت بذلك . فخرج عنه يقول : لاتقل ياأبا عبد الرحمن . ومات رضي الله عنه بمكة وصلى عليه الحجاج وأوصى أن يدفن في الحل ، ولم يقدر على ذلك لازدحام الحجاج ، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين . وسكتنا عن غير هذا من مناقب عبد الله وأخباره لشهرتها وكثرتها .

وأما عبيد الله فقد كان رجلاً ذا شكيمة ؛ فهو الذي قتل جفينة والهرمزان وبنت أبي لؤلؤة ، وأراد قتل العجم بالمدينة ، حتى حال المسلمون بينه وبين ذلك ، بل منهم من أراد من عثمان قتله قوداً ولم يجبهم عثمان إلى ذلك . وكان عبيد الله اتهمهم في قتل عمر ، وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر على أنه اطلع على أبي لؤلؤة والهرمزان وجفينة وهم نجوى ، ففزعوا منه وسقط منهم خنجر له رأسان ممسكه في وسطه ، فأتى عبد الرحمن بالخنجر الذي قتل به عمر فقال : هو هذا . قيل : ولامتناع عثمان أن يقتص من عبيد الله كان مع معاوية وشهد معه صفين ، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم ، وجاء صفين وعليه جبة خز وبيده سواك وهو يقول : سيعلم علي إذا التقينا . فقيل

لعلي : هذا عبيد الله بن عمر . فقال : دمه دم عصفور . فحمل على الناس وهو يقول :

أنـــا عبيـــد الله ينـميـني عمـــر خير قريش من مضى ومـن غبر

حاشى نبي الله والشيخ الأغـــر

فقتل ـ قتله ربيعة ـ وسقط إلى جانب فسطاط ، فشدوا طنب الفسطاط برجله ، فأقبلت امرأته حتى وقفت عليه فبكت ، وقيل لزياد بن حفصة : هذه بحيرة بنت هانىء بن قبيصة . فقال : ماحاجتك يابنت أخي ؟ . قالت : زوجي تدفعه إلي . فقال : خذيه . فجيءَ ببغل فحمل عليه . وقيل : إن يديه ورجليه لتخط في الأرض . وفيه يقول كعب بن جعيل :

ألا إنـــما تبكي العيـــون لفـارس بصفـين أجلت خيله وهـو واقف
تبـــدل من أســماءِ أسيـاف وائـل وكـــان فتىً لو أخـطأتـه المتـالف
تردى عبيـــد الله بالقـــاع مسنـداً تمج دم الجـوف العُروق النوازف

وكان عبد الله وعبيد الله في غزوة ، فأعطاهما أمير العراق مالا من بيت المال ، فلما قدما المدينة علم به عمر فغضب عليهما وعلى أمير العراق الذي أعطاهما المال وقال : حق له أن يعطيكما مال الله ابنا أمير المؤمنين ، أديا المال وربحه . فأما عبدَ الله فلم يرد إليه كلمة [وامتثل أمره] وأما عبيد الله فقد حاوره ، فقال بعض الصحابة : اجعله قراضاً ياأمير المؤمنين . فقال : أما هذه فنعم ، فقد جعلته قراضاً . وهو أول مال وقع فيه القراض في الإسلام .

وأما عياض الأواهُ فقد درج وأمه عاتكة بنت زيد ؛ والأواه كثير التأوه أي التوجع . أي القائل : أوه : . أي من خشية الله تعالى .

وأمـا بناته فإن أكبرهن أمنا حفصة ؛ كانت تحت خنيس بن حذافة السهمي فخرج يوم بدر فاندمل جرحه ثم انتقض فمات منه ، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعد أن عرضها عمر على أبي بكر فلم يرد عليه كلاماً ، ثم عرضها على عثمان بعد أن توفيت زوجته رقية بنت محمد ﷺ فأعرض عنها ، فشكى عمر ذلك للنبي ﷺ فقال : «**يَتَزَوَّجُ عُثْمَانُ خَيْراً مِنْ حَفْصَةَ وَتَتَزَوَّجُ حَفْصَةُ خَيْراً مِنْ عُثْمَانَ**» . ثم طلقها رسول الله ﷺ فنزل عليه جبريل فقال له : «**رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وإِنَّهَا زَوْجُكَ فِي الْجَنَّةِ**» ففعل . وهي وعـائشـة ممن تظاهـر على النبي ﷺ من وطء مارية في بيتهـا وهي غائبة ، فدخلت عليه بالفور فترضاها بتحريم مارية واستكتمها فلم تكتم عن عائشة لأنهما كانتا متخاويتين فنزلت سورة التحريم .

وأما رقية فقد كانت تحت ابراهيم بن نعيم بن عبد الله كما قدمنا .

وأما فاطمة فقد كانت تحت عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وأما زينب فقـد كانت تحت عبـد الـرحمن بن معمـر بن عبد الله بن أبي سلول الأنصاري ، ثم خلف عليها عبد الله بن سراقة العدوي . وأما فاطمة زوج عبد الرحمن بن زيد فإن أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، زوج عكرمة ابن أبي جهل ، ثم قتل عنها يوم اليرموك ، فلما حلت تزوجها أبان بن سعيد ابن العاص فلم يقم معها إلا ليلة واحدة وقتل بأجنادين ، وكانت تقول : ماأغنـاني عن ليلة أبـان . فلما حلت خطبها معاوية فردته ثم تزوجها عمر فولدت له فاطمة ولم تلد غيرها . وكل بني عمر له عقب إلا ثلاثة ؛ عبد الرحمن الأوسط وهو أبو شحمة صاحب الحد ، وعياض وعبيد الله الأصْغر ، أمـا سيدنا عبد الله الأكبر فإن أولاده الذكور أحد عشر ؛ منهم سالم أحد

الفقهاءِ السبعة ، وحمل العلم عن غيره من أبناءِ عبد الله . وأما عاصم بن عمر فإن من ولده حفص بن عاصم ، حمل عنه العلم وهو صاحب حديث النبي ﷺ عن السبحة للمسافر : «**لَوْ كُنْتُ مُسَبِّحاً لأَتْمَمْتُ**» يروى عن عمه يقول : سافرت مع النبي ﷺ ثم مع أبي بكر ثم مع عمر ولم يسبح قط أحدهم في السفر . وهذا الحديث في مسلم بغير هذا اللفظ ، ويتعارض مع ماثبت أنه ﷺ كان يتنفل على حماره في السفر ، ويوفق بينهما بأن تنفله على دابته في الليل ، والنهي خاص بالنهار لأنه وقت اشتغال المسافر . قاله أبو حامد الغزالي في إحياءِ علوم الدين .

ومن بنات عاصم أم مسكين؛ تزوجها يزيد بن معاوية فحملت إليه من المدينة إلى دمشق ، وكانت عنده أم ابنه خالد بن يزيد وهي أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة فقال يخاطبها :

مالك أم هاشم تبكين
باعت على بيعك أم مسكين
ميمونة من نسوة ميامين
زارتك من يثرب في جوادين
في منزلة كنت به تكونين

لَوْ كَانَ بَعْدَ الْمُصْطَفَىٰ نَبِيٌّ لَكانه . . .

قال ﷺ : « **لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِي لَكَانَ عُمَرُ**» ، ولما أسلم عمر ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال : «**اللهُمَّ أَذْهِبْ مَافي صَدْرِهِ مِنْ غِلّ وَأَبْدِلْهُ إِيمَاناً**» ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**إِنَّ الله جَعَلَ الْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**» ، وقال ﷺ : «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فَأُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ فَشَرِبْتُ حَتَّىٰ رَأَيْتُ الرِّيَّ**

يَخْرُجَ مِنْ أَظْفَـارِي ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ» قالوا : ماأولت ذلك يارسول الله ؟ . قال : «الْعِلْمُ» . وقال ﷺ : «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ وَالنَّاسُ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَـا مَايَبْلُغُ إِلَىٰ الثَّـدْيِ وَمِنْهَا مَادُونَ ذٰلِكَ وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» قالوا : ماأولت ذلك يارسول الله ؟ . قال : «الدِّينُ» ، قال ابن مسعود : لمجلس كنت فيه مع عمر أوثق في عمل نفسي من عمل سنة .

ولي الخلافة رضي الله عنه بعد أبي بكر ، فسار أحسن السير ، وكان لايخاف في الله لومة لائم . وكان نقش خاتمه : كفى بالموت واعظاً ياعمر . أرّخ التاريخ من الهجرة إذ لم يتفق على سنة البعث فيؤرخ بها ، وذكروا الوفاة فهـابـوها خوف هيجان الحزن فأرخوا بالهجرة ؛ وهو أول من تسمى أمير المؤمنين وكان يقال لأبي بكر : خليفة رسول الله ﷺ ولو سموه بذلك اقتضى طولاً فيقـال : خليفة خليفة رسول الله ﷺ ويتسلسل ذلك ، فسموه أمير المؤمنين . وقوله : لكأنه ، هو على اختيار ابن مالك ، فالضمير المتصل هو خبر كان ، واسمها عمر أو ضميره .

.... وَمِنْهُمُ الصَّفِيُّ

سَعِيـدُ بْنُ زَيْـدٍ الْمُبَشَّرُ

صَاهَـرَهُ وَهُـوَ كَذَاكَ عُمَـرُ

قولـه : ومنهم أي من عدي . والصفي : فعيل بمعنى مفعول أي المصفى . والمبشر أي بالجنة من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة . وصاهره على أخته عاتكة كما يأتي قريباً . وقوله : وهو كذاك ؛ أي وصاهر سعيد أيضاً عمر على أخته فاطمة بنت الخطاب . والعشرة المشهود لهم بالجنة

هم : سعيد هذا والخلفاءُ الأربعة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ؛ اثنان منهم تيميان : هما أبو بكر وطلحة بن عبيد الله . وفيهم عدويان : هما عمر وسعيد ابن زيد . ومنهم منافيان : هما علي وعثمان . وفيهم زهريان : هما عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص . وأسدي واحد هو الزبير بن االعوام . وحارثي واحد : هو أبو عبيدة بن الجراح .

فإن قلت : مامعنى خصوصيتهم بالشهادة لهم بالجنة ، وقد شهد ﷺ بالجنة لغيرهم كقوله ﷺ : «**سَمِعْتُ خَشْخَشَةَ بلاَلٍ فِي الْجَنَّةِ**» وقال : «**يَابلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ ؟**» . فقال : لا أدري ولكني ماأحدثت قط إلا توضأت ، ولا توضأت إلا صليت ركعتين . فقال : «**بِذٰلِكَ سَبَقْتَنِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ**» . وكقوله ﷺ : «**لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هٰذَا**» ، وكقوله ﷺ للربيع بنت النضر : «**إِنَّهَا جِنَانٌ وَإِنَّ ابْنَكِ لَفِي الْفِرْدَوْسِ مِنْهَا**» يعني حارثة بن سراقة إلى غير ذلك .

قلت : لعل ذلك أنه بشرهم في يوم واحد ؛ وذلك أنه كان في بيت فاستأذن عليه أبو بكر فقال : «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**» وكذلك قال لجميعهم . وفيها قال لعثمان : «**بَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَىٰ بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ**» وذكر القاضي عياض أنه أرجف به أحد فقال له : «**أُسْكُنْ أُحُدُ إِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» وأنهم العشرة معه حينئذ .

وسعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل ، وبنفيل يلتقي مع عمر بن الخطاب بن نفيل . وأمه فاطمة بنت بعجة ، وبعجة بن أمية من خزاعة ، يكنى أبا الأعور ، بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله يتحسسان أخبار عير قريش ، فوقع بدر بعدهما فضرب لهما بسهميهما وأجريهما . وله من الولد

عبد الرحمن الأكبر شاعر ، وهو الذي يقول يوم الحرة :

فإن تقتلونا عند حرة واقم		فإنا على الإسلام أول من قُتِلْ
ونحن قتلناكم ببدرٍ أذلة		وجئنا بأسلاب لنا منكم نَفَلْ
فإن ينج منها عائذ البيت سالماً		فكل الذي نلقاه من دونه جلل

وتوفي سعيد رضي الله عنه سنة نيف وخمسين بالعقيق ، وحمل إلى البقيع ودفن به وهو ابن بضع وسبعين سنة رضي الله عنه .

وَشُهَدَاءُ أُخْتِهِ غَيْرُ عُمَرْ

عَبْدُ الْإِلهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ الْأَغَرْ

أخته يعني سعيد بن زيد ؛ وهي عاتكة الشهداءِ ، وأُعلمت بذلك لأن كل من تزوجها استشهد حتى قيل : من أحب الشهادة فليتزوج عاتكة . وأُمها فاطمة بنت سويد بن صامت الأنصارية ؛ أُخت الحارث والجلاس ابني سويد ، وقيل : إن أُمها بنت الحضرمي .

تزوج عاتكة عبد الله بن أبي بكر فأُصيب بسهم يوم الطائف فاستشهد منه في خلافة أبيه بعد النبي ﷺ فبكته بقولها :

فآليت لاتنفك عيني سخينة		عليك ولا ينفك جلديَ أغبرا

وكان عبد الله معجباً بها حتى شغلته عن أبيه ، فأمره بطلاقها .

وتبعتها نفسه ، وفيها يقول :

أعاتك لا أنساك ما ذرَّ شارق		وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها		ولامثلها في غير جرم يطلق

وقال فيها أيضاً :

يقولـون طلقْهـا وأصبح مكانها سقيـمًا تمني النفس أحـلام نائم
وإن فراقـي أهـل بيت جمعتهم على كبر مني لإحـدى العظائم
وإني وأهـلي كالعجـول تروحت إلى بوّهـا قبل العشـار الروائم

ووصفه بالأغر لكرمه والأغر : الكريم ، أو لجماله لما يقال من أنه أجمل قريش . وقوله : غير عمر لأنه قد ذكر أنه تزوجها بقوله : صاهره وهو كذلك عمـر . وقال علي لعمر : ائْذن لي أدخل على عاتكة في حاجة لي إليها . فقال : نعم . فأدخل إليها رأسه من الستر وقال : أين قولك : لاتنفك عيني سخينة ألخ . فدفعه عمر بمنكبه وقال : أفسدت علي عرسي . وضحكوا .

كَذَا الْحَـوَارِيُّ وَرَدَّتْ حَيْـدَرَهْ
ضَنّـاً بِهِ عَنْ نَهْجِ هَذي الْخِـيَرَهْ
وَعُـدَّ مِنْهُـمُ الْحُسَـيْنُ بْنُ عَلي
وعَـدُّهُ عَنْ بَعْضِهِـمْ غَيْرُ جَلِي

الحواري : الناصر . وهو علم للزبير بن العوام سماه به رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ؛ إذ قال ﷺ : «**مَنْ يَأْتِنَا بِالْخَبَرِ عَنِ الْقَوْمِ وَيكُونُ رَفِيقِي غداً فِي الْجَنَّةِ**» . أو كما قال ﷺ . فقام الزبير وقال : أنا يارسول الله . فقال : «**اجْلِسْ**» وقال : «**لِكُلِّ نَبِيٍ حَوَارِيٌّ وَحَوارِيي الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ**» . وحيدرة : الأسد . وسمي به علي لأن أمه سمته به وأبوه أبو طالب غائب ، وكانت سمته باسم أبيها أسد ، ولما قدم أبوه سماه علياً ، ثم لما ظهرت

شجاعته سمي حيدرة لمحا لتسمية أمه له وتشبيهاً له بالحيوان المفترس . وقوله : ضناً أي بخلاً ؛ أي بخلت بعلي على الموت ، وهو مفعول له من الرد ويحتمل أنه مفعول مطلق أي ضنت به ضناً وناب عن فعله ، ويحتمل أنه حال أي حال كونها في الرد ضانة به عن نهج أي طريق هؤلاءِ الخيرة ؛ جمع خير وهم كذلك وأنث الإشارة باعتبار الجماعة .

وعد الحسين بن علي من شهداءِ عاتكة غير جلي أي غير ظاهر عند بعض العلماءِ ، إذ أنه يبعد أن يتزوجها لكبرها عنه ، وللقول أنها ماتت قبله ، أي وكعبد الله بن أبي بكر وعمر بن الخطاب في الاستشهاد عن عاتكة الزبير بن العوام .

يبعث أُمَّةً أَبُوهَا وخَبَعْ
قَبْلَ النُّبُوَّة ومِنْ وَأْدٍ مَنَعْ
يُحَكِّمُ الْأَمَّ إِذَا ترعْرعَتْ
في أَخْذِهَا وَتَرْكِهَا حَيْثُ وَعَتْ

خبع : دفن ، والوأد : قتل الولد في الجاهلية خوف الفقر . وترعرع الصبي : نشأ ؛ يعني إن زيد بن عمرو بن نفيل أبا عاتكة قال فيه النبي ﷺ : **«يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ»** ، وذلك حين سأله عنه ابنه سعيد بن زيد وعمر ابن الخطاب ؛ وممن يبعث أمة وحده قس بن ساعدة الإيادي ، وخطر بن مالك اللهبي ؛ وذلك أنهم أسلموا بلا نبي بعث إليهم ، لكن رأوا الحق حقاً ففارقوا أديان قومهم ووجهوا وجوههم لله تعالى ، فعبدوه ووحدوه ، وكان سام دين النصارى فلم يعجبه ودين اليهود كذلك ، وترك عبادة الأوثان وحرم كل

ماذبح لغير الله والدم والميتة ويقول : يامعشر قريش أرسل الله قطر السماءِ ، وأنبت بقل الأرض ، وخلق السائمة ورعت فيه وتذبحونها لغيره ؟! . والله ما أعلم أحداً على وجه الأرض على دين ابراهيم غيري . ويستقبل القبلة ويقول : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورِقّاً . وعذت بما عاذ به ابراهيم . ويقول الشعر في ذلك فيقول :

فلا الشعرى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني طسم أدين

وقال ايضاً :

أربٌّ واحدٌ أم ألف ربّ أدين إذا تقسمت الأمور
ألم تعلم بأن الله أفنى رجالاً كان شأنهم الفجور

وقال أيضاً :

رضيت بك اللهم رباً فلم أرى أدين إلهاً غيرك الله ثانياً
وأنت بفضل منك نجّيت يونساً وقد بات في أصفاق حوت لياليا
وإني وإن سبّحت باسمك ربنا لأكثر إلا ماغفرت خطائيا
أربَّ العباد أبق سيباً ورحمة عليَّ وبارِكْ في بنيَّ وماليا

وقال أيضاً :

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ له الأرض تحمل حملاً ثقالا
دحاها فلما رآها استوت على الماءِ أرسى عليها الجبالا
وأسلمتُ وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذباً زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة أطاعت فصبّت عليها سجالا

وكان الخطاب بن نفيل آذى زيداً حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فنزل مقابل مكة وكان الخطاب عمه وأخاه لأمه ، ووكل به شباباً من شباب قريش وسفهائهم ، وقال لهم : لاتتركوه يدخل مكة . فكان لايدخلها إلا سراً ،

وكـان زيد أجمـع الخـروج من مكة ليضرب في الأرض يبتغي الحنيفية دين ابراهيم ، فكانت امرأته كلما رأته تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب ، وكان وكلها به ، ثم خرج ليطلب دين ابراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى انتهى إلى الموصل والجزيرة ، ثم أقبل فجال الشام كله حتى انتهى إلى راهب من أرض البلقاءِ ، كان ينتهي إليه علم النصرانية ، فسأله عن الحنيفية . فقال : إنك لتسأل عن دين ماأنت بواجد من يحملك عليه من القوم ، ولكن أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التى خرجت منها ، يبعث بدين ابراهيم الحنيفية ، فالحق بها فإنه مبعوث الآن . فخرج مسرعاً ولما توسط بلاد لخم عدوا عليه

فقتلوه . فقال ورقة بن نوفل :

رشدتَ وأنعمتَ ابن عمرو وإنما ... تجنبت تنّـوراً من النـار حاميـا
بدينـك ربـاً ليس رب كمـثله ... وتـركـك أوثـان الطواغي كما هيا
فأصبحت في دار كريم مقـامهـا ... تعـلل فيهـا بالكـرامـة لاهيـا
تلاقي خليـل الله فيهـا ولم تكن ... من النـاس جباراً إلى النار هاويا
وقـد تدرك الإنسـان رحمـة ربـه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

ومات زيد كما قال الناظم قبل الاسلام ، وكان من دينه أنه امتنع عن وأد البنات ومنعهن من الوأد ، وكان يغذيهن إلى أن تبلغ الواحدة فيأتي بها أمها ويقول : هذه بنتك إن شئت خذيها إليك وإن شئت دعيها عنك . اهـ . الكلام على بني رزاح بن عدي وشرع يتكلم على بني عويج بن عدي فقال رحمه الله :

بنو عويج بن عدي

وَمِنْ عُوَيْــجِ بْنِ عَدِيٍّ النَّحَــامْ
وَهْــوَ الَّـذي أَعْتَقَـهُ خَيْرُ الْأَنَـامْ
إِذْ جَاءَهُ فِي أَرْبَــعِــينَ مِنْهُــمُ
وَحَبَسُـــوهُ قَبْــلُ وَهْــوَ مُسْلِمُ

اسم النحام نعيم بن عبد الله بن أُسيد بن عبد بن عبيد بن عويج ، سمي النحام لقوله ﷺ : «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ نَحْمَةَ نَعِيمٍ » أي سعلته ، أسلم نعيم قديمًا قبل عمر بن الخطاب ولم يهاجر إلا قبيل فتح مكة ؛ لأن أهله حبسـوه لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم ، فقالوا له حين أراد الخروج إلى المدينة : أَقم في مكة ودن بأي دين شئت . وتشبثوا به فأقام يعبد الله في داره حتى تركوه وقد أسلم كثير منهم ، فخرج مهاجراً عام الحديبية في أربعين من قومه بين رجال ونساءٍ ، فلما قدم على النبي ﷺ قام إليه واعتنقه وقال له : «قَوْمُكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِي يَانَعِيمُ» فقال : بل قومك خير من قومي يارسول الله . فقالَ ﷺ : «قَوْمِي أَخْرَجُونِي وَأَقَرَّكَ قَوْمُكَ» . وكان قومه قالوا له : لايتعرض لك أحد إلا ذهبت أَنفسنا دونك ، واعبد ربك حيث شئت .

وقوله : قبلُ ، أي قبل مجيئه للنبي ﷺ في أربعين منهم ، وقوله : وهو مسلم ، أي على أنـه مسلم على دينه راضين بذلك منه . واستشهد نعيم بأجنادين أو باليرموك .

عَبْـدُ الإِلٰـهِ بنُ مُطِيـعِ الْقَـائِـلُ
وَهْـوَ عَنْ أَهْـل مَكَّـةٍ يُنَـاضِـلُ
أَنَـا الَّـذِي فَرَرْتُ يَوْمَ الْحَـرَّةْ
وَالْحُـرُّ لاَيَـفِـرُّ إِلَّا مَرَّةْ

يناضل : يدافع . والحرة : هي حرة واقم ؛ موضع بالمدينة كانت فيه الوقعة المشهورة على المسلمين . ومطيع : كان اسمه العاصي فلما أسلم سماه النبي ﷺ مطيعاً وهو ابن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج ، والأسود بن مطيع هو أول من لعق دم الجزور التي نحرت بنو عبد الدار وأحلافهم . أوصى مطيع الزبير على بنيه فرد الزبير الوصية فقال له مطيع : إني سمعت عمر يقول : نعم موضع الوصية الزبير ، لو كنت تاركاً ضياعاً لأوصيت الزبير ، والله لقد سمعت هذا من عمر . فقبل الزبير وصيته . وعبد الله بن مطيع كان من رجال قريش جلداً وشجاعة ، وكان عليهم يوم الحرة فنجا وأتى ابن الزبير بمكة ، فلما حاصر ابن نمير أهل مكة كان ممن قاتله وفي ذلك يقول :

أنـا الـذي فررت يوم الحـرة — والحـر لايـفـر إلا مرة
لأجـزيـنَّ فرتي بكـرة — ياحبـذا الكـرة بعـد الفـرة

وقد قتل هو ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف كل منهما ليلة ابن نمير مائـة رجل من عسكره ، وقد استعمل ابن الزبير عبد الله بن مطيع على الكوفة فأخرجه منها المختار بن أبي عبيد ، ثم قتل مع ابن الزبير رضي الله عنهما :

خَارِجَــةُ القَــائِــلُ مَنْ أَصْــمَاهُ

أَرَدْتُ عَمْــراً وَأَرَادَ اللهُ

أي من بني عويج عبـد الله بن مطيع وخـارجة ، فعبد الله وخارجة معطوفان على النحام بتقدير العاطف ، وكلاهما مبتدأ خبره منهم قبلها واو عاطفة للجملة على أختها ، وخارجة هو ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عويج . وأصماه : قتله ، وقد قتله الخارجي الذي تواعد مع صاحبيه ليلة يغتالون فيها علياً ومعاوية وعمرو بن العاص [عليهم رضوان الله] فكان من قدر الله أن اشتكى عمرو بن العاص في هذه الليلة وقدم خارجة للصلاة فظنه الخارجي عمراً لإمامته فقتله ، ولما سمع الناس يندبون خارجة قال : ومن خارجة ؟ . قيل : الذي قتلت . فقال : أردت عمراً وأراد الله خارجة . وقيل : أن عمرو بن العاص هو الذي قال الكلمة فتكون تاءُ الضمير من [أردت] مفتوحة إذاً .

وخارجة من فرسان قريش ، وكان يعدل ألف فارس ؛ فقد كتب عمرو ابن العاص إلى عمر يستمده بثلاثة آلاف فارس فبعث إليه خارجة بن حذافة والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وكتب إليه : قد أمددتك بثلاثة آلاف فارس . استشهد خارجة بعد فتح مصر ، وكان قاضياً لعمرو بن العاص إلى أن قتله الخارجي ، واسمه دَادَويه العنبري ، وروى خارجة عن النبي ﷺ : «إِنَّ اللهَ أَمَدَّكُمْ بِصَلاَةٍ هِيَ خَيرٌ لَكُمْ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ جَعَلَهَا لَكُمْ بَيْنَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ» .

مُثَــلَّمٌ أَخُــوهُ مِنْ أُبَيِّ   أَجَــارَ قَاتِــلَ الْغَبِي الْغَــوِيِّ

أخوه : أي أخو خارجة ، ولايذكر لمثلم إسلام ولا أنه أدرك الإسلام .
وأبي : هو ابن خلف الصنديد الكافر الذي قتله النبي ﷺ يوم أحد .
والغوي : الضال . والغبي : من لايفطن لغباوته . وأشار بذلك إلى أن رجلاً من النمر بن قاسط شرب مع رهط من بني جمح ، فلما أخذ فيه الشراب قال : لايسألني أحد شيئاً إلا أعطيته إياه . فقال له أحدهم : إني سائلك أن تمكنني حتى أفعل بك كذا ـ للفاحشة ـ فقال له النمري واسمه أوس : قم معي حتى أعطيك ماسألت . فلما خلا به أوس قتله ثم هرب والتجأ إلى المثلم فمنعه ، وطلبه أبي بن خلف فلم يقدر عليه إذ منعه مثلم . وفي ذلك يقول :

من ذا يبلغ عني الناس معذرة ... إن ردَّ جاري أُبيٌّ وهو مقتول
تنازع الطير بالبطحاءِ حشوته ... يقال مَنْ جارُ هذا غاله الغول
ولست أسلم أوساً لامرىءٍ أبداً ... حتى أُرَدَّ وثغر النحر مبلول
أو أبلغ العذر في أوس فيعذرني ... فيه الرجال إذا ماينشر القيل

وَردَّ قَيْسُ بْنُ عَدِيٍّ جُمَحَا

بِالْغَيْظِ إِذْ إِلَىٰ عَديٍّ جَنَحَا

يعني أنه لما لم يقدر أبي بن خلف على جار المثلم بن حذافة ، اجتمعت بنو جمح لحرب بني عدي ، فقام دونهم قيس بن عدي بن سعد بن سهم وهو من سادات قريش ، وهو الذي يعنيه عبد المطلب في رجزه يداعب به ابنه عبد الله :

كأنه في العز قيس بن عدي ... في دار سعد ينتدي أهل الندى

فقال قيس لجمح : إن عدياً أقل منكم عدداً ، فإن شئتم أخرجوا لهم بعددهم منكم ويخلى بينكم وبينهم ، وإن شئتم وفيناهم منا حتى يكونوا

بعددكم ؛ فتحاجزوا . ورضيت جمح بالعقل ، وقال في ذلك قيس بن عدي :

عدي بن كعب إن سألت بطانتي ... فهكًا وهكا عنهم فتنكب
تنشب عيصي مابقيت بعيصهم ... تنشب عيص القشعة المتنشب

قوله : فهكا وهكا يعني فضرباً وضرباً عنهم بالسيف . وتنازع في عنهم فتنكب وهكا . العيص : الأصل ، والقشعة : الفرو الخلق .

حُذَافَةُ أَبُوهُمَا أَخَذَهُ
فِي ابْنٍ لَهُمْ جُذَامُ فَاسْتَنْقَذَهُ
شَيْبَةُ مَكْفُوفاً يَقُودُهُ ابْنُهُ
وَفَازَ بِالْمَدْحِ الْجَمِيلِ مَنُّهُ

يشير بذلك إلى أن ركباً من جذام خرجوا من مكة بعد ما قضوا نسكهم وفقدوا صاحباً لهم ، فمروا بحذافة بن غانم فأخذوه مكان صاحبهم . فبينما هو بأيديهم إذْ بصروا بعبد المطلب بن هاشم يقوده أبو لهب وقد كف بصره ، فصاح به فقال عبد المطلب لأبي لهب : اذهب فائت به . فقال لهم أبو لهب : قد علمتم مالي وتجارتي فأطلقوا لي الرجل وأنا ضامن لكم صاحبكم . فأطلقوه له ، فقال عبد المطلب : أسمعني صوتك ياأبا مثلم . فقال يمدحه ويمدح آباءه وبنيه :

أعيني جودا بالدموع على الصدر ... وتسأما أسقيتها سبل القطر
وسحًا وجماً واستجمّا ما بقيتما ... على ذي حياءٍ من قريش وذي ستر

على رجل جلد القوى ذي حفيظة جميـل المحيـا غير نكس ولا هذر
على خير صاف من معـد ونـاعل كريم المساعي طيب الخيم والنجر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه يضيءُ سواد الليـل كالقمـر البدر
وسـاقي الحجيج ثم للخير هاشم وعبـد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام فأصبحت سقـايتـه فخراً على كل ذي فخر
ليبـكِ عليـك كل عان بكـربـة وآل قصي من مقـلّ وذي وفـر
بنـوهـم سراة كلهـم وشبـابهم تفلّق عنهم بيضـة الطائر االصقر
قصي الـذي عادى كنـانـة كلهـا ورابط بيـت الله في العسر واليسر
فإن يك غالتـه المنـايـا وصرفهـا فقـد عاش ميمون النقيبة والأمر

إلى أن قال :

أخـارج أمّـا أهـلُكـنّ فلا تزل لهم شاكـراً حتى تغيّب في القـبر
ولاتنس ماأسـدى ابن لبنى فإنـه قد اسدى يداً محفوفة منك بالشكر

وابن لبنى يعني به أبا لهب الذي استنقذه من جذام بأمر عبد المطلب . وهذه القصيدة هي المدح الذي فاز به عبد المطلب على حذافة في قول الناظم :

عَزَّ رَزَاحُ بْنُ عَدِيٍّ بِعُـمَـرْ
وَالـعِـزُّ قَبْـلُ لِعُـوَيْـجٍ الأَغَـر

يعني أن بيت عز بني عدي كان في بني عويج إلى أن شب عمر بن الخطاب وزيد بن الخطاب وابن عمهما سعيد بن زيد ، فكان الشرف في رزاح بهؤلاءِ الثلاثة ، فأما عمر وسعيد فقد تقدما ، وأما زيد بن الخطاب فأمه من

بني أسـد بن خزيمة ، ثم من بني قُعَيْن واسمها أسماءُ بنت وهب من بني سليم[1] ، وأخوه لأمه عثمان بن حكيم بن حارثة بن الأوقص السلمي أبو أم سعيد بن المسيب . أسلم زيد قديمًا وشهد بدراً فما بعدها ، وأعطاه عمر يوم أحد درعه يلبسها فقال : يا أخي أنا أريد من الشهادة مثل ماتريد . فتركاها جميعاً . ثم استشهد يوم اليمامة عن عاتكة الشهداءِ ، ولم يعده الناظم من شهـدائهـا فقال عمر رحمه الله : أخي سبقني إلى الحسنيين ؛ إلى الإسلام والشهادة . وحزن حزناً شديداً حتى قال لمتمم بن نويرة ، حين أنشده مراثيه في أخيه مالك : لو كنت أحسن الشعر لرثيت أخي زيداً بمثل ماقلت في أخيك . فقال متمم : لو ذهب أخي إلى مثل ماذهب إليه أخوك لما حزنت عليه . فقال عمر : ماعزَّاني أحد بمثل ماعزيتني به . وكان يقول : ماهبت الصبا إلا وأتتني ريح زيد . ولم يكن لزيد من الولد إلا عبد الرحمن ؛ أمه لبابة بنت أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ؛ كان عبد الرحمن اسمه محمد فسمع عمر يوماً من ينادي من اسمه محمد فيسبه ، فقال له عمر : تسميه محمداً ثم تسبه !! . فدعا محمد بن زيد فسماه عبد الرحمن فكان ذلك اسمه ، وكان شبيهاً بأبيه حتى إن عمر إذا نظر إليه قال : أخوكم كان أشيب فأتاكم بحمد الله عاد له الشباب . وقد زوجه عمر بنته فاطمة فولدت له عبد الله بن عبد الرحمن . ولعبد الرحمن تسعة أولاد : عبد الله هذا وعمر ـ وأمه من ثقيف ـ وعبد العزيز وعبد الحميد ـ أمهما من بني البكاءِ بن عامر بن صعصعة .

---

(١) قوله : أمه من بني أسد بن خزيمة ، وقوله بعد ذلك من بني سليم ، فيه مافيه من التناقض . والذي في أسد الغابة : أمه أسماءُ بنت وهب بن حبيب من بني أسد ، فلعل قوله من بني سليم هنا وهم . والله أعلم .

الأعرج المحدث هو عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب

وعبد الحميد ولي الكوفة لعمر بن عبد العزيز ؛ وهو الأعرج المحدث وكاتبه أبو الزناد المحدث أيضاً ، وكثيراً مّا يكونان في السند الواحد ، يقال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج ، وأبو الزناد من ولد عبد الرحمن بن عوف .

[ومن ولد عبد الرحمن] أبو بكر ومحمد وابراهيم وأسيد ، أمهم سودة بنت عبد الله بن عمر ، وخلف عليها بعده عروة بن الزبير فولدت له أسماءَ .

[يحكى أن سودة هذه] ابتدأت الطواف في زمنها تحت عروة حين فراغها من صلاة العشاءِ ، وماأتمته إلا أذان الصبح لكبر جسمها .

[ومن ولد عبد الرحمن أيضاً] عبد الملك بن عبد الرحمن وهو لأم ولد .

ومن عويج أيضاً أبو جهم بن حذيفة ـ بالياءِ ـ ابن غانم ؛ أسلم أبو جهم عام الفتح ، وكان من رؤساءِ قريش وعلمائهم بالأنساب ، حضر بناءَ الكعبة مرتين ؛ حين بنتها قريش في الجاهلية ، وحين بناها ابن الزبير . وكان يقول : أدركت أثر ابراهيم في المقام ولم أَرَ شيئاً أشبه بقدم النبي ﷺ بها . وبنوه نجباءُ منهم محمد وعبد الله أخو عبيد الله بن عمر لأمه ؛ أمهما مليكة بنت جرول الخزاعية وصخر وصخير وعبد الله الأصغر وسليمان ؛ أمهما امرأة من غسان يقال لها زجاجة ، بسببها كانت الحرب بين عدي التي قتل فيها زيد ابن عمر ؛ ذلك أن خولة بنت القعقاع بن معبد بن زراعة أم محمد بن أبي جهم اشتكت ، فادعت ان زجاجة سحرتها ، ففر بزجاجة ابناها سليمان وعبد الله الأصغر ، فدخلا على عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فمنعهما ، واجتمعت إليه بنو رزاح إلا بني عمر بن الخطاب لم يكن لهم إلا النهي ،

واجتمعت بنو عويج على أبي الجهم وابنيه الآخرين ، فوقعت بينهم حرب قتل فيها زيد حاجزاً بين الفريقين كما قدمنا .

النعمان بن عدي بن نضلة

ومن عويج أيضاً النعمان بن عدي بن نضلة ؛ هاجر به أبوه إلى الحبشة ، ومات أبوه بها وورثه ، وهو أول موروث في الإسلام . واستعمل عمر النعمان على بيسان فاستعفاه فلم يعفه فقال :

فمن مبلغ الحسناءَ أن حليلها ... ببيسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غناني بها قينْ قرية ... وصناجة تحذو على كل منسم
إذا كنت ندماني فبالأكبر اسقني ... ولاتسقني بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما سمع عمر الأبيات قال : ماقالها إلا وهو يريد أن أعزله . فعزله ونزل البصرة ، فلم يزل يغزو مع المسلمين إلى أن مات .

ومن عويج أيضاً عمرو وعروة ابنا أبي أثاثة ؛ هاجرا إلى الحبشة ، وأمهما النابغة بنت حنتمة بن غانم ابن عم أبي جهم وخارجة والمثلم . وكان سليمان رجلاً صالحاً فاضلاً ، استعمله عمر على سوق المدينة ، وجمع عليه الناس لصلاة التراويح ، وجمعهم أيضاً للتراويح على أبي بن كعب . وأم سليمان هي الشفاءُ بنت عبد الله بن عبد شمس ؛ وهي من بني رزاح ، هاجرت مع ابنها سليمان إلى المدينة ومر بها عمر يوماً فسألها عن سليمان ـ وكان فقده في صلاة الصبح ـ فقالت : بات يصلي ، غلبه النوم عن الصلاة . فقال عمر : صلاة

الصبح في الجماعة أفضل من قيام الليل كله . وأخت سليمان ليلى بنت أبي حنتمة ؛ زوج عامر بن ربيعة االعنزي ، حليف آل الخطاب . وهي أول ظعينـة دخلت المدينة مهاجرة [كما تقدم] ثم أم سلمة بعد أن هاجرت مع زوجهـا إلى الحبشة الهجرة الأولى ، وممن هاجر الحبشة وشهد بدراً من بني عدي ثم من بني رزاح عمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر بن أداة ، وأداة بنت قيلة بنت قحافة . هنا انتهى الكلام على عدي .

نسب بني هصيص

بنو سهم بن عمرو بن هصيص

ثم شرع يتكلم على بني هصيص ؛ وهم قبيلتـان من قبـائل قريش الاثنتي عشرة فقال رحمه الله :

مِنْ صُلْبِ عَمْرو بْنِ هُصَيصٍ جُمَحُ
سَهْـمٌ وَمِـنْهُـمُ الَّـذِي لاَيَـبْرَحُ
يُدَاعِـبُ الْهَـوْزَ وَمِـنْ دُعَـابَتِـهْ
حَلُّ حِزَامِ رَحْـلِ هَادِي أُمَّـتِـهْ

هُصيص ـ كزبير ـ ومنهم أي من سهم لأن الضمير يعود غالباً لأقرب مذكـور . ولايبرح : لايزال ، ويداعـب : يمازح . والهـوز : الخلق . والدعابة : بالضم المزاح ؛ واسم جمح تيم . قال عثمان بن مظعون رضي الله عنه :

أتيم بن عمـرو الـذي جاءَ بغْضـة
ومن دونـه الشرمـان والـبرك أكتـع

واسم سهم زيد ، سميا بهذين الاسمـين لأنهما تناضلا فجمح تيم فسمي جمحاً وسهم زيد فسمي سهمًا . ودعابة عبد الله بن حذافة للخلق ، وهي أكـبرهـا ؛ أنـه يوماً حل حزام راحلة النبي ﷺ وهو عليها في بعض أسفاره ، فقيل له في ذلك فقال : علمت بأنه نبي والناس لايضرونه .

وَأَمْــرُهُ قَوْمــاً عَلَيْــهِــمْ أَمَّــرَه

أَمِــيرُهُــمْ أَنْ يَدْخُـلُوا مُسَـعَّــرَهْ

أي ومن دعـابتـه أنه أمره علقمة بن مجزز ـ وكان أميراً على سرية ـ فتعجل بعضهم بالرجوع ، فأمر عليهم عبد الله فباتوا بأرض كثيرة الحطب ، فأمرهم أن يوقدوا ناراً عظيمة ، فلما التهبت قال لهم : أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ . قالوا : بلى . قال : فاقتحموا هذه النار وادخلوها . فلما تهيئوا لدخولها قال لهم : مكانكم ، إنما كنت مازحاً . ولما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه فقال : «**مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ**» وقال : «**لَاطَاعَةَ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ**» .

وَسُــؤْلــه الــنَّــبِــيَّ مَنْ أَبُــوهُ

بِمَــلإٍ فَهْــوَ إذاً مَعْــتُــوه

عِنْــدَ الْحَصَــانَ أُمِّــهِ وَذا الْفَكِــهْ

عَبْــدُ الإِلٰــهِ بْنُ حُذَافَــة النَّبِــهْ

يعني أن من دعابته أيضاً أنه سأل النبي ﷺ في جماعة فقال : يارسول الله ، من أبي ؟ . فقال : «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**» ، فعاتبته أمه حين سمعت سؤاله النبي ﷺ وقالت له : ويحك ماأحمقك ، لو نسبك رسول الله ﷺ إلى غير حذافـة بين قريش فما كنت فاعلاً ؟ . والحصان : العفيفة . وأمه من بني الحارث بن عبد مناة . والفكه : ذو الفكاهة التي يضحك بها أصحابه . والنبه والنبيه والنابه بمعنى ، أي وذا الذي بهتته أمه وهو يمازح الناس ويفاكههم هو عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم .

وَهْــوَ الَّــذِي أرْسَــلَهُ لِكِسْرَىٰ

نَبِــيُّنَــا وَعَـمُّــهُ الــزِّبَـعْــرَىٰ

سَلِيـلُ قَيْسٍ الْعَـزِيـزِ بن عَدِي

جَدُّ بَنِي الْحَارِثِ أَشْرافِ النَّدِي

وَحَــارِثُ أبُــوهُمُ الْمُسْتَهْــزِئُ

بِالْـقُــرْحِ جَمْرُ شَرِّهِ مُنْــطَفِـئُ

وهو أي عبد الله بن حذافة أرسله النبي ﷺ إلى كسرى بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام فقال : أكون عبداً لعبدي أو ليس بعبدي ؟! . ومزق الكتاب وقال لعبد الله : لولا أن الرسل عندنا لاتقتل لقتلتك . وبعث إلى وزيره باليمن باذان : بلغني أن رجلاً من العرب يزعم أنه نبي ، فابعث إليه أن يرجع وإلا فائتني برأسه . فلما قرأ باذان الكتاب بعث به إلى النبي ﷺ مع رجلين من الفرس عظيمي الجسم قويين يغطى شواربها شعرهما ، قد حلقا لحيتيهما يهيل منظرهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**أَمَّا نَحْنُ فَنُعْفِي اللِّحَىٰ وَنُحْفِي الشَّوَارِبَ**» . فأقامهما النبي ﷺ عنده يومين ، ثم سيرهما بكتاب إلى باذان يقول فيه : «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ كِسْرَىٰ يَقْتُلُهُ ابْنُهُ في اللَّيْلَةِ الْفُلاَنِيَّةِ مِنْ شَهْرِ كَذَا**» . فلما قرأ باذان الكتاب قال : إن كان نبياً فسيكون ما قال . فلم يلبث أن أتاه رسول الابن بقتل أبيه ؛ وإنه إنما قتله لإصلاح أمر الفرس لأنه أفسد أمرهم وفعل بهم وفيهم . . . فأرخ باذان لليلة التى قتله فيها فإذا هي كما ذكر النبي ﷺ فأسلم وبعث بإسلامه وإسلام من معه إلى النبي ﷺ ، ومكث

شيرويه بعد قتل أبيه ستة أشهر ومات . وكذلك من يقتل أباه لايمكث بعده أكثر من ستة أشهر ، ثم تسافل أمر الفرس إلى أن انعدموا ؛ وذلك لدعوة النبي ﷺ لما مزق كسرى كتابه قال : «**مَزَّقَ كِتَابِي ، مَزَّقَ اللهُ مُلْكَهُ**» ، وممزق الكتاب هو أبرويز وهو الذي غلبت الروم فارس في زمنه ، وهو ابن ازدشير ابن أنوشروان العادل ، ولم يك قط قبله ملك أعدل منه . قال ﷺ «**وِلِدْتُ فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ**» يعني أنوشروان وبنى إيوانه الذي لما بناه أهدت إليه ملوك الأرض هيبة له ، وقال عبد الله بن حذافة في مسيره إلى كسرى شعراً ، ثم أسرته الروم بعد ذلك وراودوه عن دينه كل المراودة فعصمه الله منهم حتى مات على الإسلام بمصر في خلافة عثمان .

عبد الله بن الزبعرى

وقوله : وعمه الزبعرى أي عم عبد الله بن حذافة ؛ لأن الزبعرى وحذافة أخوان . والزبعرى في اللغة الناقة الوبراءُ والسيءُ الخلق ، وسمي به ابن قيس بن عدي هذا ، وهو والد عبد الله بن الزبعرى االشاعر الذي يقال أنه أشعر قريش ، وأمه عاتكة بنت أهيب بن حذافة بن جمح وهو القائل :

ياغــراب البــين أسمعت فقــل ... إنــما تنــطق شيئــاً قد فعــل

وكان أشد قريش على النبي ﷺ وأصحابه بلسانه وبنفسه وهجائه ، وقد أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه . وقال حين أسلم :

منــع الــرقــادَ بلابــلٌ وهمــوم ... والــليــل معتـلج الــرواق بهيم
مما أتــاني أن أحمــد لامــني ... فيــه فبــتّ كأنــني محمــوم
أيــام تأمــرني بأغــوى خطة ... سهــم وتــأمــرني بها مخزوم
وأمــر أسباب الـردى ويقـودني ... أمــر الغــواة وأمــرهم مشئــوم

فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي ومخطىءُ هذه محروم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
فاغفر فدى لك والديّ كلاهما زللي فإنك راحم مرحوم

لقد ذكر الناظم في هذه الأبيات ثلاثة من بني قيس بن عدي وهم حذافة ؛ وهو أبو عبد الله ، وخنيس زوج حفصة أمنا كما قدمنا ، والزبعرى والحارث[1]وهو المستهزىء بالنبي ﷺ وانطفأ جمر شره عن النبي ﷺ بالموت والقروح في رأسه وفي سائر بدنه كما قال البوصيري في ذكره مامات به المستهزئون :

وعلا الحارث القيوح وقدسا ل بها رأسه وساءَ الوعاءُ

الغياطل من سهم

وأمه أم حذافة الغيطلة من كنانة ، ويقال لهم من هذا الغياطل . قال أبو طالب :

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
بني خلف قيضاً بنا والغياطل

ومدح بني الحارث بعد ذكر أبيهم بالاستهزاءِ بالنبي ﷺ وهاجر منهم ستة الهجرة الحبشية وهم : عبد الله المبرق أبو قيس ، والسائب ، والحارث ومعمر وسعيد وبشر ، وصحب تميم وقتل يوم أجنادين والحجاج ، وقد ذكرت أهل الحبشة منهم في نظمي لمهاجري الحبشة فقلت :

---

(١) وقيل : إن المستهزىءَ هو الحارث بن الطلاطلة بن الحارث بن عبد عمرو بن لؤي بن ملكان الخزاعي كما ذكره ابن هشام في سيرته . والله تعالى أعلم .

هم معمـر وخـالـد سعيـد وبشْرُهـم والسـائـب الشهيـد
كذا أبـو قيس كذا سعـيـد أخ لهم من أُمـهـم سعـيـد

وهو سعيد بن عمر التميمي أخوهم لأُمهم وحليف لبني سهم ، وأُمهم بنت حرثان من بني سواءَة بن عامر بن صعصعة .

وسمي عبد الله بالمبرق لقوله حين هاجر إلى الحبشة :

اذا أنـا لم أُبـرق فلا يسعـنَّني من الأَرض بَرٌّ ذو فضاءٍ ولابحر
بأَرض بها عبـد الإلـه محمـد يبـين مافي الصـدر إذ بلغ النفـر
فتلك قريش تجحـد الله ربـنـا كما جحـدت عاد ومدين والحجر

والإبراق الذهاب ، واستشهد المبرق يوم الطائف ، وكلهم أو جلهم ماتوا شهداءَ . وأَبو قيس كنيته عبد الله ، وهو سيد قريش غير مدافع قاله في الإصابة .

هُنَـا انْتَهَى سَعْـدٌ وَمن سُعَيْـدِ

أَخِيـهِ عَمْـروٍ ذِي الـدَّهَا والْكَيْدِ

سعد الذي انتهى هو سعد بن سهم ، وشرع يتكلم في سُعيد بصيغة التصغير . وقوله : أخيه أي أخي سعد ، وهو عطف بيان أو بدل من سعيد . وعمرو مبتدأً خبره من سعيد ، وذو الدها صفة لعمرو ؛ وهو عمرو ابن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم ، ويضرب المثل به في الدهاءِ ؛ وهو جودة الرأْي ، ومنه الكيد .

قصة عمرو بن العاص مع عمارة بن الوليد

ومن دهائه ماوقع له مع عمارة بن الوليد بن المغيرة حين بعثتهما قريش إلى النجاشي ليسلم لهم أصحاب النبي ﷺ ، وسار عمرو مع زوجته ريطة بنت منبه بن الحجاج ، وهي أم ابنه عبد الله ، فلما كانوا في الطريق تعاشق عمارة مع ريطة ـ وكان عمارة في غاية الجمال محبباً إلى النساءِ ـ ففطن لهما عمرو لكنه لم يظهر لهما شيئاً ، فأتوا إلى سفينة في البحر يريدون ركوبها ، فقدموا المرأة فركبت وركب عمارة وأمر أهل السفينة أن يبحروا بعد ماشرع عمرو في الركوب ، ففعلوا وبقي عمرو في الماءِ وكاد أن يغرق ، ولكنه سبح وصاح بأهل السفينة حتى لحقها وركب ، فرأى في عمارة والمرأة الخجل ، فعزم عليها أن تقوم إلى عمارة وتكون معه في مكان واحد في السفينة وقال : قومي إلى ابن عمك فقبليه . فلما فعلت ذهب عنه ماكان به من خجل ، ولما أتوا أرض الحبشة قال له عمرو : ياعمارة ، إن قريشاً بلغهم عنا شيءُ فلأن أكتب إلى سهم أن يتبرؤ وا من دمي ، واكتب أنت إلى مخزوم أن يتبرؤ وا من دمك كذلك ففعلا . فلما وصل ذلك إلى قريش قالوا : مات عمارة ، والله إنها لمكيدة من عمرو . ثم إن عمراً قال لعمارة : إنك لجميل وذو مكانة عند النساءِ والحبشة يطيعون نساءَهم ، فتلطف في لقاء زوجة الملك حتى يكون بينك وبينها ماتشفع فينا عنده . فالتقط عمرو بعض ماكان بينهما وسعى به إلى الملك فقال : لا أقتله ولكن أفعل به ماهو كالموت أو أشد . فأمر السحرة فنفخوا إحليله فطار منه فؤاده ، وهام في الأرض مع الوحش يرعى معه ويرد المياه ، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب استشاره عبد الله بن أبي ربيعة أن يأخذه فأذن له ، فسار إليه فكمن له على ماءٍ يرده مع الوحش حتى أخذه ، فنفر منه

وقال : أرسلني بجير . ولم يزل يقولها وعبد الله ممسك به حتى مات في يديه .
ولما لم يجد عمرو من النجاشي مايريد من قومنا الذين عنده رجع إلى قريش ، ثم بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري بكتابين أحدهما إلى النجاشي يدعوه به إلى الاسلام والثاني أن يسيرّ إليه القوم . فقالت قريش لعمرو : ارجع إليه بهدية هي أحب مايهدى إليه ، فقال : أحب مايهدى إليه الأدم ، فاجمعوا لي من الأدم . فسار إليه فلما دخل عليه قال : هذا صاحبي ، ماأهديت إلي ؟ . قال : قبة من أدم . قال : مرحباً بك ماحاجتك ؟ . قال : حاجتي هؤلاءِ القوم الذين عندك ، تدفعهم لنا . فصفعه النجاشي صفعة عظيمة ، فأطرق عمرو ساعة ثم قال له النجاشي : ويلك ياعمرو أسلم ، والله لتعلم إنه نبي . فلم يزل يدعوه إلى الإسلام ويحسنه له إلى أن أسلم على يد النجاشي ، فخرج عنه يريد النبي ﷺ فلقي خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري يريدان الإسلام فتكاتموا خبرهم ، فلم يزل عمرو يسأل خالداً إلى أن قال : ويحك ياعمرو ظهر المنسم ـ أي الأثر لأن المنسم في القدم هي التي تؤثر في الأرض ، وفي رواية : الميسم أي العلامة ـ إن الرجل والله لنبي ، فأسلم تسلم . فقال عمرو : ماجئت إلا لذلك . فترافقوا حتى قدموا على النبي ﷺ فلما رآهم قال لأصحابه : «رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَاذِ كَبِدِهَا» . قال عمرو : وكنت أسن القوم فأردت أن أكيدهما ، فقدمتهما يبايعان قبلي حتى أسمع مايبايعان عليه لأزيد عليه ، فبايعاه على غفران ماتقدم من ذنبهما ، فأضمرت في نفسي أن أبايعه على ماتقدم من ذنبي وما تأخر ، فبايعت على ماتقدم ونسيت ماتأخر . وحسن إسلام عمرو ، وعمل للنبي ﷺ مراراً ؛ منها أنه أمره على سرية ذات السلاسل ، ثم بعث إليه يستمده فأمده بقوم فيهم أبو بكر وعمر وأمر عليهم

أبا عبيدة وقال له : «**لاتُخَالِفْ عَمْراً**» فلما جاءه أراد عمرو الإمامة فنازعه أبو عبيدة فقال له عمرو : أنا أميرك . فقال له أبو عبيدة : أنت أمير من معك وأنا أمير من معي . فقال عمرو : إنما أنت ومن معك مدد لي . فقال أبو بكر وعمر : أوصاك رسول الله ﷺ أن لاتخالف عمْراً . فصار عمرو يؤم الجميع وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، وهو حديث عهد بالكفر لإمارته عليهم .

ومنها أنه قال له رسول الله ﷺ يوماً : « **أُرِيدُ أَنْ أُوَجِّهَكَ لِوجْهَةٍ وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ** » فقال : يارسول الله ، وجهني إلى حيث شئت ولا حاجة لي في المال . فقال ﷺ : «**نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ** » . فبعثه إلى عمان يدعو ملكيها إلى الإسلام ؛ وهما عبد وجعيفر ابنا الجلندي . ثم بعد النبي ﷺ أمره أبو بكر الصديق على بعض جيوش الشام ، ثم بعد أبي بكر أمره عمر على جيش إلى مصر ففتحها ،وكان يطلب ذلك من عمر ويرغب فيه ؛ لأنه ذهب في تجارة في الجاهلية إلى الشام فقدموا إيلياءَ فمكثوا فيها يبيعون تجارتهم ـ وكانوا يتعاقبون سرح إبلهم ـ فسرح عمرو يومه ، فبينما هو يرعى إبله ، وقد علق سقاءَه في شجرة ، إذ جاءَه شخص على غير هيئة أهل الأرض ؛ عليه عمامة رهلة جيدة ، فجاءَه وقد أجهده العطش فسقاه عمرو من مائه ، ونام تحت الشجرة التى تحتها عمرو ، فجاءَت حية عظيمة كأنها تقصد النائم فرماها عمرو فقتلها ، فانتبه الرجل فإذا الحية عند رأسه مقتولة ، فسأل الرجل عنها عمراً فقال : أتتك هذه الحية فقتلتها . فقال الرجل : ياهذا ، أنت أنقذت حياتي من الموت مرتين ؛ من العطش ومن هذه الحية التي كانت تريدني فمن أنت ؟ . قال : رجل من العرب قدمت في تجارة ومعي أصحابي ، وهم في المدينة وأنا اليوم أسرح لهم . فقال : وأنا قسيس من قسيسي الاسكندرية ، وقد نذرت الصلاة في بيت المقدس وجئت

لذلـك ، وأضللت الطريق حتى كاد يهلكني العطش ، فأنقذتني منه ومن الحية ، ولك علي ديتان فما الدية عندكم ؟ . قال : مائة من الإبل . فقال القسيس : إنا أهل مصر لسنا أهل إبل ، وإنما نحن أهل عين ، فما قيمة البعير عندكم من العين ؟ . قال : عشرة دنانير . قال : تلك ألف دينار فسر معي أعـطيكها . ولم يكترث عمرو بقوله حتى راح معه إلى أصحابه فاستشارهم وطلب منهم رجلاً يسير معه ، فسار معه أحدهم واشترطوا على القسيس أن يجيزهمـا إلى أرض العـرب ، فلما قدمـوا الاسكندرية أكرمهم وأعطاهم ألفي دينار وكساهم ، وأرادوا الخروج فقال لهم : إن لنا عيداً قد أقبل ، ولاعليكم أن تحضروه فتشاهدوا صنيعنا فيه فانتظروه . وكانت لهم كرة يترامون بها فمن دخلت في لباسه يملك مصر ، فترامو فطارت فدخلت في كم عمرو فقالوا : ماكذبتنا كرتنا هذه قط قبل اليوم ، فلما كانت المسلمون تفتح بلاد العجم طمع عمرو في ملك مصر لدخول الكرة في كمه .

هشام بن العاص بن وائل

وأخو عمرو هشام بن العاص قديم الإسلام ، هاجر الحبشة الهجرة الثانية ، واستشهد بأجنادين أو باليرموك ، وسئل عمرو : أيكما أفضل أنت أو أخوك هشام ؟ . فقال : أخي كان أحب إلى أبيه مني ، وتعرفون فراسة الوالد في ولده ، واستبقنا إلى الإسلام فسبقني إليه ، وعرضنا نفوسنا على الله تعالى فقبله وردني والله أسأل حسن المآب .

وأم عمرو النابغة بنت حرملة ، ومن عقل عمرو وحلمه أنه مر يوماً بجماعة وهو أمير فقالت الجماعة : من يسأل الأمير عن أمه وله كذا وكذا .

فقام إليه رجل وقال : أصلح الله الأمير ، قد عرفنا العاص بن وائل فمن الأم ؟ . قال : امرأة أصابتها رماح العرب فوطئها جماعة فولدتني ، وأعطتني القافة إلى العاص بن وائل ، فأرسل لجام البغلة وخذ أجرتك [ممن جاعلك] .

يكنى عمرو أبا عبد الله ولد على إحدى عشرة سنة لأبيه ، وألغز عبد الله بن القاضي العلوي لزوايا[1] القبلة في عمرو وابنه عبد الله فقال :

أتينـاك نوكي مرملين فواسنـا — بإسـلام صحبـي على يد تابعي
وسبق أب ميـلاده مولـد ابنـه — بخمس وست أو عززن بسـابع

فأجابه جدنا محمد رحمه الله تعالى فقال :

هما عمـرو السهمي أسلم مخلصاً — بأصمحـة الملك النجـاشي المتابع
مع الابـن عبـد الله قد جاءَ قبله — بخمس وست ماعـززن بسـابع

وقوله : على يد تابعي فيه نظر ؛ لأن التابعي خاص بمن جاءَ بعد الصحابة ، وأما من كان في زمن النبي ﷺ فإنما يقال له : مخضرم كالنجاشي وأمثالـه . وقيل لعمرو بن العاص : ماأبطأك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك ؟ . قال : كنا مع قوم لهم علينا تقدم في السن ، وتوازي حلومهم الجبال ، ماسلكوا فجاً فسلكناه معهم إلا وجدناه سهلاً ، فلما أنكروا من أمر النبي ﷺ أنكرنا معهم ، ولم نفكر في أمرنا وقلدناهم فلما ذهبوا وصار الأمر

---

(١) الـزوايا عندهم عبارة عن طلبة العلم والمشتغلين به . والقبلة يطلقونها على الناحية الغـربية من البـلاد الموريتانية ، وكان ذلك دليلاً على أن أصلهم من شرق الجزيرة قبل النزوح .

إلينا نظرنا في أمر النبي ﷺ فإذا الأمر بيّن ، فوقع في قلبي الإسلام ، فعرفت قريش ذلك في إبطائي عما كنت أسرع إليه في عونهم على أمورهم ، فبعثوا إلي فتى منهم فقال : إن قومك قد ظنوا بك الميل إلى محمد . فقلت له : يا ابن أخي إن كنت تحب أن تعلم ماعندي فموعدك وقت كذا فالتقينا فيه فقلت : أنشدك الله الذي هو ربك وربي ورب من قبلك ورب من بعدك ؛ أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ . قال : بل نحن . قلت : فما ينفعنا الفضل عليهم في الهدى إن لم يكن إلا في هذه الدنيا ؛ وهم فيها أكثر منا؟! . قد وقع في نفسي أن مايقول محمد حق من البعث بعد الموت ، ليجزى في الآخرة المسيءُ بإساءته والمحسن بإحسانه ، ولاخير في التمادي في الباطل . وليس للعاص من الولد في الجاهلية إلا عمرو وهشام ، أما عمرو فقد قدمنا أمه ، وأما هشام فإن أمه حرملة بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل ، وليس له بعد أن أسلم ابناه ابن لأنه الأبتر كما قال الله تعالى ؛ لأن ابنيه صارا بإسلامهما ابنين للنبي ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ** ﴾[1] وهو أبٌ لهم في أول النزول لقوله ﷺ : «**أَنَا أَبُو كُلِّ تَقِيٍ**» ولقوله ﷺ : «**مَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْعِيَالاً فَعِنْدِي**» وإلى ذلك قال محمد البوصيري :

خمسة طهرت بقطعهم الأر ض فكفّ الأذى بهم شلاءُ

والقطع يدل على عدم النسل ؛ إذ نسلهم انقطع عنهم بالإيمان : وهم العاص والوليد بن المغيرة والحارث بن الغيطلة والأسود بن المطلب والأسود ابن عبد يغوث ، فهؤلاءِ هم المستهزئون .

وانقطع عن العاص ابناه . وسبب نزول الآية أنه كان حين مات

---

(١) سورة الأحزاب : ٦

القاسم بن محمد ﷺ قال العاص : ذلك رجل أبتر . وإنما الأبتر هو ؛ لنفي ابنيه عنه بالإيمان . وكذلك بنو المستهزئين غيره كبني الحارث المتقدمين الكرام وخالد والوليد وهشام بني الوليد بن المغيرة ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهبار بن الأسود وعكرمة بن أبي جهل ، وكذلك كل من أسلم من بني الكفار الذين ماتوا على كفرهم .

ومن استهزاءِ العاص بالنبي ﷺ أنه أتاه خباب بن الأرت يستقضيه ديناً له عليه فقال : أنظرني إلى يومِ القيامة الذي تزعم أنت وصاحبك أنه يكون فيه لكم كذا وكذا ، فإني لاأكون إلا أحسن منكم حالاً ؛ وتجدني فيه ذاولد وذامال أقضيك منه دينك . فنزل فيه : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾ [1] وهو الذي أجار عمر بن الخطاب من قريش يوم أسلم ؛ رأى الناس يعدون بالبطحاءِ فقال : أين تريدون ؟.. قيل : ابن الخطاب الذي قد صبأ . فأشار لهم بثوبه وقال : لاسبيل لكم إليه ، إني أجرته . فرجع عنه الناس . وفيه يقول ابن الزبعرى :

أصاب ابن سلمى خلة من صديقه ... ولولا ابن سلمى لم يكن لك راتق
فآوى وحـيًّـا إذْ أتـاه بخـلة ... وأعـرض عنه الأقربون الأصادق
وإلا يكـن إلا لسـاني فإنـي ... بحسن الذي أسديت عني لناطق
بمال يعيش المقتـدون بفضله ... وسيب ربيـع ليس فيه صواعق

عُدَّتْ لَهُ تِسْـعُ أَرَادِبَ ذَهَـبْ

خَلَّفَـهَـا غَدَاةَ لِلَرَّمْسِ ذَهَـبْ

---

(١) سورة مريم : ٧٧ .

الإردب ـ بالكسر ـ جلد العجل أو عنقُ الفحل . يعني أنه يوم مات عمرو بن العاص وذهب به إلى القبر ، وجدوا تسعة أرادب ذهباً في تركته ؛ لأن معاوية خلى له خراج مصر ست سنين ؛ ولما حضرته الوفاة قال له ابنه عبد الله : ياأبت كنت تتمنى أن تلقى رجلاً لبيباً عند الموت ، ثابت الجأش يصفه لك وأنت ذلك الرجل ، فصف لي الموت . قال : يابني ، كأن السماءَ على الأرض انطبقت ، وأنـا أتنفس من بينهما . وكأن غصن شوك إهليج يجذب من قدمي إلى هامتي . ثم قال : اللهم أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم أنـزجـر . ووضع يده على موضع الغل ثم قال : اللهم لاقوي فأنتصر ، ولابريءٌ فأعتذر ، ولا متكبر بل مستغفر ؛ لاإله إلا أنت . ولم يزل يكررها حتى مات . وكان مع معاوية في جميع حروبه لعلي فولاه مصر على ذلك ، ومعه ابنه عبد الله مكرهاً ، ولم يضرب فيها بسيف ولاطعن برمح ولا رمى بنبل فكان يقول : مالي ولصفين . وصلى عليه ابنه حين مات ، وكان عبد الله يدمن الصيام ويقوم الليل فقال له ﷺ : «صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَصَلِّ وَنَمْ» .

عمرو بن شعيب المحدث من نسل عمرو بن العاص

ومن نسله عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله المحدث ، يروي عن أبيه عن جده ، أي يروي عمرو عن أبيه شعيب ، وشعيب يروي عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص .

ولزم من ذكره رضي الله عنه ـ أعني عمراً ـ وذكر أبيه العاص بن وائل استطراد ذكر حلف الفضول ؛ لأنه السبب فيه فقال رحمه الله :

حِلْفُ الـفُضُــولِ وَدَّهُ خَيْرُ نَبِي
مَنْشَـؤُهُ أَنَّ ابْـنَ وَائِـلِ الْـغَبِي

لَطَّ لآتٍ مِنْ زَبِـيـدٍ بِثَـمَـنْ
بِضَـاعَـةً وَطَلَبَ الـرَّجُـلُ مَنْ
يُنْصِفُـهُ وَلَمْ يَجِدْهُ فِي الـنَّـدِي
إِلَّا الـزُّبَـيْرُ وَهُـوَ عَمُّ أَحْمَـدِ
فَجَـمَـعَ الْمُـطَيَّـبِينَ وَحَضَرْ
نَبِيُّنَـا عِنْـدَ ابْنِ جَدْعَـانَ الْأَغَـرْ
وَعَـقَـدُوا أَنْ لَايُـضَـامَ أَحَـدُ
وَحُـسِـدُوا بَعْـدُ عَلَىٰ مَاعَقَـدُوا

سمي بالفضول لأنهم تحالفوا على أن يردوا فضول أموال الأغنياءِ على الفقراءِ ؛ أو لأن هذا الحلف سبقهم إليه رجال من جرهم كلهم اسمه الفضل فاقتدوا بهم . ووده أي أحبه النبي ﷺ قال : «**شَهِدْتُ حِلْفَ الْفُضُولِ فِي دَارِ ابْنِ جَدْعَانَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمُرُ النَّعَمِ وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ**» أي لم يكن من دعاءِ الجاهلية الذي حرمه ﷺ بقوله : «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» ، وبقوله : «**مَنْ تَعَزَّىٰ عَلَيْكُمْ بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَاتُكْنُوا**» قالها في غزوة المريسيع في أمر الواردة ؛ إذ قال الأنصاري : ياللأنصار . وقال المهاجري : ياللمهاجرين . وكانت العرب تقول في استصراخها : يالفلان ، يالبني فلان . فحرمها ﷺ وجعل مكانها : يالله أو ياللمسلمين . إلا دعاءَ حلف الفضول لقوله ﷺ : «**لَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ**» ولذلك لما توفي الحسن السبط رضي الله عنه أراد الحسين أن يجعله مع جده ﷺ فمنعه مروان ومن معه من بني أمية وقالوا : لم يدفن معه عثمان ويدفن معه

غيره ؟! . والله لايكون ذلك أبداً . فدعا الحسين أهل حلف الفضول فأتوه مصلتي سيوفهم ، وفيهم عبد الله بن الزبير يريدون القتال ، فقام أبو هريرة إلى الحسين فلم يزل يذكره بالله والرحم لئَلا يقتتل الفريقان حتى قبل أن يدفن بالبقيع . واستمر إلى اليوم جواز الدعاءِ بحلف الفضول .

وقوله : **«فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَاتُكْنُوا» ؛ أي قولوا له : عَضَّ أَيْر أبيك** . وهو سب العرب ، ولاتقولوا : هن أبيك . والنبي ﷺ لايصرح بالقبيح من الكلام ، ولم يأت في القرآن التصريح به ولكن الصحابة يصرحون به بين يدي النبي ﷺ ولكن في الحرب كقول أبي بكر لعروة بن مسعود : امصص بظر اللات ، أنحن نفرّ عنه ؟! . وكقول سعد بن عبادة لحويطب ابن عبد العزى : أيا عاضّاً بظر أمه ، أهي أرضك وأرض أبيك دونه .

وسبب هذا الحلف أن العاص بن و ائل اشتر ى من رجل من زبيد ـ وهم قبيلة من مذحج ـ اشتر ى بضاعته منه وأتى بها إلى الحرم ، ثم لط له بثمنها ، أي مطله وأبى أن يردها عليه ولا ثمنها ، فطلب الرجل الزبيدي رجلاً من قريش يأخذ له حقه من العاص فأمهل حتى اجتمعت قريش في أنديتها وصعد أبا قبيس أو على الحجر وقال :

ياآل فهر لظلوم بضاعته ... ببطن مكة ناءِ الدار والنفر

ومحرم أشعث لم يقض عمرته ... بين الإله وبين الركن والحجر

فقال الزبير بن عبد المطلب : مايقول هذا الرجل ؟ . فأُخبر فدعا المطيبين غير بني عبد شمس من بني عبد مناف ، فجمعهم في دار عبد الله ابن جدعان ، فتحالفوا على ماتقدم ، وحضر النبي ﷺ ذلك الحلف ، وحسدتهم قريش ـ أي لعقة الدم وغيرهم ـ على هذا الحلف لأنه من مكارم

الأخلاق ، وكان عتبة بن ربيعة يقول : لو أن رجلاً خرج عن قومه لخرجت من بني عبد شمس ودخلت في حلف الفضول .

وقدم بعد ذلك رجل من اليمن حاجّاً ومعه ابنة له يقال لها القتول ـ مارئي أجمل منها ـ فأخذها منه نبيه بن الحجاج السهمي وأغلق عليها داره ومنعها من أبيها ، فطلب الرجل من قريش من يأخذ له ابنته ، فقيل له : عليك بأهل حلف الفضول . فأتاهم فقاموا معه إلى دار نبيه ، فصاحوا به فخرج إليهم فقالوا له : قد علمت ماتعاقدنا عليه فأخرج المرأة إلى أبيها . فقال : نعم ، ولكن متعوني بها الليلة . قالوا : لا ، ولاشخب لقحة . فأخرجها وقال :

صاحِ أهل القتول حيِّ القتولا ... لم أودعهم وداعاً جميلاً
إذا جد الفضول أن يمنعوها ... قد أراني ولا أخاف الفضولا

أبو وداعة وقصة أسره يوم بدر

ومن بني سُعيد بن سهم : أبو وداعة بن صبيرة بن سعيد ؛ أُسر يوم بدر فقال رسول الله ﷺ : «**تَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّ لَهُ ابْناً كَيِّساً تاجِراً فَسَيأْتي في فِدَائِهِ**» ، وكانت قريش قالت : لاتعجلوا في فداءِ أساراكم فيأرب عليكم محمد وأصحابه . فقال المطلب : صدقتم . وانسل من الليل ففدى أباه بثلاثة آلاف درهم أو أربعة آلاف ـ وكان ذلك فداءَ الغني ـ فلامته قريش فقال : أدع أبي أسيراً ؟! . فشخص الناس في فداءِ أساراهم . ثم أسلم أبو وداعة يوم الفتح وأسلم ابنه المطلب وأمه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، ومن ولد المطلب بن أبي وداعة كثير بن المطلب المحدث الشاعر وهو القائل :

لعــن الله من يســب عليــاً وحـسبنــا من سوقــة وإمــام
أيـــسب المـطيبــين جدوداً والكــرام الأخــوال والأعــام

ومن ولد المطلب أيضاً اسماعيل بن جامع المغني المشهور ويقال لأبيه : ذو مناجب . وقد كان أبوه قبيح المنظر جداً ، فشكته زوجته وهي جميلة إلى معن بن زائدة ، فأرسل إليه فأتاه فقال : ماهذه ؟ . قال : زوجتي قال :

طلقها . ففعل ، فقال معن :

لعمـري لقد أصبحت غير محبب ولاحـسن في عينهــا ذا منــاجب
فما لمتــهــا لما تبــين وجــهــه وعين له خوصاءُ من تحت حاجب
وأنف كأنف البكــر يقـطر دائـمًا على لحيـة عضلاءَ شابت وشارب

وكان اسماعيل حسن الغناءِ جداً ، وأحسن مايكون غناؤه إذا فرح أو حزن ، وكان باراً بأمه ؛ فدخل يوماً على المهدي فلم يطربه غناؤه ، فدس إليه من نعى إليه أمه ، وأمره أن يغني فاندفع يغني ، فكاد المهدي يطير طرباً من حسن غنائه ، فأحسن جائزته وأخبره بكذب من نعى إليه أمه . ومن ولد أبي وداعة من غير المطلب عبد الرحمن بن محيصن القارىءُ ـ قارىءُ مكة ـ ومن قراءَته [لمن أراد أن يتموا الرضاعة] .

ومن مشاهير بنى سُعيد بن سهم منبه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سُعيْد بنْ سهم ، وقد قتلا ببدر كافرين ، وقتل معهما العاص بن منبه . ومنهم غنم ذو الفقار سيف رسول الله ﷺ . أعطاه يوم أحد لعلي ، وسمع هاتف يقول : لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي . ورثى الأعشى نبيهاً ومنبهاً ، وهو الأعشى بن النباش بن زرارة الأسدي حليف بني عبد الدار فقال :

قذى بعيـنيـك أم بالعـين عوّار

أم أذرفت إذ خلت من أهلها الدار

وقـد أراهـا حديثـاً وهـي آهـلة

لايشتكي أهلَها ضيف ولا جار

ويـل امِّ قوم بني الحجـاج إن ندبوا

لايـبخـلون ولا بالخصم أنتـار

إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم

وأوفيـاءُ بعـقـد الجـار أبـرار

وكان الأعشى بن النباش مداحاً لنبيه وله يقول :

دع عنك ريطة واكسُ ناجية أدماً مخلقة كأنها فيل

هل تبلغنّي فتىً محضاً ضرائبه مؤملًا وأبوه قبل مأمول

إن نبيهاً أبا الرَّزام أحلمهم حلمًا وأجودهم والجود تفضيل

ليس لقول نبيه إن مضى خلف ولاالقول أبي الرزام تبديل

ثقف كلقمان عدل في حكومته سيف إذا قام وسط القوم مسلول

وإن بيت نبيه منهج فلج محتضر أبداً ماعاش مأهول

فلا يغر ولا يؤذي عشيرته ولاندا عن المعتر معدول

وكان نبيه شاعراً وهو القائل :

تسألاني الطلاق إن رأتاني قد قل مالي جئتما بنكر

فلعلي إن يكثر المال عندي وتخلى من المغارم ظهري

وتـــرى أعـــبـــدأ لنـــا وأواق ومـــنـــاصـــيـــف من ولائـــد عشر
ونـكـــأن من يكـــن له نشب يحبَّبْ ومـــن يفـــتـــقـــر يعش عيش ضر

ونبيه ومنبه من المطعمين ببدر ، وأمهما أروى بنت عمليلة بن السباق ابن عبد الدار ، وانقرضا إلا ابراهيم بن أبي سلمة بن عبد الله بن عقيق بن نبيه ، أحد فقهاءِ مكة . انتهى الكلام على سهم .

نسب بني جمح بن عمرو بن هصيص

ثم شرع يتكلم على إخوتهم جمح فقال :

مِنْ جُمَحٍ مَظْعُونُ وَالِدُ الْمُطِيعْ

عُثْمَانَ أَوَّلِ دَفِينٍ بِالْبَقِيعْ

يعني أن من جمح مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، ومظعون هذا هو والد المطيع لربه عثمان بن مظعون ، يكنى أبا السائب ، أمه سخيلة بنت العنبس من بني جمح أيضاً ، وأم ابنه السائب خولة بنت حكيم ابن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية ؛ وهي التي أرسلها النبي ﷺ تخطب له أمنا سودة ، وقيل إنها خطبت له أمنا عائشة أيضاً ، مظعون مبتدأٌ خبره من جمح ، ووالد صفة لمظعون ، وعثمان بدل من المطيع ، وأول بالخفض صفة لعثمان أو بالرفع على القطع خبر مبتدإٍ تقديره هو أول من دفن بالبقيع من المهاجرين ، وأما الأنصار فأول من دفن منهم بالبقيع هو أسعد بن زُرارة ؛ فقد توفي بعيد بناءِ المسجد بيسير ، وتوفي عثمان بعده في السنة الثانية بعد ماشهد[1] بدراً ، وهو من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم إلى المدينة ، هو وولده السائب وإخوته السائب وعبد الله وقدامة وشهدوا بدراً .

---

(١) قلت أريد محاورة هنا مع المتصوفة الذين يقطعون بلسان حالهم أو مقالهم لشيخهم ـ على الأقل إن لم نقل لمنتسبيهم ـ يقطعون له بالجنة ، ولايستطيعون إنكار القطع له بالجنة ؛ حيث إنهم يقطعون أنه ولي من أولياءِ الله ، وهذه مزية يقطع لصاحبها بالجنة بلا خلاف

= بدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] الآية سورة يونس : ٦٢ . وقد أوضحت آية أخرى أن ذلك ببشارة الملائكة لهم بالجنة عند الموت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ ﴾ الآية سورة فصلت : ٣٠ . وفسرت آية أخرى دهاب الحزن بنيل الجنة : ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَايَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ الآية سورة فصلت : ٣٤ ـ ٣٥ . ومثلها قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ الآية سورة الزمر : ٧٤ . غير أنه لاخلاف بين أهل السنة والجماعة أن خواتم العباد مبهمة إلا من أخبر النبي ﷺ أنه من أهل الجنة ؛ كالعشرة وعكاشة بن محصن وثابت بن قيس وأمثالهم ، ممن أخبر الصادق المصدوق أنهم من أهل الجنة أو أخبر أنه من أهل النار كقزمان مثلاً . ومن لم يثبت خبر عنه ﷺ فيه أنه من أهل الجنة لايستطيع أحد أن يقطع له بجنة ولا نار . ألا ترى إلى قوله ﷺ : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَعْمَلُ أَحَدُكُمْ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَلَيَعْمَلُ أَحَدُكُمْ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا شِبْرٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» ، أو كما قال ﷺ متفق عليه ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ . قال : «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» أو كما قال ﷺ .

فإذاتقرر أن من ثبتت له الولاية ثبتت له الجنة ، فمن أين لهؤلاءِ الشهادة بالجنة لأشياخهم ؟!! . ومن أين لهم تزكيتهم بعد قصة وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه ؛ =

= ففي البخاري ، حدثني الحكم بن نافع ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، حدثني خارجة ابن زيد الأنصاري أن أم العلاءِ - امرأة من نسائهم - قد بايعت النبي ﷺ ، أخبرته أن عثمان ابن مظعون كان لهم في سهمه السكنى حين أقرعت الأنصار سكنى المهاجرين قالت أم االعلاءِ : فسكن عندنا عثمان بن مظعون ، فاشتكى فمرضناه حتى إذا توفي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب بشهادتي عليك ، لقد أكرمك الله . فقال لي النبي ﷺ : «وَمَايُدْرِيكِ أَنَّ الله أَكْرَمَهُ ؟ » فقلت لا أدري ، بأبي أنت وأمي بارسول الله . فقال النبي ﷺ : « أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدَ جَاءَهُ وَالله الْيَقِينُ وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَالله مَاأَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ الله ، مَا يُفْعَلُ بِهِ» قالت : فوالله لا أزكي بعده أحدا أبداً ، وأحزنني ذلك . قالت : فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري ، فجئت إلى رسول الله ﷺ وأخبرته فقال : «ذٰلِكَ عِلْمُهُ» .

وأخرج ابن الأثير في أسد الغابة بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت ، وهو يبكي وعيناه تهرقان .

ولقد اعترضني بعضهم مراراً قائلاً : إنكم تنكرون وجود أولياءَ الله إذاً ؟ ! . وهذا سؤال في غير محله ؛ إننا نقر بوجود أولياءِ الله ، وإنهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، غير أنهم لاسبيل لمعرفة واحد منهم بعينه إلا بإخبار المعصوم ، لأن من عرف بعينه أنه ولي علم أنه من أهل الجنة ؛ لدليل الآية المتقدمة التي بينت أنهم : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ غير أن آية فصلت بينت أنهم االستقاموا على ذلك الإيمان حتى ختم لهم به : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ أي إلى أن جاءَ الموت : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ الآية . ومادام أن ذلك مشروط بالاستقامة على التوحيد إلى الخاتمة ، وأن عقيدة أهل السنة أن خواتم العباد مبهمة إلا من أخبر عنه الرسول ﷺ ، يتحصل منه أن معرفة أن فلاناً بعينه ولي من أولياءِ الله لاسبيل إليها شرعاً ، ويبقى لنا أن نستدل باستقامة المستقيم على رجاءِ الخير له كما قال ﷺ لأم العلاءِ في عثمان بن =

= مظعون : «وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ» وإنا نرثه ونصلي عليه وندفنه في مقابر المسلمين ، ونستغفر الله له وأملنا عظيم في الله أن يكون ختم له بخير ، أما القطع بالجنة لكائن من يكون من غير دليل من رسول الله ﷺ فهو الباطل بعينه والتحكم على الله .

على أننا لاخلاف عندنا في أن الاستقامة الظاهرة دليل واضح على رجاءِ الخير لصاحبها ، وتجب محبة صاحبها في الله بموجب ذلك ، وتلك الاستقامة عمل يسبب لصاحبه دخول الجنة إذا تفضل الله على صاحبه بقبوله ، وبهذا الشرط ـ أعني شرط القبول ـ جمع العلماءُ بين الآيات المصرحة بأن العمل سبب لدخول الجنة وبين الحديث المتقدم : «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» . قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟! . . . . الحديث .

قال شيخنا أمير المؤمنين في المعقول والمنقول الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ثم اليعقوبي ، قال في أضواءِ البيان ص ٢٨٤ / جـ ٧ : قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُموهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ الآية سورة الزخرف : ٧٢ . وقد قدمنا الكلام على هذه الآية ونحوها من الآيات الدالة على أن العمل سبب لدخول الجنة كقوله تعالى : ﴿ وَنودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُموهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ سورة الأعراف : ٤٣ . وقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً ﴾ سورة مريم : ٤٣ . وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاأُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانوا يَعْمَلونَ ﴾ سورة السجدة : ١٧ . وبينا أوجه الجمع بين هذه الآيات الكريمة وما بمعناها ، مع قوله ﷺ : «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» . قالوا : ولاأنت يارسول الله ؟ قال : «وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَني الله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» وذكرنا في ذلك أن العمل الذي بينت الآيات كونه سبب دخول الجنة ؛ هو العمل الذي تقبله الله برحمة منه وفضل ، وأن العمل الذي لايدخل الجنة هو الذي لايتقبله الله . والله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتقِينَ ﴾ سورة المائدة ٢٧ . انتهى منه بلفظه .

قلت : وبذلك يتضح الإبهام في خواتم العباد ؛ حيث إنه لايعلم العمل المتقبل من =

وَإِذْ تَوَىٰ قَبَّلَهُ الــرَّسُولُ
وَهٰكَــذَا فَلْيَكُــنِ الْــوُصُــولُ

توى : مات . والوصول أي إلى أعلى الدرجات . ويؤخذ من تقبيل النبي ﷺ له بعد موته طهارة المسلم الميت ، [ومن ذلك قوله ﷺ] : «**سُبْحَانَ اللهِ الْمُؤْمِنُ لاَيَنْجُسُ**» . اهـ . وبكى النبي ﷺ على عثمان بن مظعون وقال لما دفن : «**نِعْمَ السَّلَفُ لَنَا عُثْمَانُ**» ، وقال حين توفي ابنه ابراهيم : «**إِلْحَقْ بِسَلَفِنَا الصَّالِحِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ**» وعلّم على قبره بحجر وكان يزوره .

مِمَّنْ أَرَادَ الاْخْــتِــصَــاءَ وَنَــزَلْ
فِيــمَا أَرَادَ قَوْلُــهُ عَزَّ وَجَــلْ
لَيْسَ عَلَىٰ الَّــذِينَ آمَنــوا فَكَفْ
إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي دِينِ هَادِينَا الْكَلَفْ

= العمل غير المتقبل إلا الله ، وننبه على أن الأعمال بخواتمها إلى قصة عمرو بن سلامة بن وقش الأشهلي ، الذي استشهد يوم أُحد وبه يلغز فيقال : رجل دخل الجنة ولم يسجد لله سجدة واحدة . وفي مقابل ذلك قزمان الظفري الذي كان يظهر الإسلام وهو منافق ، وقاتل يوم أُحد قتالاً لم يقاتله أحد ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ : «هٰذَا إِلَىٰ النَّارِ» وقصة مخيريق يوم أُحد هي الأخرى من الأدلة على أن الأعمال بخواتمها ؛ حيث إنه كان حاخام اليهود الأكبر ، فشرح الله صدره للإسلام صبيحة أُحد ، فنادى في اليهود يستنفرهم لنصرة رسول الله ﷺ ثم ذهب يجاهد في سبيل الله حتى استشهد . اللهم اختم بالسعادة آجالنا ياأرحم الراحمين .

يعني أن عثمان من القوم من الصحابة الذين أرادوا أن يختصوا ؛ لئلا يشغلهم النكاح عن العبادة ، وأن لا يذوقوا من الطعام والشراب إلا مايمسك حياتهم ؛ منهم عثمان هذا وسعد بن أبي وقاص ، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك ونزل قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا** ﴾[1] . فكفوا عما عزموا عليه لأنه تبين لهم بنهي النبي ﷺ وبنزول الآية أن دين النبي ﷺ لم يكن فيه الحرج ولا الكلف التي في دين الأمم قبله ، بل هو الملة السهلة ، وذلك من فضله تعالى على نبيه ﷺ وأمته .

وعثمان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية فقال : لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويضحك مني من هو دوني ويحملني على أن أنكح كريمتي . وكان عثمان من فضلاءِ الصحابة ؛ أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً .

قُدَامَـــةٌ أَخُــوهُ خَالُ ابْنِ عُمَــرْ

وَحَفْصَـــةٍ فِي الْخَمْـرِ حُدَّ وَحَضرْ

بَدْراً وَلَـيْسَــتْ لِسِــوَاهُ تُعْــرَفُ

أخوه أي أخو عثمان بن مظعون وخال ابن عمر وحفصة ؛ أي وهو أيضاً خال سيدنا عبد الله بن عمر وأمنا حفصة بنت عمر وعبد الرحمن الأكبر ، أمهم كما قدمنا زينب بنت مظعون وأمها ريطة بنت عبد عمرو السلمية ؛ أخت ذي الشمالين الذي استشهد ببدر ، يعني أن قدامة بن مظعون حد في الخمر وهو ممن شهد بدراً ، ولم يشرب الخمر منذ حرمت بدري

(١) سورة المائدة : ١٦٩

واحـد غيره ؛ كان والياً على البحـرين فشرب وشهد عليه أبو هريرة كلاماً فاستنكهوه فوجدوا فيه رائحة الخمر فحده عمر حد الفرية قياساً عليها .

وَمِنْ صَمِيمِهِمْ يُعَدُّ خَلَفُ

أي ومن صميم جمح يعـد خلف بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، والبيت من جمح في وهب ثم في خلف بن وهب . وفي خلف يقول الشاعر :

خلف بن وهـب كَلَّ آخـر ليـلة أبـداً يكـثـر أهـله بعـيـال

يعني كثرة تزويجه وكثرة ولده وهم : أمية وأبي ووهب وأحيحة وغيرهم ممن لم يعقب ، والعقب في هؤلاءِ الأربعة .

أما أمية فهو الذي قتل يوم بدر مع ابنه علي والعقب منه في ابنه صفوان ابن أمية ، ولم يحضر بدراً ، ولما قدم النذير يقص الخبر على الناس يقول : مات فلان وأخوه ، مات فلان وابنه ، وفلان وفلان ، قال صفوان : الرجل الذي تكلمونه لايدري مايقول ، اسألوه عني . فقيل له : مافعل صفوان بن أمية ؟ . قال : ذاك في الحجر ولقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا . وكان صفوان بعد بدر من رؤساءِ قريش ومن أشدهم عداوة للنبي ﷺ قال يوم أحد حين صدروا : الآن طابت نفسي ؛ قتلت ابن أبي زهير وابن نوفل ، والأماثل من أصحاب محمد .

قصة الذئب مع أبي سفيان وصفوان

وكان مع أبي سفيان يوماً فرأيا ذئباً يطرد ظبياً ، فلما دخل الحرم رجع عنـه فتعجبا . فقال لهما الذئب : أعجب من هذا أنكما هنا ومحمد بالمدينة

يدعو إلى النجاة وتدعون إلى النار !! . فقال أبو سفيان لصفوان : والله إن حدثت بهذا لتبقين مكة خلوفاً . ولم يزل صفوان على شركه إلى يوم الفتح ، فقـام هو وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحزبوا جيشاً وقالوا : إن كانت لهؤلاءِ فهي لنا ، وإن هزموا فسنرى . فلما هزم الجيش فر صفوان ولحقه عمير بن وهب فرده إلى رسول الله ﷺ وقد أخذ له الأمانَ ؛ على أنه يسير شهرين كسائر الناس ؛ وكان ﷺ جعل لمن لم يسلم ذلك اليوم شهرين ثم يسلم وإلا قتل . فأتى عمير بصفوان على ذلك فقال له النبي ﷺ وهو راكب على فرسه : «انْزِلْ أَبَا وَهْب» ؛ فقال : عمير بن وهب يزعم أنك تؤمنني شهرين أسير فيهما ، فقال : «انْزِلْ أَبا وَهْب» ، فقال : لاأنزل حتى تبين لي . فقال : «انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ وَلَكَ أَنْ تَسِيرَ أَرْبَعَةَ أَشْهُر» فنزل ، وغزا معه إلى حنين فلما نفرت الإبل بالمسلمين قال أخوه لأمه كلدة بن الحنبل : الآن بطل السحر . فقال له صفوان وهو لايزال على دين قومه : فض الله فاك ، لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من رجل من غيرهم . وقدمنا هذا من خبره على ذكره في النظم ليخف علينا .

وَمِنْــهُ صَفْـوَانُ الْمُؤَلَّفُ افْـتَرَضْ

لَهُ الـــنـبـيُّ وَدُرُوعَــهُ اقْــتَرَضْ

ومنه أي من خلف صفوان بن أمية بن خلف ، وأمه صفية بنت معمر ابن حبيب بن وهب بن حذافـة بن جمح . المؤلَّف أي من المؤلفـة قلوبهم بالعطاءِ . وافترض أي فرض له عطاءً وهو مائة ناقة وملءُ مابين جبلين غنمًا ،

كما قال في نظم الغـزوات . وافـترض تفسـير للمؤلف . قولـه : ودروعه اقترض يعنى استعار منه النبي ﷺ مائة درع حين أراد المسير إلى حنين فقال له صفوان : أغصبا يامحمد ؟ . فقال : «بَلْ عَارِيَةٌ مَرْدُودَةٌ» واستحمله إياها فأعطاه مايحملها عليه . والقرض هنا بمعني الإعارة استعارة ، فلما أعطاه النبي ﷺ ذلك أسلم قبل تمام الأشهر التي أجلها له . قال : علمت أن لا تطيب بهذا إلا نفس نبي . فلما أسلم قيل له : لا إسلام لمن لاهجرة له . فقدم المدينة فنزل على العباس ، فقال له النبي ﷺ : «عَلَىٰ مَنْ نَزَلْتَ» ؟ . قال : على العبـاس . فقـال : «ذٰلِكَ أَبَرُّ قُرَيْشٍ بِقُرَيْشٍ ، فَمَنْ لِبَطْحَاءِ مَكَّةَ ؟ . ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ فَإِنَّهُ لَاهِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ » . فرجع إلى مكة وأقام بها حتى سنـة اثنتين وأربعين أول خلافة معاوية . وأسلمت امرأته يوم الفتح فأقرهما النبي ﷺ على نكاحهما .

ومن ولده عبد الله الأكبر بن صفوان وعبد الرحمن الأكبر وعبد الله وعبـد الـرحمن الأصغـرين وحكيم وخـالد وصفوان بنو صفوان بن أمية ، وأنجبهم عبد الله الأكبر ؛ أمه برزة بنت مسعود بن عمرو أخت عروة بن مسعود وأم عبد الرحمن الأكبر أم حبيب بنت أبي سفيان بن حرب . وكان معاوية يقدم عبد الله على ابن أخته عبد الرحمن ، فعاتبته أم حبيب على ذلك فوفدا ، فأدخلهما عليه وعنده أم حبيب فقال لعبد الرحمن : ماحاجتك ؟ . فذكر له ديناً وعيالاً ونحو ذلك فقضاها له ، ثم قال لعبد الله : ماحوائجك ياأبا صفوان ؟ . فقال : تخرج العطاءَ فتفرض للمنقطعين ، فإنه قد حدث في قومك نائبة ولاديوان لهم ، وقواعد قريش لاتغفل عنهن فإنهن جلوس على ذيولهن ينتـظرن مايأتيهن من عنـدك ، وحلفاؤك من الأحابيش قد عرفت نصرهم ومؤازرتهم فاخلطهم بنفسك وقومك . فقال معاوية : أفعل ، فهلم

حوائجـك لنفسـك . فغضب عبد الله وقال : ألي إليك حوائج ، إلا هذا وشبهه ؟ . إنك لتعلم أني أغنى قريش ، ثم قام . فأقبل معاوية على أخته أم حبيب فقال : كيف ترين ؟ . قالت : أنت أمير المؤمنين أبصر بقومك . وكان عبد الله بن صفوان مع ابن الزبير ، وكان ممن يقوي أمره . وعرض عليه الحجاج الأمان يوم تفرق الناس عن ابن الزبير ، فقال له ابن الزبير : قد أذنت لك وأقلتك بيعتي . فقال له : إني والله ماقاتلت معك إلا عن ديني . وأبى أن يقبـل الأمان حتى قتل مع ابن الزبير في يوم واحد ، وهو متعلق بأستار الكعبة ؛ وحمل رأساهما إلى عبد الملك بن مروان ، وكانوا يدنون أحد الرأسين من الآخر ويقولون : تناجيا كما كنتما تفعلان .

ويحكى أن المهلب وفـد على ابن الزبير فشغله عن أمور الناس جل يومه ، فأتاهما عبد الله بن صفوان فقال : ياأمير المؤمنين ، من هذا الذي شغلك اليوم ؟ . قال : هذا سيد أهـل العـراق . فقـال عبـد الله : هذا المهلب ؟ . وقال المهلب لابن الزبير : من هذا ؟ . قال : سيد أهل مكة ، قال المهلب : هو عبد الله بن صفوان ؟ .

وإلى عبد الله بن صفوان عنى الشاعر بقوله :

كرهـت كتيبـة الجـمحـي لما رأيـت المـوت سال به كداءُ

سبب اسلام عمير بن وهب

وَإِذْ عُمَـيْرٌ ابْـنُ وَهْبِ الجُمَحي

أَغْـرَاهُ صَفْـوَانُ بِغَـدْرِ الْأَبْطَحِي

أَخْـبَرَهُ بِكُـلِّ مَاجَـرى لَهُ
مَعَ الَّـذِي لِغَـدْرِهِ أرسَـلَهُ

عمـير بن وهب بن خلف ، أعـمامـه أمية وأبي وأحيحة . وأغراه : ذمره . وصفوان هو الذي كنا في شأنه . والأبطحي هو النبي ﷺ نسبه إلى بطحاءِ مكة . وتجب معرفة كونه أبطحي المولد والمبعث . وأخبره جواب قوله وإذْ ، وفـاعله ضمـير يعود على الأبطحي . وجرى له : وقع له . والذي أرسله هو صفوان ، كان معه في الحجر يتذاكران أخبار بدر ويبكيان إلى أن قال عمير : لولا بناتي ودين علي لسرت حتى أفتك بمحمد ، فإن لي علة ؛ وهي وجود ابني الأسير عندهم . فقال له صفوان : دينْك عليّ أقضيه عنك ، وبناتك مع بناتي لايصيبهن إلا ماأصاب بناتي ، وأعينك براحلة فسر حتى تفتك به إحدى فتكاتك ، فإن نجاك الله أغنيتك وتكون ثأرت لقريش ، وإلا فما قلت لك أفي به . فقال عمير : اكتم عني . قال : أفعل . فسار عمير ، وكـان صفـوان واثقـاً منه بقتل النبي ﷺ . يقول لقريش : انتظروا واقعة تنسيكم وقعة بدر . ويترقب ليلقى الركبان الآتية من قبل المدينة ويسألهم عما حدث ؛ طمعاً أن يخبر وه بقتل عمير للنبي ﷺ حتى لقي من أخبره بإسلام عمير فسبه وحلف لايكلمه أبداً . وسار عمير إلى المدينة ، فبينما عمر مع رهط من الأنصار عند باب المسجد إذ رفع لهم راكب ، فلما عرفه عمر قال : هذا عمير بن وهب الذي حزرنا يوم بدر ، والله ماجاءَ إلا لغدر ، فقوموا إلى النبي ﷺ فاجلسـوا معـه واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه ماجاءَ إلا لخديعة . فقام رهط الأنصار وتلقاه عمر فلببه إلى النبي ﷺ وقال : يارسول الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب الذي حزرنا يوم بدر ، ماجاءَ إلا لغدر .

فأمرني أضرب عنقه . فقال له رسول الله ﷺ : «**أَرْسِلْهُ عَنْكَ**» . فأرسله . فقال له رسول الله : «**مَاخَبَرُكَ يَاعُمَيْرُ ؟**» قال : جئت في أسيري عندكم . يعني ابنه وهب بن عمير ، فقال النبي ﷺ : «**مَابَالُ السَّيْفِ**» ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا سيوف يوم بدر ؟ ! . قال : كذبت ياعمير ، ولكنك كنت مع صفوان بن أمية في الحجر ، فتذاكرتما بدراً وقلتما كيت وكيت ، فسرت تريد قتلي ، والله مانعي منكما . فقال عمير : أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله . ماعلم بهذا أحد غيرنا . فأسلم وحسن إسلامه . فقال لهم النبي ﷺ : «**اذْهَبُوا بِأَخِيكُمْ فَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ وَعَلِّمُوهُ الدِّينَ**» وأسلم معه ابنه ، فأقام مع النبي ﷺ إلى أن غزا معه إلى فتح مكة . وقيل : إنه استأذن النبي ﷺ في أن يرجع إلى قريش يدعوهم إلى الإسلام ، فأذن له ورجع إليهم .

وهو الذي حزر المسلمين يوم بدر وقال لقريش : هم ثلاثمائة أو يزيدون قليلاً ، ودعوني أنظر هل لهم من كمين ؟ . فركب فرسه فجال في الوادي فقال : لاكمين لهم . ولكن يامعشر قريش لاتعرضوا وجوهكم التي كأنها المصابيح لوجوه كأنها الحيات ، لقد رأيت قوماً لايموتون حتى يقتلوا عددهم . فقالت قريش : دع هذا مانريده منك وحرش بين الناس . فرمى بنفسه وفرسه أصحاب رسول الله ﷺ وهو أول من رماهم .

وأم عمير بن وهب أم سخيلة بنت هشام بن سُعيد بن سهم ولم يذكر لأبيه غيره ، وأخواه لأمه وهب وكلدة ابنا أسيد بن خلف وهما ابنا عمه ، وانقرض عقب وهب وأسيد .

قتل النبي ﷺ لأبيّ بن خلف

وأما أبي فإن أولاده عدة ، ولم نجد فيهم من الصحابة إلا عبد الرحمن ابن أبي الذي أسر يوم بدر ثم أسلم يوم الفتح . وأبي هو الذي قتله النبي ﷺ يوم أحد ، وذلك أنه كان بمكة يقول : يامحمد ، إن لي العود ـ يعني فرساً ذلك اسمه ـ أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أريده لأقتلك عليه . فقال رسول الله ﷺ : «بلْ أنَا أقْتُلُكَ إنْ شَاءَ الله» . فلما كان يوم أحد وانحاز المسلمون أتى على فرسه ذلك يقول : أين محمد ؟ . لانجوت إن نجا . فاجتمع المسلمون دونه ، فقال ﷺ : «خَلّوهُ» قال الزبير : فتطايرنا عنه تطاير الشَعْراءِ عن ظهر البعير ، فأخذ حربة من يد الزبير وهزها فرماه بها ، فأصاب لمعة من ترقوته بدت له بين الدرع والمغفر ، فسقط عن الفرس وله خوار كخوار العجل ، فأتاه المشركون وقالوا له : ويحك مابك من بأس . وكان جرحه ﷺ له لم يدْمِ ، فقال : والله لو بصق عليَ لقتلني ، أما كان يقول إنه يقتلني ؟ . وهو لم يكَذب قط . فاحتمله قومه وهو يقول : والله لو كان مابي بأهل الحجاز كلهم لوسعهم . ومات عدو الله بسرف . وأما أحيحة بن وهب فمن ولده أبو دِهبل الشاعر ؛ واسمه وهب بن وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة وهو القائل :

أنــا أبــو دِهبـل وهب بن وهب	من جمح في العــز منهـا والحسب
درعي دلاص سردها سرد عجب	وبـيضتي قونسهــا من الــذهب

ومن شعره قوله :

صاح حيا الإلـه أهـلاً ودورا
عنـد باب الـقـنـاة من جيروني

وهي قصيدة طويلة . وكان مداحاً لعبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد ابن عبد شمس بن المغيرة الذي يقال له الهبرزّي أبو الأزرق .

ومنهم وهب بن أبي وهب العالم الجواد ، وفيه يقال :

إذا افـتر وهـب خلتـه لمع برق تبعق في الأرضـين يتبعه السكب
وما ضر وهباً ذم من خالف العُلا كما لايضر البـدر ينبحـه الكلب

وأبو دِهبل عمه أبو ريحانة ؛ واسمه علي بن زمعة بن أُسيد بن أُحيحة ابن خلف ، كان شديد الخلاف على عبد الله بن الزبير ، فتوعده عبد الله بن صفوان ، فلحق بعبد الملك فأمد به الحجاج ، فلما قدم الحجاج مكة أشرف أبـو ريحانة على أبي قبيس وصاح : هل أخزاكم الله ياأهل مكة ؟ . أنا أبو ريحانة ، قدمت عليكم بأربعة آلاف من أهل الشام . فأجابه أبو عتيق : نعم أخزانا الله . فقيل له : لم قلت هذا ؟ . قال : لم نستطعهم عام أول وهم سبعمائة ، فكيف بأربعة آلاف ؟! .

ومن بني جمح بنو معمر بن حبيب ، منهم جميل بن معمر الذي كانت قريش تقول له ذا القلبين لعقله ، ولما أسلم عمر وأراد إظهار إسلامه وإفشاءه أخـبر به جميل بن معمر فصاح بأعلى صوته : ألا إن عمر بن الخطاب قد صبـأ . أسلم يوم الفتـح وشهد حنيناً مع النبي ﷺ فقتل زهيراً بن الأعز

الهوازنى ، وفيه نزل : ﴿ مَاجَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[1] رداً على قريش في قولهم فيه ، ودخل يوماً عبد الرحمن بن عوف على عمر ولم يشعر به وهو ينشد :

كيف ثوائي بالمدينة بعدما قضى غبه منها جميل بن معمر

فقال له : إنا إذا خلونا صبونا . وقيل : إن عمر هو الذي فاجأ عبد الرحمن بن عوف ينشد فقال له عبد الرحمن المقالة كأنه يعتذر .

وأخو جميل سفيان بن معمر هاجر إلى الحبشة .

ومن بني معمر بن حبيب بن معمر : حاطب وحطاب ابنا الحارث بن معمر ؛ هاجرا إلى الحبشة وولد بها لحاطب محمد بن حاطب ، وأصابت النار يده فجاءَت أمه ـ أم جميل بنت المجلد من بني عامر بن لؤي ـ إلى رسول الله ﷺ فلمسها فبرئت في الحين ، وعدها القاضي عياض من المعجزات [2] ومن بني وهب بن حذافة بن جمح عبد الرحمن بن ساباط الفقيه المحدث ، وإخوته سبعة وهو ثامنهم لأم واحدة ؛ وهي أم موسى بنت الأعور بن عمرو بنت عم أبيهم .

---

(١) سورة الأحزاب : ٤

(٢) قلت : عقدت عمتي شقيقة أبي أم الخيرات بنت أحمد المختار الجكنية دفينة المعلاة بمكة المكرمة عليها رحمة الله ، عقدت مانثره عياض في الشفاءِ وشارحه الشهاب الخفاجي في معجزاته ﷺ بنحو ألف وسبعمائة بيت من الرجز وهو عندي مخطوط ، تغمدها الله برحمته .

أبو عزة الشاعر

ومن بني عمير بن وهيب بن حذافة أبو عزة الشاعر ، واسمه عبد الله ابن عمرو بن عمير بن وهيب ، أسر يوم بدر فقال للنبي ﷺ : يامحمد ، دعني لبناتي يرحمك الله . فرحمه ﷺ وأطلقه وأخذ عليه العهد أن لايعين عليه أحداً أبداً ، فلما تجهزت قريش للمسير إلى أحد كلمه صفوان بن أمية وقال : اخرج إلى بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ـ وهم حلفاءُ قريش ـ واسألهم النصرة وحرضهم على الخروج . فأبى عليه وقال : إن محمداً منَّ علي وأخذ علي ألا أكثر عليه سواداً . فقال صفوان : دعنا من هذا وقم حرض الناس بشعرك وبكلامك وسر معنا . فإن سلمت أغنيتك وإن قتلت فبناتك مع بناتي لايصيبهن إلا ماسبق في بناتي . فلما لم يجد بداً من كلام صفوان قام . فخرج إلى بني الحارث يحرضهم ويقول لهم :

أنتم بنو الحارث والناس الهام ... أنتم بنو عبد مناة الرزام
أنتم حماة وأبوكمُ حام ... لاتعدوني نصركم بعد العام
لاتسلموني لايحل الإسلام

فسمعت له بنو الحارث وخرجوا مع قريش إلى أحد ، وتبعهم رسول الله ﷺ وبلغوا حمراءَ الأسد ووجدوا أبا عزة في أحياءِ العرب فأخذوه ، فقال : يامحمد ، عفوك . فقال له رسول الله ﷺ : «**وَاللهِ لاَتَمْسَحُ بَعضَ إلْيَتَيْكَ بِمَكَّةَ وَتَقُولُ : خَدَعْتُ مُحَمَّداً مَرَّتَيْن**» . أصاب أبا عزة قبل برص كسا جلده ، حتى كان لايؤاكله أحد من أهل مكة ، ولايجالسه لاستقذاره لفحش برصه ، حتى مل الحياة وملّه أقاربه وباعدوه ، فلما طال عليه ذلك أخذ سكيناً

فشحذها وخرج إلى شعب من شعاب مكة يريد قتل نفسه ليستريح ، فطعن نفسه بالسكين في معده ـ وهو اللحمة التي تحت الكتف ـ فجارت فدخلت بين الجلد والأضلاع ، فخرج بأثرها ماءٌ أصفر ، فلم يزل ينبعث وينقص البرص حتى ذهب كله وصار جلده كلونه الأول ، فأتى الناس وقد برىءَ فقال :

اللهم رب وائل ونهد ومن علا تهامة ونجد
أصبحت عبداً لك وابن عبد أبراتني من وضح بجلدي

من بعد ماطعنت في معدي

فسبحان من يسقم ويبرىء ويؤثر بالدنيا من شاءَ من بروفاجر وسعيد وشقي . ولم يكن لأبي عزة عقب إلا من قبل النساءِ وهن بنات محمد بن مسلم ابن مرة بن أبي عزة ، ولدت إحداهن لجعفر بن عبد الله بن الحسن المثنى ، ويقال لهن بنات مرة ولم ينتسبن لأبي عزة .

أبو محذورة مؤذن النبي ﷺ

ومن بني جمح أبو محذورة مؤذن النبي ﷺ بمكة ؛ واسمه أوس بن معير بن لوذان بن جمح ، وأخوه أويس قتل يوم بدر كافراً . وسبب اتخاذ النبي ﷺ له مؤذناً أنه يوم فتح مكة ـ لما أذن بلال ـ أقبل أبو محذورة في غلمان من قريش يحكون أذان بلال استهزاءً ، فسمعه النبي ﷺ فإذا هو أنداهم وأحسنهم ، فدعاهم ومسح صدورهم فزال عنهم الغل ، وكان وغر الصدر من قتل أخيه يوم بدر ، فأمره النبي ﷺ على أذان مكة . ولحسن صوته يقول

الشاعر :

أمـــا ورب الـكـعبــة المستـــورة والــنــغـــات من أبي محذورة

لأفعلن فعلة مشهــــورة

وكان لأبي محذورة ناصية إذا جلس وأرسلها تصيب الأرض فقيل له : ألا تصيب منها ؟ . فقال : ماكنت لأقطع شعراً مسته يد رسول الله ﷺ . واتخذه النبي ﷺ مؤذناً وهو ابن ثمان عشرة سنة ، ولم يزل على الأذان إلى أن مات ، وقد عمي بآخرة . وانقرض بنو لوذان فورث الأذان منهم بنو سليمان ابن سعد بن جمح ، منهم سعيد بن عامر ، ولاه عمر بعض أجناد الشام ثم بلغه أنه يصيبه لمم ، فبعث إليه يأمره بالقدوم عليه ـ وكان زاهداً ـ فلم ير معه إلا مزوداً وعكازاً وقدحاً فقال له عمر : مامعك غير ماأرى ؟ . فقال سعيد : وماأكثر مامعي ؛ هذا عكاز أتوكأ عليه ، وهذا مزود أحمل فيه زادي ، وهذا قدح آكل فيه . فقال له عمر : أبك لَممٌ ؟ . قال : لا . قال فما غشية بلغني أنها تصيبك ؟ . قال : حضرت خبيب بن عدي حين صلب ، فدعا على قريش وأنا فيهم ، فربما ذكرت فأجد فترة حتى يغشى علي . فقال عمر : ارجع إلى عملك . فناشده الله إلا أعفاه فتركه .

نسب بني مرة بن كعب
بنو مخزوم بن يقظة

مِنْ مُرَّةٍ يَقَـظَةُ كِلاَبُ
تَيْـمُ فَمِـنْ يَقَـظَةِ الْهِضَـابُ
مَخْزُومُ بَيْـتُ الْعِـزِّ قَدْ تَوارَثُـوه
عَمْـرٌو وعَـامِرٌ وَعِمْـرانٌ بَنُـوهْ

يقظة بالتحريك وكلاب ، ذكر محمد اليدالي أن اسمه غير كلاب ، ولقب كلاباً لأنه يحب الصيد بالكلاب ويجمعها فيقال : هذه كلاب ابن مرة . والهضاب : جمع هضبة للجبل الصغير وتقدم ؛ يعنى أن مرة بن كعب عمود النسب بنوه ثلاثة : كلاب عمود النسب وتيم ويقظة ، وقدم مخزوماً لكثرتهم ولعزهم على غير بني عبد مناف من قريش ، وأم مخزوم كلبة بنت عامر بن لؤي . وأم يقظة من بني بارق ـ قبيلة من بني الأزد من بني عمرو مزيقيا ـ سمو بذلك لأنهم سكنوا جبلاً يقال له : بارق . وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر . وأم كعب مارية بنت كعب بن القين من قضاعة .

ويقظة مبتدأ خبره المجرور قبله . وكلاب وتيم معطوفان على يقظة . والهضاب مبدل منه مخزوم . وتوارثوه شغله بيت العز ، أي توارثوا العز في قريش كابراً عن كابر ولذلك قال أبو جهل : كنا نحن وبنو عبد مناف كفرسي

رهان ؛ نحروا ونحرنا وأطعموا وأطعمنا فلم يسبقونا بشيءٍ ، فقالوا : منا نبي يوحى إليه ؟ . والله لايكون ذلك أبداً . ثم كان البيت والعدد من مخزوم في عمرو ثم في ابنه عبد الله ، ولذلك بدأ بهم الناظم رحمه الله فقال :

عَمْــروُ أَبُــو عَبْـد الْإِلـٰهِ وَوَلَـدْ
عَبْـدُ الْإِلٰــهِ عَائــذاً كَذَا أَسَــدْ

مُغــيَرةً هِلاَلاً الْمــغِــيَرَةْ
أَوْلاَدُهُ عَشَرَةٌ شَهِــيرةْ

وولـد عمرو أيضاً عبيداً ؛ ومنه المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد ، ومن ولده المطلب بن عبد الله بن المطلب ، وكان له ثلاثة أولاد : الحكم وعبد العزيز والحارث ؛ فأما الحارث فقد مات في حياة أبيه ، وكان أبوه مفرطاً في حبه ؛ فجاءَ يوماً إلى موضع من الدار فاضطجع فيه وقال : كان الحارث مضطجعاً عام أول هنا . وتنفس الصعداءَ فمات . وكان عبد العزيز يشتكي عينيه مطرق أبداً يقول : مافي عيني بأس ، ولكن كان أخي يشتكى عينيه فإذا أرادوا أن يكحلوه قال : لا ، حتى تكحلوا معي عبـد العزيز . فيكحلني أبي ليرضيه فأصـاب عيني من ذلـك ماأصـابهـا . وكـان قاضياً للمنصور والمهدى ، وكان محمود القضاءِ حليمًا محباً للعافية ؛ فقدم عليه يوماً محمد بن لوط بن المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب في خصومة فقضى عليه ، فقال محمد بن لوط : من استعملك على القضاءِ ؟ . قال : أمير المؤمنين . فقال : لعنك الله ولعن من استعملك . فقال عبد العزيز : أتسب أمير المؤمنين ؟! . فأخذه الحرس ليضربوه فقال محمد بن لوط : أنت

تضربني ؟ والله لئن جلدتني سوطاً لأجلدنك سوطين . فقال عبد العزيز : اسمعوا ، يخوفني لأجلده فتقول قريش : جلد قومه ، والله لا أجلدك ولاحباً ولاكرامة أرسلوه . فقال محمد : جزاك الله خيراً من ذي رحم ، فقد أحسنت وعفوت ، ولو ضربت كنت قد اجترمت ذلك منك ، ومالي عليك سبيل ، ولا أزال أشكرها لك ، وأيم الله ماسمعت ولا حباً ولاكرامة أحسن منها في هذا الموضع . وانصرف عنه محمد راضياً شاكراً .

وأمـا الحكم فقـد كان من الأجـواد الكـرام ، ومن وجـوه قريش وساداتهم . وكان ممدوحاً ، وله يقول ابن هرمة قصيدة طويلة منها :

لاعيـب فيـك يعـاب إلا أنني ... أمسي عليـك من المنـون شفيقـا

ومن طرائف كرمـه مايحكى أن رجـلاً من بني أمية له مال من نخل وزرع ، فرهقه الدين فخاف أن يباع عليه ماله في دينه ، فشخص من المدينة يريد خالد بن عبد الله القسري ، وكان والياً لبني عبد الملك على العراق ، وكان يبر من قدم عليه من قريش ، فخرج الرجل يريده وأعد له هدايا من طرف المدينة ، فقدَّم الكوفة عنه فأصبح بها ، فنظر إلى فُسطاط عنده جماعة فسـأل عنـه فقيل : للحكم بن المطلب . فلبس نعليه وخرج حتى دخل عليه ، فلما رآه قام إليه فتلقاه وسلم عليه ثم أجلسه في صدر فراشه ، ثم سأله عن مخرجه فأخبره بدَيْنه ، وماأراد من إتيان خالد بن عبد الله القسري فقال له الحكم : انطلق بنا إلى منزلك ، فلو علمت بقدومك لسبقتك إلى إتيانه ، فمضى معه حتى أتى منزله فرأى الهدايا التي أعد لخالد ، فتحدث معه ساعة ثم قال له : إن منـزلنـا حضره الغـداءُ ، وأنت مسـافـر ونحن مقيمون ، فأقسمت عليك لتقومن معي إلى المنزل ، وجعلت لنا من هذه الهدايا نصيباً .

فقـام معـه وقال : خذ منها ماأحببت . فأمر بها إلى منزله ، وجعل الرجل يستحي أن يمنعه منها شيئاً ، حتى صار معه إلى المنزل فدعا بالغداءِ فتغدوا ، وأمر بالهدايا ففتحت وأكل منها من حضره ، ثم أمر ببقيتها ترفع إلى خزانته وقام الناس ، فأقبل على الرجل وقال : أنا أولى بك من خالد وأقرب إليك رحماً ومنزلاً ، وماهنا مال للغارمين أنت أولى الناس به ، ليس لأحد فيه منة إلا الله ، تقضي به دينك . ثم دعا بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار فدفعه إليه وقال : قد قرب عليك والله الخطر ، فانصرف إلى أهلك مصاحباً محفوظاً . فقـام الرجل من عنده يدعو له ويتشكر ، ولم تكن له همة إلا الرجوع إلى أهله . وانطلق الحكم معه يشيعه ، فسار معه شيئاً ثم قال له : كأني بزوجتك تقـول لك : أين طرائف العـراق ؛ بزهـا وخـزهـا ؟ . أمـا كان لنا معك نصيب ؟ . ثم أخرج صرة قد حملها معه فيها خمسمائة دينار وقال : أقسمت عليك لتجعلن هذه لها عوضاً عن هدايا العراق . وودعه وانصرف .

وكانت بالمدينة جارية مشهورة الجمال والفراهة ، فاشتراها الحكم بمال كثير فقال له أهلها ـ وكانت مولودة عندهم : دعها عندنا حتى نصلح من أمرها ، ثم نرفعها إليك لما تستأهل الجارية منا ، فإنما هي لنا ولد . فتركها عندهم حتى جهزوها له ثم نقلوها إليه كما تزف العروس إلى زوجها ، فتهيأ الحكم بأجمل ثيابه وتطيب ، ثم انطلق وبدأ بأبيه ليدعو له ويتبرك بدعائه ، فدخل عليه وعنده الحارث ابنه ، فلما رآه في تلك الهيئة أقبل عليه وقال : إن لي إليك حاجة . قال : فما تقول ياأبت ؟ إنما أنا عبدك ، فمر بما أحببت . قال : تهب هذه الجارية للحارث أخيك ، وتعطيه ثيابك هذه التي عليك ، وتطيبه بطيبك ، وتدعه حتى يدخل على هذه الجارية ، فإني لاأشك أن نفسه قد تاقت إليها . فقـال الحارث : لم تكدر على أخي وتفسد قلبه عليَ ؟ .

وذهب الحارث ليحلف فبدره الحكم وقال : هي حرة إن لم تفعل ما أمرك به أبي ، فإن قرة عينه أحب إلي من هذه الجارية . فخلع ثيابه فألبسه إياها ، وطيبه من طيبه وتركه يذهب إليها . وكان الحارث ـ بعد حاله هذه ـ تخلى عن الدنيا ولزم الثغور حتى مات .

ولما احتضر الحكم قال رجل ممن عنده : اللهم ارفق به . فأفاق وقال : من المتكلم ؟ . فقال الرجل : أنا . فقال : ملك الموت يقول لك : أنا بكل سخي شفيق رفيق . فكأنما كانت فتيلة فطفئت .

وسجن الحكم في حياته فقيل فيه :

خليـــلي إن الجـــود في السجن فابكيـا
على الجـــود إذ سدَّت عليـــه مرافقــه

وممارثي به الحكم بعد موته :

سألــوا عن الجـود والمعـروف مافعـلا
فقــلت إنهما ماتــا مع الحــكــم
ماتــا مع الــرجــل المــوفي بذمتــه
قبــل الــسؤال إذا لم يوف بالــذمــم

وقد كان بيت العز والشرف من بني عمرو بن مخزوم في بني عبد الله ، ولذلك قال أبو قحافة حين نعي له النبي ﷺ : من ولي الأمر بعده ؟ . قيل : ابنـك . قال : أرضيت بذلـك بنـو عبـد مناف ؟ . قيل : نعم . قال : أرضيت بذلـك بنو عبد الله بن عمرو بن مخزوم ؟ . قيل : نعم . قال : الحمد لله ، لامانع لما أعطيت .

ولم يذكر الناظم من بني عبد الله خالداً ؛ وهو جد العطاف بن خالد ابن عبد الله المحدث ؛ كان من ذوي السن والعلم من قريش ؛ وهو العطاف ابن خالد بن عبد الله بن عثمان بن العاص بن وابصة بن خالد بن عبد الله ابن عمرو .

ثم كان البيت في بني المغيرة ولذلك قدمهم ، وأما عائذ وأسد وهلال فإنهم لم يكثروا ، وعائذ بن عبد الله بالهمزة والذال المعجمة ، وقيل بالياءِ والدال المهملة . وأما ابن عيران الآتي فهو بالياءِ المثناة من تحت وبالمعجمة .

قوله : أولاده عشرة وعدهم عشرة ولم يذكر منهم حفصاً ، وهو أيضاً شهير بابنه أبي عمرو بن حفص الصحابي الذي طلق فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس الفهري ، وكان غائباً فبعث إليها كيلة شعير فسخطتها فقال : مالك علينا نفقة ، أنت طالق البتة . فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : صدق . فخطبها معاوية وأبو جهم فاستشارت النبي ﷺ فيهما فقال : «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلوكٌ وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَإِنَّهُ لَايَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ ، انْكَحِي أُسَامَةَ**» ففعلت . وبعث النبي ﷺ أبا عمرو بن حفص مع علي ـ حين بعثه أميراً على اليمن ـ ومات أبو عمرو باليمن . وابنه عبد الله بن أبي عمرو هو أول من خلع يزيد بن معاوية وقتل يوم الحرة . وحفص هو أول من تزوج هند بنت عتبة .

أبان بن حفص بكر هند بنت عتبة
الذي مات يوم بدر

وله منها أبان بن حفص ولعله هو بكرها الذي تعني بقولها :

ولأخـــي وعـــمـــه وبـــكـــري　　　إن كان قد قتـــل يوم بدر

وعنـد النـاظم أن مهشمًا وأبا حذيفة اثنان ، والزبيري يقول : أبو حذيفة اسمه مهشم .

وَهُـمْ هِشَـامُ مُهْشِـمٌ وهَـاشِمُ

وَعَبْـدُ شَمْسٍ وَالْـوَلِيـدُ الآثِمُ

وبدأ بهشام لأنه كان سيداً ، وكانت قريش تؤرخ بموته ، وفيه قيل :

فأصبـح بطن مكـة مقشعـراً كأن الأرض ليس بها هشـام

وفيه يقول أبو بكر بن جعونة الليثي حليف العباس بن عبد المطلب :

دعـيـني أصـطبـح يابـكـر إني

رأيـت المـوت نقـب عن هشـام

تخيره فلم يعـدل سواه

فنـعـم المـرءُ من رجـل تهامـي

عمر بن الخطاب

أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة

وهاشم هو أبو حنتمة بنت هاشم أُم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يعقب غيرها ، ولم نجد لها إسلاماً .

ومهشمًا : قدمناه قريباً أنه أبو حذيفة ، وإلا لم يذكر له عقب ولا خبر .

وعبد شمس : هو أبو الوليد بن عبد شمس الصحابي ، أسلم يوم الفتح واستشهد يوم اليمامة تحت لواءِ ابن عمه خالد بن الوليد .

والآثم : اسم فاعل من أثم إثماً والآثم مرتكبه ، وإثمه الشرك والإصرار عليه ، وعداوة النبي ﷺ ويحتمل أنه قصد بذلك تسميته به كما كان سمي أبو جهل أثيماً بقوله تعالى : ﴿ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ﴾[1] وكان علماً له ، وعلى أن الآية في الوليد وهو الأشبه ، فلاخلاف أن فيه نزلت : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً** ﴾[2] إلى آخر الآيات . وسبب ذلك أنه سمع من النبي ﷺ القرآن فأعجبه ، ووقع سماعه له مراراً وإعجابه به حتى مدحه وقارب الإسلام فقال : إني سمعت من محمد كلاماً والله ماهو بقول الإنس ولاهو بقول الجن ؛ إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولايعلى عليه . فقالت قريش : صبأ الوليد . والله لتصبأن قريش ، صبأت ريحانتها . فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه . فجاءه وجلس إليه كالحزين فقال : مالك ياابن أخي ؟ . قال : وما يمنعني وقريش تتحدث أنك تأتي محمداً وأصحابه ، فتطعم من طعامهم ويقودك ذلك إلى الدخول في دينهم ، وكدت أن تفعل وقد فعلت . فغضب الوليد وقال : هل لأصحاب محمد من طعام ؟ . أو لست أكثر قريش طعاماً ؟! . [وأما الإثم فمنه قوله] : يامعشر قريش ، ماتقولون في محمد ؟ . تزعمون أنه مجنون ، فهل جن قط ؟ . قالوا : لا . قال : تزعمون أنه شاعر ، فهل رأيتموه ينطق بشعر قط ؟ . قالوا : لا . قال : تزعمون أنه كذاب ، فهل جربتم عليه

---

(١) سورة القلم : ١٢ .

(٢) سورة المدثر : ١١ .

كذبة قط ؟ . قالوا : لا ـ وكانوا قبل النبوة يسمونه الأمين لصدقه ـ قالوا : ياأبا عبد شمس ، نحن ترد علينا وفود العرب ، فماذا نقول لها في شأنه ؟ . ففكر وقدر ، فقتل أي لعن ، كيف قدر ثم نظر ، ثم عبس وبسر أي قطب مابين عينيه واربد وجهه ، ثم أدبر عن الله بعد أن قارب الإسلام واستكبر فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، أي يروى ، أي يرويه محمد عن غيره .

والوليد كان وحيداً في مكة عزاً ومالاً وولداً ؛ فمن عزه أنه من بني مخزوم ثم من بني عبد الله بن عمرو ، فهو أبو عشرة وأخو عشرة وعم العشرة وجد العشرة ؛ وهم ـ أي بنوه وبنو بنيه ـ هم الذين عنى الله بقوله ﴿ **وَبَنِينَ شُهوداً** ﴾[1] أي حاضرين لايغيبون لاستغنائهم عن الغيبة بالمال الممدود ، وكان له بساتين بالطائف لاتنقطع فاكهتها صيفاً ولا شتاءً مع ما عنده من الأموال ، وأسلم من بنيه الوليد بن الوليد وخالد وهشام ، وأسلم من بني ابنه عمارة بن الوليد وأبو عبيدة ـ واستشهد مع خالد ـ ولم يزل الوليد على كفره إلى أن مات عليه في السنة الأولى من الهجرة قبل بدر أو أول الثانية ، ولما احتضر جزع وقال لقريش : مابي الجزع من الموت ، ولكن أخاف أن يعبد إله ابن أبي كبشة بعدي بمكة ، فقال أبو جهل : والله لايكون ذلك مادامت فينا حياة . ثم قال لبنيه : وعقْرُ أبي أزهر لاتتركوه فتسبكم العرب . والعقر دية الفرج المغصوب ؛ وذلك أن أبا أزهر الدوسي زوج الوليد بن المغيرة وأبا سفيان ابن حرب ابنتيه ، وأخذ صداقهما ، ودفع إلى أبي سفيان زوجته ومطل الوليد بزوجته ، ثم قدم أبو أزهر ذا المجاز ، فأتاه بنو الوليد يسألونه صداق أبيهم لابنته فقال : أما وأنا تحت ظلال سيوفكم فلا . فضربه هشام فقتله ، وكانت

---

(١) سورة المدثر : ١٣

في هشام عجلة ، فقال حسان يحرض أبا سفيان وكان أبو أزهر في جواره :

غدا أَهـل حصني ذي المجـاز بسحـرة
وجـار ابن صخـر بالمغمس مايَغْـدو
كسـاك هشـام بن الـوليـد خزايـة
فأَبْـلِ وأَخْلِفْ بعـدهـا جُدداً بعـدُ
قضـى وطـراً منـه فأَصـبـح غاديـاً
وأَصبحْت رخـواً لاتخبّ ولاتعـدو
ولـو أَن أَشيـاخي ببـدر تشـاهـدوا
لبـل ظهـور الخيـل معتبط ورد
وقـد يمنـع العـيْر الضروط ذمـارَه
ومـامـنـعـت مخزاةَ والـدهـا هنـد

فعقد يزيد بن أَبي سفيان لواءً وجمع جمعاً يريد بني مخزوم ، وبلغ الخبر أَبا سفيان فأَدركه وحل لواءَه وفرق جمعه وقال : تريد أن تفرق قريشاً وتقوي علينا محمداً ؟! . والله مابدوس عجز عن ثأرهم،وكان بعد ذلك سعد بن صبيح الدوسي خال أَبي سريرة لايرى قرشياً إلا قتله بأَبي أَزهر ، فأَخذ بجير بن العـوام وضرار بن الخـطاب ؛ فقتـل بجـيراً وأَجـارت امرأته ضرار بن الخطاب ؛ أَدخلته معها تحت لباسها وكان يقول : إني لأَجد مس رُكَبهَا وقد حلقته .

وَالْـفَـاكِـهُ اتَّهَـمَ هِنْـدَ فَأَبَـتْ
عَنْـهُ عُقَـيْـبَ إِفْـكِـهِ فَأَنْجَبَتْ

ومن أولاد المغيرة أيضاً الفاكه ، وكانت عنده هند بنت عتبة ، فوجدها يوماً نائمة مع ضيف لهم ، فحملته الغيرة على أنه اتهمها بذلك الضيف حتى إنه ادعى أنها زنت به ، فتحاكما إلى كاهن بخيبر فبرأها االكاهن فأبت عن الفاكه . عقيب : أي بعد إفكه أي كذبه عليها ، فطلقها وتزوجها أبو سفيان فأنجبت بنيها منه ؛ معاوية وعتبة وجويرية وأم الحكم أم عبد الرحمن بن أم الحكم وزير معاوية الذي يقال له : ابن أم الحكم .

ولما تراضوا المحاكمة إلى الكاهن مضوا إليه ، فلما كانوا دون خيبر بكت هند فخلا بها أبوها وقال : أي بنية مايبكيك ؟ . إن كان الرجل صادقاً فأخبريني أقتله ونرجع ، ولا يكون عليك مايكره ، وإن كان كاذباً فسيبرئك . فقالت : ماأبكاني إلا أني أعرف أن الكهان ربما يكذبون ، وأخاف أن يكذب علي فأخزى بعدها أبداً . قال : سأخبىء له خبأ وأجربه بذلك . فصفر لفرسه حتى أدلى ، فألقى حبة بر في إحليله فصر عليها ، فلما أتوا الكاهن قال عتبة : قد خبأنا لك خبئاً ، فقال : حبة بر في إحليل مهر . قالوا : قد جئناك بأمر فأخبرنا عنه بالحق . قال : قد جئتموني في أمر هذه ، وأشار إلى هند . وقال قومي غير زانية ولافاجرة ، وستلدين ابناً سيداً . فتعلق الفاكه بثوبها فقالت له : والله لاتكون له أبا ولايكون لك ابناً .

كَذَاكَ عَبْـدُ الله وَالِـدُ الـشَّـقِي

نَوْفَـلٍ السَّـاقِطِ وَسْطَ الخَنْـدَقِ

وَصِنْـوُهُ عُثْـمَانُ وَهْـوَ المُوثَقُ

وَالْحَضْرَمِـيُّ فِي الـثَّـرى مُمَزَّقُ

أي ومن أولاد المغيرة الشهيرين عبد الله بن المغيرة ، وهو أبو الشقي ـ نسأل الله العافية ـ نوفل بن عبد الله بن المغيرة الذي مات على الكفر حين سقط في الخندق ؛ وذلك أنه حلف ليوثبن مُهره الخندق ، فركضه ووقع هو وفرسه في الخندق ، فابتدره الصحابة فقتلوه فسأل بنو مخزوم النبي ﷺ جثته بدية ألف دينار فقال ﷺ : «**خُذُوهُ لاَحَاجَةَ لَنَا في دِيَتِهِ فَإِنَّهُ خَبيثُ الدِّيَةِ خَبيثُ الْجِيفَـةِ**» ، والصنـو : الأخ الشقيق ؛ أي وأخوه عثمان وهو شقيقه ؛ أمهما كريمـة بنت صفي بن أسـد بن عبد العزى ، وعثمان هذا هو الموثوق أي الأسير الذي أسره عبد الله بن جحش وسريته وقت قتلهم لابن الحضرمي ، وقوله : وصنوه عطف على الشقي أي والد الشقي وأخيه عثمان ، وعثمان بدل من صنوه ، وجملة الحضرمي ممزق حالية لامحة للظرف أي الموثوق . والحال أن الحضرمي ممزق في التراب ، ومعناه : إذ الحضرمي مقتول .

سرية ابن جحش

ذلك أن أول يوم جر إلينا معشر المسلمين العز [كان لما] بعث النبي ﷺ سيدنا عبد الله بن جحش في سرية [تتألف من] تسعة أمره عليهم ـ ومن هنا استحب[1] أن تكون الرفقة تسعة تبركاً بهؤلاءِ ـ وكتب لهم كتاباً وقال له : «**سِرْ يَوْماً أَوْ قَالَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ انْظُرْ فِي هٰذَا الْكِتَابِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ**» . فلما سار القدر الذي حد له نظر فيه [فإذا هو يأمره بموجبه أن يسير بمن معه] إلى **نَخْلَة**

---

(١) هذا الاستحباب ـ أن تكون الرفقة تسعة ـ لم أقف عليه لغيره ، ولعله لقصوري . والله تعالى أعلم .

وَخُـذْ لَنَـا مِنْ خَبَرِ قُرَيْشٍ وَلَعَلَّكَ تَلْقَىٰ لَهُمْ عِيراً ، وَلَاتَسْتَكْـرِهْ أَحَداً مِّمَّنْ مَعَكَ» . ومن هذا الكتاب أخذ العلماءُ جواز المناولة في أهل الحديث ؛ وهي أن يكتب الشيخ كتابه ويصححه ويناوله تلميذه ويقول له : خذ عني هذا الكتاب . فيكون التلميذ يقول ـ يعني مافي الكتاب : حدثني فلان ويؤخذ بذلك ، فيقال : حدث فلان عن فلان .

وأصحاب عبد الله بن جحش في تلك السرية ثمانية هو تاسعهم ونظموا فقال :

أول وقـعـة لنـا في المشركـين **سريـة المـجـدع الـنـدب الأمـين**

ومـعـه فيـهـا أبـو حذيـفـة **سهـيـل بيضـا أمـه الـظريـفـة**

سعـد بن مالـك وعـتـبـة السري **سليـل غزوان وواقـد الجـري**

عكـاشـة وخـالـد وعـامـر **وكـلهـم من الـذيـن هاجـروا**

أي لم يكن فيهم أحـد من غير المهاجرين ، وإنما هم خصوصاً من قريش وحلفائهم ؛ فمن قريش : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن مالك وهو أبو وقاص ، وسهيل بن بيضاءَ ، وعبد الله بن جحش وابن عمه عكاشة بن مِحْصَن حليفا بني عبد شمس ، وهما من بني أسد بن خزيمة ، ثم من بني غنم بن دودان ، وعتبة بن غزوان المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف ، وخالد بن البُكير الليثي وواقد بن عبد الله التميمي ثم اليربوعي حليف بني عدي ، وعامر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب .

فلما قرأ عبد الله الكتاب عليهم قال : أمرني أن لاأستكره أحداً ؛ فمن شاءَ منكم أن يرجع فليرجع . فلم يرجع منهم أحد ، ولكنهم لما كانوا في الطريق أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعاقبانه ، فتخلفا في طلبه ، فبقي القوم سبعة ، ولما كانوا بنخلة ـ وهي موضع بين مكة والـطائف ـ رأوا عيراً لقريش فيها أربعة قدموا من الشام ، يحملون الأدام كالعنب والفـواكـه ، فخـافهم أهل العير فحلق عكاشة رأسه وترقب لهم فقالوا : لابأس ، القوم عُمَّار . وهذا في آخر يوم من الشهر الحرام ، فإن وقعوا بهم فعلوا في الشهـر الحـرام . وإن أمهلوهم إلى أن يفوت النهار دخلوا في الحرم ، فحملوا عليهم ورماهم واقد بن عبد الله فقتل عمرو بن الحضرمي ـ حليف عتبة بن ربيعة ـ وأخذوا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان أسيرين وأفلتهم نوفل بن عبد الله ، وقدموا بالعير والأسيرين على رسـول الله ﷺ وعزل له عبد الله بن جحش الخُمُسَ ،وهو أول من خَمَّس الغنيمة لإمام ، فقال ﷺ : «**لاآخُذُهُ حَتَّى أَعْلَمَ مَايَنْزِلُ فِي فِعْلِكُمْ هٰذَا ، مَاأَمَرْتُكُمْ بِالْفَتْكِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ**» وأنَّب الصحابة القوم . بل هجروهم حتى نزل : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾[1] . ففرح القوم وفرح المسلمـون وأخذ رسول الله ﷺ الخُمُسَ ، وقال في الأسيرين : «**نُمْسِكُهُمَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا صَاحِبَانَا ، فَإِنْ قَتَلَتْهُمَا قُرَيْشٌ قَتَلْنَاهُمَا بِهِمَا ، وَإِلاَّ فَادَيْنَاهُمَا**» . فقدم سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان ، ففادت قريش عثمان بن عبد الله بن المغـيرة وأسلم الحكم بن كيسـان مولى أبي جهـل ، وأقـام مع النبي ﷺ وطمـع القـوم في أن يكـون لهم أجـر غزوة فسـألـوا النبي ﷺ فنـزل قوله

(١) سورة البقرة : ٢١٧

تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾[1] . واستبشر المسلمون وفرحوا ، وقال أبو بكر ، وتروى لعبد الله بن جحش :

تعدون قتلي في الحرام عظيمة
وأعظم منها لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد
وكفر به والله راءٍ وشاهد
وإنا وإن عيرتمونا بقتله
وأرجف بالإسلام باغٍ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غل من القد عانـد

أَبُو حُذَيْفَةَ أَبُو رَبِيعَةْ
أَبُو أُمَيَّةَ قَرِيعُ الشِّيعَةْ
يُدْعَى وَيُدْعَى زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ
وَابْنُ أَبِي عَمْرٍو مُسَافِرِ النَّدِي

---

(١) سورة البقرة : ٢١٨

لِكَـوْنِهِمْ يَكْـفُـونَ زَادَ رَكْـبِهِمْ
بِزادِهِ لله دَرُّ دَأْبِهِـمْ

ومن بني المغيرة أيضاً أبوحذيفة وهو ثامنهم ، وأبو ربيعة وهو تاسعهم ، واسمه عمرو وهو ذو الرمحين ، وله يقول ابن الزبعرى يمدح ابنه :

بجـير بن ذي الـرمحين قرب مجلسي
وراح علينـا فضـله غير عاتـم

ومنهم أبو أمية وهو عاشرهم . والقريع : السيد . والشيعة : يعني بها بني المغيرة ؛ وكان تحته أربع عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب أم بنيه زهير وعبد الله وقريبة ، وعاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان من بني فراس ، وهي أم أمنا أم سلمة ، وعاتكة بنت عتبة بن ربيعة . وأبو أمية اسمه حذيفة . ويلقب زاد الركب ، وكذلك زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى وقد قتل يوم بدر ، وقوله : بزاده متعلق بيدعى الأول ، والضمير فيه يعود إلى زاد ركبهم ، وهو المشبه بالاستخدام . يدعى أي يسمى كل من هؤلاءِ زاد الركب ؛ ولقبوا بذلك لأنهم إذا سافروا يكفون من يسافر معهم الزاد ولا يتزود معهم أحد ، والندي : الجواد ، وخص به الناظم مسافر بن أبي عمرو بن أمية لعدم شهرته بالنسبة لصاحبيه . وقوله : لله در دأبهم أي عادتهم من تزويد ركبهم ، وهو مثل سائر في كلام العرب لايحتاج إلى تفسير . وفي أبي أمية يقول أبو طالب يرثيه :

يقـولـون زاد الـركب غير مدافـع
بسرو سُحَـيْم ضُمِّـنتـه المقـابـر

وقــد أيقن االـركب الـذي أنت فيهم
إذا أرمــلوا يومــاً بأنــك عاقــر
وإلا يكــن لحم عبــيط فإنــه
تكــبّ على أفــواهــهن الـغــرائــر

وذكر الزبير للمغيرة غير هؤلاءِ العشرة ؛ حفصاً وقد قدمناه ، وزهيراً وحراشاً وتميمًا ويكنى أبا زهير وعثمان .

مِنَ الْــوَليــدِ خَالِـدٌ سَيْفُ الْإِلٰـه
لِعِــزِّ الاسْــلَامِ وَأَهْلِهِ انْتَضَـاهْ
بِشَــعَــرَاتٍ لِلنَّــبِــيِّ أَرْهَــبَــا
رُومــاً وفــارِسَ وسَــاسَ الْعَــرَبَـا
أَرْسَــلَهُ إِلَىٰ أُكَــيْــدِرَ الــنَّبِـي
فَغَــلَّهُ وَالْجِــزيَــةَ اخْتَــارَ الْغَبِي
وَهَــدَمَ الْــعُــزَّى لَهُ وَالْهَــيْــلَلَهْ
أَرْجَــى لَهُ مِنْ كُلِّ مَاسَــلَفَ لَه
بِهَا تَتَرَّسَ لَدَىٰ الْــوَفَــاةِ
لَا بِالَّــذِي فَعَــلَ بِالْــبُــغَــاةِ

بدأ بخالد لاستحقاق أبي سليمان التقديم ، وقد لقبه النبي ﷺ سيف الله في قوله لعمار بن ياسر ، وقد وقع بينهما شيءٌ ، حتى قال له عمار : لقد هممت ألا أكلمك بعدها أبداً . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لخالد : «**مَاتُرِيدُ إِلَىٰ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، شَهِدَ بَدْراً**» وقال لعمار : «**مَاتُرِيدُ إِلَىٰ خَالِدٍ سَيْفٍ مِنْ أَسْيَافِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ الْكُفَّارِ**» ؟ . قال خالد : مازلت أحب عماراً من ذلك اليوم . وقال أبو بكر لعمر حين أراد منه أن يعزل خالداً : لاأغمد سيفاً سلّه الله ورسوله . وانتضاه : سله للاستخدام إن أسند الفعل إلى خالد ، وإن أسند إلى ضمير يعود للإله فليس للاستخدام .

وأم خالد لبابة الكبرى ، وقيل الصغرى خلاف بينهما وبين أم الفضل ، وهما بنتا الحارث بن حزن بن بجير من بني هلال بن عامر بن صعصعة ، أختها أمنا ميمونة وعمتهن صفية بنت حزن أم أبي سفيان بن حرب ، أسلم خالد عام الحديبية ـ بينها وبين خيبر ـ وهاجر إلى النبي ﷺ ومعه عمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة العبدري ، فلما رآهم النبي ﷺ قال لأصحابه : «**رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَاذِ كَبِدِهَا**» ، وبعثه ﷺ إلى العزى ـ صنم سليم وقريش المشهور ـ وبعثه ﷺ إلى بني جذيمة ـ قبيلة عند ماءٍ يقال له الغميصا ـ فقالوا : صبأنا وبنينا فينا المساجد وصلينا فيها . ولم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فاستباحهم بالقتل فوداهم رسول الله ﷺ وقال : «**اللهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**» وكان ﷺ يوليه أعنة الخيل ، فكان على مقدمته يوم الفتح ويوم حنين ، وجرح ونفث على جرحه رسول الله ﷺ فانطبق منها ولم يشتكها . وكان يقول : اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما صبر معي إلا صحيفة يمانية . ولما قتل الأمراءُ أخذ اللواءَ وانحازت إليه الناس ، فحاش بهم أي انحاز حتى نجوا من العدو ولم يفروا ، وحال الليل بين الفريقين .

وقـولـه : بشعرات من رأس النبي ﷺ جعلها في عمامته ، كلما رأى عمامته جيش انهزم ، فبذلك أرهب أي خوف الروم والفرس . وساس العرب : أي ساد العرب لتقدمه على جيوشهم ، وفتحه المرتدين منهم كأهل اليمامة وجيش طليحة في بزاخة ، وهدمه العزى بأمر النبي ﷺ إذ بعثه إليها فلما أتاها قال :

ياعــز كفــرانــك لاسبحـانـك إني رأيــت الله قد أهــانــك

ولما جاءَ قال له رسول الله ﷺ : «**هَلْ رَأَيْتَ شَيْئاً**» ؟ **قال** : . **لا** . **قال** : «**فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَلَمْ تَهْدِمْها**» فرجع فهدمها ، فخرجت منها عجوز ثائرة الرأس ناشرة الشعر تدعو بالويل والثبور ، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال : «**تِلْكَ الْعُزَّىٰ لَاتُعْبَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ** » .

وأكيدر : هو ابن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل ، بعثه إليه النبي ﷺ في سرية في غزوة تبوك وقال له : «**إِنَّكَ تَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ**» ، فبينما أكيدر مع زوجته في ليلة صائفة على سطح دارهم ، إذ أتتهم بقر الوحش تنطح حصنهم بقرونها والليل مقمر ، فدعا أكيدر أخاه حساناً وقال : لاصبر عن هذا . فركبـوا خيلهم وطردوا البقر حتى دفعهم في جيش خالد ، فحملوا عليهم فقتلوا حساناً وأسروا أكيدر ، فبعث خالد بقبائه إلى النبي ﷺ فجعل الصحابة يعجبون من حسنه فقال لهم النبي ﷺ : «**لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الْجَنَّـةِ خَيْرٌ مِنْ هٰذَا**» . ثم قدم خالـد أكيدر ، فخـيره رسول الله ﷺ بين الإسلام وضرب الجزية وذلك قوله : والجزية اختار الغبي ؛ وهو من لا فطنة له . وغلَّه أي أسره . وقوله : والهيللة استئناف مبتدإ خبره أرجى له . وما سلف له أي ماقدمه من العبادة من طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيل الله ، وكـذلـك قال عنـد وفـاتـه رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين بالمدينة على

المشهور ، وقيل : بحمص وأوصى إلى عمر . ولم تبق امرأة من مخزوم إلا نشرت لمتها على قبره ؛ أي حلقت رأسها عليه . فقيل ذلك لعمر فقال : دعهن يندبن أبا سليمان .

قلت وفي هذا نظر [لأن عمر ماكان ليرضى بحلق الرؤوس على الميت] بعدما نهى عنه النبي ﷺ .

ولما احتضر خالد رضي الله عنه قال : لقد شهدت مائة زحف ، وما في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ، وها أنا أموت على فراشي كما يموت العير ، لانامت عين الجبان .

وسمع عمر بعد موت خالد راجزاً ينشد :

إذا رأيت خالداً تخففا
وهبت الريح شمالاً حرجفا
وكان بين الأعجمين منصفا
يرد بعض القوم إن تخلفا

فقال عمر : رحم الله خالداً . فقال طلحة بن عبيد :

لاأعرفنك بعد الموت تندبني
وفي حياتي مازودتني زادي

فقال عمر : إني ماعبت من خالد إلا تقدمه ، وماكان يصنع بالمال . وكان خالد إذا أصاب غنيمة لم يدفع إلى أبي بكر حساباً ، وكان فيه تقدم على رأي أبي بكر ؛ يفعل أشياءً لايراها أبو بكر ؛ مثل قتله لمالك بن نويرة ولم ير أن يعزله ، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد .

ومما مدح به خالد قول حزن بن وهب بن عمران بن مخزوم والد سعيد ابن المسيب بن حزن في قتاله أهل الردة :

وقامت رجال من قريش كثيرة
ولم يك في القوم القيام كخالد
ترقى فلم ينزل به صدر نعله
وكفَّ فلم يعرض لتلك الأوابد
أخالد لاتعدم لؤي بن غالب
بلاءَك فيها عند قذف الجلامد
وكنت لمخزوم ابن يقظة جُنة
كلا اسْميْك فيها ماجد وابن ماجد
إذا ناب أَمر في قريش مجلح
تشيب له هام العذارى النواهد
توليت منه مايخاف وإن تغب
يقولوا جميعاً : حظنا غير شاهد
كساك الوليد بن المغيرة مجده
وعلمك الشيخان ضرب القماحد

جمع قمحودة وهي العظم الذي خلف الأُذن .

ومن ولد خالد سليمان الذي به يكنى ، والوليد وعبد الرحمن بن خالد . يقول كعب بن جعيل يرثيه :

ألا تبكي وماظلمت قريش
بإعوال البكاءِ على فتاها

ولو سئلت دمشق وبعلبك
وحمص من أباح لها حماها
فسيف الله أدخلها المنايا
وهدم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن صخر
وكانت أرضه أرضاً سواها

وفيه أيضاً يقول :

أبوك الذي قاد الجياد مغرباً
إلى الروم لما أعطت الخرج فارس
وكم من فتى نبهته بعد هجعة
بقرع اللجام وهو أكتع قاعس
ومايستوي الصفان صف لخالد
وصف عليه من دمشق البرانس
ولم يبق تحت الحزم إلا أجنة
ولا من هواديهن إلا الكرادس

ولا يحصل لمتتبع مناقب خالد إلا التعب ، وسيأتي بعضها في الكلام على أبي بكر رضي الله عنه .

وَمِنْ هِشامٍ حَارِثُ الَمجِيدُ
وَحَارِثُ مِنْهُ ابْنُهُ الشَّرِيدُ

رَاهِـــبُ فِهْـــرٍ عَابِـــدِ الـــرَّحْمٰـنِ

أَبُـــو الحَـــظِيَّـاتِ ذَوَاتِ الشَّـانِ

يقـول : ومن أولاد هشام بن المغيرة الحارث بن هشام وهم ستة : الحـارث وسلمـة وخـالـد وعثمان والعاص وأبو جهل . أسلم منهم سلمة وإسلامه قديم ، وأسلم الحارث يوم الفتح وخالد كذلك ، وقتل العاص وأبو جهل يوم بدر مشركين ، ولم نقف لعثمان على خبر .

أما الحارث وأبو جهل فإن أمهما أسماء بنت مخرمة بن جندل بن نهشل ابن دارم من تميم ، وأما سلمة فأمه ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير ، وهي القائلة في الجاهلية :

الـيـوم يبـدو بعـضـه أو كله

فما بدا منـه فلا أحـلـه

ثم أسلمت [وهاجرت مع ولدها] .

وأما خالد والعاص فإن أمهما الشفاءُ بنت خالد بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم .

وكان الحارث كما قال مجيداً أي صاحب مجد وفضل ؛ فعيل بمعنى فاعل أي كان ماجداً في الجاهلية والإسلام كما قال الشاعر :

أظـنـنـت أن أبـاك حين تسـبّني

في المجـد كان الحـارث بن هشـام

أولى قريش بالمـكـارم والـنـدى

في الجـاهـليـة كان والإسـلام

وله كان يقول كعب بن الأشرف :

نبئت أن الحارث بن هشامهم
في الناس يبني المكرمات ويجمع
ويزور يثرب بالجموع وإنما
يبني على الحسب القديم الأرفع

وكان يقال له : الحويرث . قال حسان بن ثابت [رضي الله عنه] :

وأسلمها الحويرث من بعيد

وكان الحارث بن هشام ممن فر يوم بدر فقال فيه حسان رضي الله عنه :

إن كنت كاذبة الذي حدثتني
فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم
ونجا بظهر طمرَّة ولجام

فأجابه الحارث بقوله [وهو أحسن ماقيل في الاعتذار من الفرار] :

الله يعلم ماتركت قتالهم
حتى رموا مُهري بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أُقاتل واحداً
أُقتل ولايضرر عدوي مشهدي
ففرت عنهم والأحبة فيهم
طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

ثم غزا أُحداً مع المشركين ولم يزل على شركه حتى أسلم يوم الفتح ، بعد ما أجارته أم هانىء بنت أبي طالب ؛ استأمنت له رسول الله ﷺ فأمنه ، وقيل : إن الحارث بن هشام قد أُجير بما قال في أم هانىء من الغزل .

أسلم الحارث بن هشام وحسن إسلامه ، وخرج في زمن عمر بأهله ، فتبعه أهل مكة يبكون عليه فرق لهم وبكى ثم قال : ماكنا نستبدل داراً بدار ولاجاراً بجار ، وما أردنا بكم بدلاً ولكنها النقلة إلى الله ، والله ماخرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ولا لاختياري بلداً عن بلدكم ، وقد خرج منه رجال من قريش ماكانوا ذوي أنسابها ولامن بيوتها ، ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ماأدركنا يوماً من أيامهم ، ولئن فاتونا في الدنيا لنلتمسن أن نشاركهم في الآخرة . ولم يزل بالشام مجاهداً حتى استشهد يوم اليرموك . وتقدم بعض هذا في الكلام على سهيل بن عمرو . وقال الحارث للنبي ﷺ : أخبرني عن أمر أعتصم به . فقال : «امْلِكْ عَلَيْكَ هٰذَا» . وأشار إلى لسانه . ولم يرجع من الحارث بن هشام إلا ابنه عبد الرحمن . وحسبه مدحاً قول أمنا عائشة ـ وقد ذكر عندها يوم الجمل ـ فقالت : والناس يقولون يوم الجمل ؟ . قالوا : نعم ، قالت : وددت لو أني جلست كما جلس غيري ، فكان أحب إلي من أن أكون ولدت عشرة من رسول الله ﷺ كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث .

وأما أبو سعيد بن عبد الرحمن وأم حكيم فإنهما لم يخرجا مع الحارث فيمن خرج معه من أهل بيته . وكان يقال لعبد الرحمن : راهب قريش . توفي النبي ﷺ وهو ابن عشر سنين ، وتقدم في الكلام على سهيل بن عمرو تسميته الشريد وخبره .

والحظيات : اللواتي قيل فيهن المثل : أنفق من بنات الحارث ؛ وهن بنات عبد الرحمن بن الحارث . والمثل نسبهن إلى جدهن ؛ خمس منهن أمهن الشريدة فاختة بنت عتبة بن سهيل ، وست منهن أمهن أم الحسين بنت الزبير

بن العوام ، وأربع منهن أمهن بنت خارجة بن سنان ، أخي هرم بن سنان ، وثنتان أمهما بنت الحارث بن عبد الله بن ذي القصة ، وواحدة أمها مريم بنت عثمان . زعموا أن عثمان مر بمجلس لبني مخزوم ، فوقف وسلم ثم قال : إنه ليعجبني ما أرى من جمالكم ونعمة الله عليكم . فقال له بعضهم : أفلا تزوج بعضنا ياأمير المؤمنين ؟ . فنظر إلى عبد الرحمن وقال : إن شاءَ ذلك زوجته ، وأشار إليه . فقال له عبد الرحمن : فإني أشاءُ . فزوجه ابنته مريم فولدت له بنتاً ماتت صغيرة ، وهي ثامنة عشر بناته الحظيات .

وأما أولاده فإنهم اثنا عشر : ستة أمهم الشريدة فاختة ؛ منهم أبو بكر الفقيه المحدث ، روى عن أمهات المؤمنين وأبي هريرة ، وروى عنه ابن شهاب ، وكف بصره ، وقدم عليه بعد ماكف بصره رهط من بني أسد بن خزيمة يستعينه في ديات دماءٍ عليهم ، فتحمل عنهم أربع ديات وقال لابنه عبد الله : إلى عمك المغيرة بن عبد الرحمن فأعلمه بما تحملنا من هذه الديات ، واسأله المعونة . فذهب عبد الله بن أبي بكر إلى عمه فذكر له ذلك فقال عمه : أكثر علينا أبوك . فانصرف عنه ، فأقام أياماً لايذكر لأبيه شيئاً ، وكان يقود أباه إلى المسجد ، فقال له يوماً : أذهبت إلى عمك ؟ . قال : نعم . فعرف وسكت ، فعرف أبوه حين سكت أنه لم يجد عنده مايحب ، فقال : يابني ، ألا تخبرني بما قال لك ؟ . فإن أبا هشام إن لم يكن فعل فربما فعل . اغْدُ غداً إلى السوق اشتر واستلف ، ثم ادفع الديات إلى الأسديين .

وكان أبو بكر ذا منزلة عند عبد الملك ، أوصى به حين حضرته الوفاة ابنه الوليد قال له : يابني ، إن لي بالمدينة صديقين فاحفظني ؛ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأبو بكر بن عبد الرحمن .

وكان المغيرة بن عبد الرحمن من الأجواد ـ وهو الأعور ـ وكان يطعم يوماً والناس على طعامه ، وأعرابي حابس نفسه عن الطعام ويديم النظر إلى المغيرة فقال : ألا تأكل يا أعرابي ؟ . مالي أراك تديم النظر إلي ؟ . فقال : إني ليعجبني طعامك وتريبني عينك ، فقال : ومايريبك من عيني ؟ . فقال : أراك أعور وتطعم الطعام ، وهذه صورة الدجال . فقال المغيرة : لكن الدجال لم تصب عينه في سبيل الله . وفي المغيرة يقول الأقيشر الأسدي :

أتاك البحر طم على قريش
وقبلك قد يروع ابن بشر
وراع الجدي جدي التيم كما
رأى المعروف منه غير نزر
ومن أوتار شعبة قد شفاني
ورهط الحاطبي ورهط بشر

فقهاء المدينة السبعة

أَبُو أَبِي بَكْرِ الْفَقيهِ الفُقَهَا
بِطَيْبَةَ اتَّحَدَ وَقْتُ النُّبَهَا
هُوَ وَمَوْلى أُمِّنَا مَيْمُونَةْ
وَهْوَ سُلَيْمَانُ وَذو الحُزونَةْ

ابْنُ المُسَيِّبِ سَعِيدُ الْعَلَمْ
بِالْعِلْمِ والوَرَعِ والزُّهْدِ اتَّسَمْ
وسِبْطُ عُتْبَةَ بْنُ مَسْعُودِ الْعَلِي
أَعْنِى عُبَيْدَ الله وَهْوَ الهُذَلِي
خَارجَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتِ
وَعُرْوَةُ نَجْلُ الزُّبَيْرِ القَانِتِ
وقَاسِمٌ سَابِعُ ذي اللآلي
ابنُ مُحَمَّدِ بْنِ ذي الخِلاَلَ

يعني أن عبد الرحمن الشريد بن الحارث هو أبو أبي بكر بن عبد الرحمن الفقيه ، والفقيه في اللغة العالم بالشيءِ والفطن له ، وفي الاصطلاح : العالم بعلم الدين . وإنما يطلق في هذا الزمان على العالم بالحلال والحرام . ولما ذكر أبا بكر ووصفه بالفقه رأى أن يستطرد ذكر الفقهاءِ السبعة ، لأنه أحدهم على قول ، وقيل : مكانه أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : سالم بن عبد الله بن عمر . قال الزين العراقي :

أما أبو سلمة أو سالم أو فأبو بكر خلاف قائم

الفقها مبتدأُ خبره جملة اتحد بطيبة متعلقه . والنبها قام مقام الضمير أي اتحد وقتهم بطيبة أي المدينة ، ويلزم من قوله بطيبة اتحاد بلدهم أيضاً ، فإن هؤلاءِ السبعة متحدو الوقت والمكان ، فمكانهم المدينة زادها الله شرفاً ،

وزمنهم زمن التابعين وليس منهم إلا من أبوه صحابي مهاجر إلا خارجة ، أما سليمان فهو ابن يسار ؛ وهو صحابي مولى أمنا ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ، ، وأخو سليمان عطاءُ بن يسار عالم أيضاً ، أما إسماعيل بن يسار المغني فهو ليس أخاً لهما لتأخره عنهما .

وقوله ذو الحزونة عطف على الضمير العائد على أبي بكر الذي به شرع في عدّ الفقهاء والحزونة : الغلظ والصلابة ، أي صاحب الحزونة ، وأضافه اليها لقوله : لم تزل فينا تلك الحزونة لإباءِ جده حزن عن السهولة للنبي ﷺ حين قال له النبي ﷺ : «**بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ**» فقال : يارسول الله ، إنما السهولة للحمار .

والعلم : السيد واتسم بالعلم الكثير أي اتصف به وصار له سمة أي علامة ، أما علمه وورعه وزهده فحدث ولاحرج ؛فمن ورعه أنه كان يشكو عينه فقيل له : أزل عن عينك الرمص . فقال : قال لي الطبيب : لاتمسها . فقلت له : أفعل . ومنه أنه لما أخذه مسلم بن عقبة المري ، حين أوقع بأهل الحرة ، وكان من يأخذه من قريش يقول له : بايع أمير المؤمنين ـ يعني يزيد ابن معاوية ـ على أنك عبد قن ، إن شاءَ عتق وإن شاءَ استرق . ومن قال له : أبايع على أني ابن عم . قتله . فلما قال ذلك لسعيد قال : لا أبايع عبداً ولا حراً . فقال له مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان : هذا مجنون . وشهدا له بذلك وحلفا ، فخلى سبيله ثم لحقا سعيداً فقالا له : الحمد لله الذي نجاك يا أبا محمد . فقال : إليكما عني : تشهدان بالزور وتحلفان على الكذب ؟! . والله لاأكلمكما أبداً . وأمه أم سعيد بنت عثمان بن حكيم بن أمية بن حارثة ابن الأوقص بن مرة بن هلال ؛ عماتها عواتك النبي ﷺ من سليم . وتزوج فاطمة بنت أبي هريرة ، وتزوج ابنته زينب شريح بن الحارث القاضي فولد له

منها ، فقالت له أم زوجته : سمّه سعيداً ، فإني مكثت معه أربعين سنة ماعصى الله فيها قط .

والسبط : ولد الولد . وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ؛ أبوه عبد الله صحابي وجده عتبة ، أسلم قديمًا قبل أخيه عبد الله بن مسعود ، وهو أول من سمى المصحف مصحفاً ، وهو الذي قتل اليمان يوم أحد يظنه من المشركين وليس عليه في ذلك ، واستشهد يوم اليمامة ، وكان عبيد الله الفقيه شاعراً جداً ، وكان إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له : مرحباً بالفقيه الشاعر . ومن شعره :

كتمتَ الهوى حتى أضر بك الكتم
ولامك أقوام ولومهم ظلم
تجنبت إتيان الحبيب تأثمًا
ألا إن هجران الحبيب هو الإثم
فأصبحت كالهندي إذ مات حسرة
على إثر هند أو كمن سقي السم
ونمّ عليك الكاشحون وقبلهم
عليك الهوى قد نم لو ينفع النم
فذق هجرها قد كنت تزعم أنه
رشاد ألا ياربما كذب الزعم

ومنه قوله :

غرابٌ وظبيٌ أعضب القرن ناديا
بصرم وصردان العشي تصيح
لعمري لئن شطت بعثمة دارها
لقد كنت من وشك الفراق أليح

وخارجة هو ابن زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي ثم النجاري ، وسيأتي إن شاءَ الله تعالى الكلام على أبيه .

وعروة هو ابن الزبير بن العوام هو ثالث بني أسماءَ بنت أبي بكر ، قيل : إنه ولد يوم مات عمر ، وقيل : بشر به أخوه عبد الله يوم جاءَ بشيراً بفتح أفريقيه هو وخبيب ابنه . والقانت : الخاشع ؛ كان كثير البكاءِ ، وكان إذا استلم الحجر يقول :

لاهُمّ لا إلـه إلا أنـت

وأنـت تحيـي بعـد مأأمـتّـا

ولما دخل معاوية المدينة ببغلاته الشامية ، جعل الناس يتعجبون منها فبادر هو داره وأغلقها عليه ، وقال لأهله : الصلاة الصلاة . امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَلاَتَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَامَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً ﴾[1] . ومن زوجاته أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية . وفد على عبد الملك بن مروان بعد ماقتل أخويه عبد الله ومصعباً يسترد منه سيف الزبير فقال : بماذا تعرف سيف الزبير من بين السيوف ؟ . قال : بمالا تعرف به سيف أبيك ؛ ثلم أصابه يوم بدر .

وقاسم سابع ذي اللآلي أي سابع الفقهاءِ ولم يختلف فيه أنه منهم ، واللآلي جمع لؤلؤة ، شبه الفقهاءَ من بين الناس باللؤلؤ من بين الجواهر . وانقرض ولد محمد بن أبي بكر إلا عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم هو وأبوه أيضاً من العلماءِ ، وابنه القاسم أمه أم فروة ولدت لجعفر الصادق موسى الكاظم .

---

(١) سورة طه : ١٣١

سأل رجل القاسم بن محمد قال : حججت مع زوجتي ، فلما أتممنا حجنا ذهبت بها إلى شعب من شعاب مكة لأقع عليها ، فلما هممت بذلك قالت : إني لم أحلق بعد ، فلم أجد ماأقطع به شيئاً ، فقطعت من شعر رأسها بأسناني فهل علي من ذلك ؟ . فضحك القاسم وقال : لا ، ولكن مرها أن تحلق الآن .

وَأُمُّـهُ وَأُمُّ زَيْـنِ الْعَـابِـدِيـنْ

وسَـالِمٍ سِبْطِ أمـيرِ الْـمُـؤْمِنين

بَنَـاتُ يَزْدَجِـرْدَ آخِـرِ مَلِكْ

مَلَكَ لِلْفُـرْسِ وَأَنْـجَبَ الْمَلِكْ

وَقَـدْ أَبَـىٰ عَلِيٌّ أَن يُبَـعْـنَـا

كَسَـائِـرِ السَّبْـيِ وَيُـمْـتَهَنَّـا

فَقَـوَّمُـوهُـنَّ وجَـادَتْ بِالثَّمَنْ

يَدُ الأُصَيْـلِعِ فَفَـازَ بالـرَّسَنْ

أي وأم القاسم بن محمد وأم علي زين العابدين بن الحسين وأم سالم ابن عبد الله بن عمر ، أمهات أولاد أخوات بنات يزدجرد ، ولم أقف على اسم واحدة منهن إلا أم زين العابدين اسمها سلافة ، وفي كامل المبرد أن فتى من قريش قال : كنت أغدو على سعيد بن المسيب أطلب منه العلم ، فرأيتني أعجبته حتى صار يؤثرني على غيري ، فسألني يوماً عن أمي فقلت

له : فتاة . فرأيتني سقطت من عينيه . ثم دخل عليه القاسم بن محمد بن أبي بكر فسألته عنه فقال : هو القاسم بن محمد بن أبي بكر . فقلت : من أمه ؟ . قال : فتاة . ثم دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فسألته عنه فقال : مثل هذا لايجهل في قريش ، وجهلته كما جهلت الذي قبله .

فقلت : من أمه ؟ . فقال : فتاة . ثم دخل عليه زين العابدين بن الحسين فلما خرج قلت : من هذا ؟ . فغضب وقال : تجهل من لايجهل ؟! . هذا زين العابدين بن الحسين . فقلت : من أمه . قال : فتاة . فقلت : ياأستاذ ، ماجهلت واحداً من القوم ، ولكنني لما أخبرتك أن أمي فتاة رأيتني نزلت عندك من مكان كنت فيه ، فأردتأن أنبهك بهؤلاءِ الأنجاب [إلى أن النجابة] بالآباءِ لا بالأمهات .

ويزدجرد هو آخر ملوك الفرس ؛ وهو ملكهم أيام حرب القادسية ووزيره رستم ، ففتح الله على المسلمين أرض الفرس وتملكوا أرضهم وديارهم ؛ فقد استولى المسلمون على القصر الأبيض ـ دار مملكة الأكاسرة ـ وفر يزدجرد ، ثم وجد في خلافة عثمان رضي الله عنه فقتل . وكان فيمن سبى المسلمون بناته ، فلما قدم السبي إلى المدينة على عمر رضي الله عنه ، فأراد المسلمون بيعهن وامتهانهن بالخدمة وغيرها كغيرهن من نساءِ السبي ، فأبى علي رضي الله عنه ذلك وقال : قوّموهن عليَّ أدفع إليكم أثمانهن تجعلونها في الغنائم . ففعلوا فملكهن علي وأعطاهن لهؤلاءِ فأولدوهن هؤلاءِ ، وذلك إنجاب الملك الذي ذكر ، والأصيلع من أسماءِ علي ؛ سماه به النبي ﷺ وهو تصغير للتعظيم والتودد لأنه كان أصلع . قال عمر حين سألوه أن يوصي بالخلافة : لله دركم إن وليتموها الأصليع ـ أي الخلافة ـ ولكن اجعلوها

شورى بين ستة ؛ علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبي[1] عبيدة ، وليكن معهم عبد الله بن عمر لكنه ليس من أهلها . ثم قال : لله دركم إن وليتموها الأصيلع الأجلح فإنه يسلك الطريق المستقيم .

وقوله : الرسن أي رسن بنات يزدجرد فجعلهن حيث شاءَ ، ولعلها من مكاشفاته .

عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

ولم يذكر الناظم أبا جهل لشهرته باللؤم ، ولا ابنه عكرمة [رضي الله عنه] لشهرته بالكرم ، وأم عكرمة أم مجالد من بني هلال ؛ خرج عكرمة يوم الفتح هارباً واستأمنت له زوجته أم حكيم بنت الحارث بن هشام من رسول

---

(١) قوله رحمه الله : وأبي عبيدة سهو منه عليه رحمة الله لأن الشورى كانت في علي وعثمان والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله ، ولم يكن أبو عبيدة بن الجراح على قيد الحياة يوم قتل عمر ، فقد توفي عليه رحمة الله ورضي الله عنه في طاعون عمواس في خلافة عمر سنة ثمان عشرة ، وفي الإبي على صحيح مسلم أن عمر ـ عندما كانوا يكلمونه في أمر الذي يلي الأمر بعده قال : لو كان أحد هذين الرجلين ؛ سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح ، لو كان أحدهما حياً ماتركت الأمر شورى . حتى أنهم أوردوا على قوله هذا إشكالاً في ذكره سالماً ، وإنه لو كان حياً ما ترك الأمر شورى . وقد ورد عنه ﷺ : «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**» وقوله ﷺ : «**النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هٰذَا الشَّأْنِ**» الحديث ، وأجيب عنه بأنه لو كان حياً لأخذ برأيه فيمن يولي ، فكيف يفوت على الشارح ذلك حتى يعد أبا عبيدة من أصحاب الشورى ؟ . علماً بأنه قدم في ترجمته في محلها أنه مات في طاعون عمواس ، ولعل هذه الغلطة من خطإ النسّاح وذلك ظني . والله أعلم .

الله ﷺ فأدركته باليمن فردته ، فلما رآه النبي ﷺ فرح به وقام إليه حتى اعتنقه وقال : «**مَرْحَباً بِالْمُهَاجِرِ**» وتأول بعض العلماءِ قيام النبي ﷺ له وفرحه به بأن رسـول الله ﷺ رأى في منـامه عذقاً في الجنة فقال «**لِمَنْ هٰذَا**» فقيل : لأبي جهل . فقال النبي ﷺ : «**مَالأَبِي جَهْلٍ وَالْجَنَّة ؟! . والله لاَيَدْخُلُهَا أَبَداً**» ، فلما رآه تأول ذلـك العـذق له . وهـاجر عكرمة إلى المدينة فجعل كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار سب أهله أبا جهل ، فشكى ذلك عكرمة إلى النبي ﷺ فقال : «**لاَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ**» ، ولما ندب أبو بكر الناس لغزو الروم وعسكروا على ميلين من المدينة ، خرج يطوف بعسكره ويقوي الضعيف منهم ، فمـر بخباءٍ عظيم حوله مرابط ثمانية أفراس ورماح وعدة ظاهـرة ، فانتهى إليه فإذا هو خباءُ عكرمة ، فسلم عليه ودعا له بخير ، وعرض عليه المعونة فقال عكرمة : إنا في غنى فاصرفها في غيري . فدعا له أبو بكر بخير . ثم استشهد عكرمة بأجنادين وقيل : يوم اليرموك ، ولم يترك ولداً . ووجد في جسده يوم مات بضع وسبعون جراحة بين طعنة وضربة . ولأبي جهلٍ أربعة أولاد لم يذكر منهم غير عكرمة . وله أربع بنات أسلمن كلهن وسيأتي إن شاء الله ذكرهن في بني أمية .

وابن أخي أبي جهل خالد بن العاص بن هشام قد أسلم واستعمله عمر على مكة ، أما العاص بن هشام فقد مات مشركاً يوم بدر ، قتله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، ومن ولده الحارث بن خالد بن العاص بن هشام الشاعر المشهور الذي كان قومه يضاهون بشعره شعر ابن أبي ربيعة وينكر ذلك عليهم ابن عتيق ، وقال : ماعصي الله بشيءٍ أكثر مما عصي بشعر ابن أبي ربيعة . ومن شعر الحارث بن خالد بن العاص قوله :

من كان يسأل عنا أين منزلنا
فالأقحوانة منا منزل قمن

ومن شعره قوله :

كأني إذا مت لم أضطرب
تزين المخيلة أعطافيهْ
ولم أسلب البيض أبدانها
ولم يكن اللهو من باليهْ

ومنه أيضاً قوله :

إيلُ جودي على المتيم إيلا
لاتزيدي فؤاده إيل خبْلَا
إيلُ إني والراقصات بجمع
يتبارين بالأزمة قبلا
لاأخون الصديق في السر حتى
ينقل البحر في الغرائب نقلا

وقدم الحارث بن خالد الشام فخطب عمرة بنت النعمان بن بشير ، فقالت :

كهول دمشق وشبانها
أحب إلينا من الجاليهْ
لهم نسيم كصنان التيوس
أعيا على المسك والغاليهْ

فأجابها بقوله :

ساكنـات الـعقيق أشهى إلى النفس
من الـسـاكـنـات دور دِمْـشَـق
يتـضـوعـن إن تطيـبـن بالمسـك
نسـمًا كأنـه ريـح محرق

وأم الحارث بن خالد فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، وأمها صخرة بنت أبي جهل ، وكان الحارث استعمله يزيد بن معاوية على مكة قبل أن ينصب الحرب لابن الزبير ، فمنعه ابن الزبير من ذلك ، ولم يزل الحارث بمكة يصلي بأهله ومواليه إلى أن ولي عبد الملك فولاه مكة ثم عزله ، فقدم عليه دمشق ولم يجد عنده مايحب فانصرف عنه يقول :

عطفـت عليـك الـنفس حتى كأنـما
بكـفـيـك بؤسي أو لديـك نعيمهـا
ومـابي إن أقـصـيـتـني من ضراعـة
ولاافتقـرت نفسي إلى من يسـوسهـا

أم ادريس بن عبد الله

ومن ولد الحارث بن خالد عبد الملك بن الحارث ؛ وهو أبو عاتكة بنت عبد الملك التي تزوجها عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن ، فولدت له إدريس الذي سار إلى أرض المغرب وبنى مدينة فاس .

وسكت الناظم أيضاً عن بني الفاكه وأبي حذيفة وأبي أمية وأبي ربيعة ؛ أما الفاكه فلم يترك إلا أبا قيس ، وقد قتل يوم بدر ؛ وهو من القوم الذين توفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم . وأما أبو حذيفة فإن ابنه هشاماً هاجر إلى

الحبشة الهجرة الثانية ، وابنه أبا أمية أسر يوم بدر وقتل يوم أحد كافراً . وأما أبـو أمية فإن من بنيه أمنـا أم سلمة ، ومن ولده زهير الذي قام في نقض الصحيفة ، وعبد الله الذي قال لرسول الله ﷺ : ﴿ **لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً** ﴾[1] . ثم خرج مع أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يريدان النبي ﷺ فلقياه في طريقه إلى الفتح ، فأعرض عنهما فقالت له أم سلمة : لايكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك . وقال لهما علي رضي الله عنه : اذهبا لتقفا أمامه ﷺ ثم قولا له مثل ماقاله إخوة يوسف ليوسف : ﴿ **تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ** ﴾[2] فإنه لايرضى أن يكون أحد أحسن منه رداً ، ففعلا فقال ﷺ : ﴿ **لَاتَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ** ﴾[3] . فقبل منهما وحسن إسلامهما . وكان أبو سفيان قال له : والله لتقبلن مني أولآخذن بيد بني هذا فنذهب في الأرض ولايسمع لنا خبر . يعني ابنه جعفراً وقد كان معه .

وشهد عبد الله بن أبي أمية الفتح وحنيناً والطائف .

[ومن أولاد أبي أمية] المهاجر بن أبي أمية أسلم ، وهو شقيق أمنا أم سلمة ، أمهما عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن جذل الطعان .

ومن أولاده مسعود بن أبي أمية قتل يوم بدر كافراً . ومنهم هشام بن أبي أمية قتل يوم أحد كافراً ، وأمهما من ثقيف . وأما عبد الله وزهير وقُرَيْبَة أم أولاد زمعة بن الأسود فإنهم لعاتكة بنت عبد المطلب .

---

(١) سورة الإسراء: ٩٠

(٢) سورة يوسف : ٩١

(٣) سورة يوسف : ٩٢

وأما أبو ربيعة فإن من أولاده عياش وعبد الله ابنا أبي ربيعة ؛ أما عياش فقد أسلم قديمًا وهاجر مع عمر ، فاتبعه أخواه لأمه أبو جهل والحارث ابنا هشام ؛ أمهم جميعاً أسماءُ بنت مخرمة بنت جندل من بني دارم من تميم ؛ كانت تحت هشام بن المغيرة فطلقها بعد أن ولدت ، فتزوجها أخوه أبو ربيعة فولدت له عياشاً وعبد الله ، فلما قدم أبو جهل والحارث على عياش قالا له : أمك حلفت لاتستظل بظل ولاتذوق طعاماً حتى تراك ، فائتها واعبد ربك حيث شئت لايتعرض لك أحد . فرجع معهما ، وقال له عمر : إن كنت فاعلاً فاركب ناقتي هذه فإنها لاتسبق . فلما دنوا من مكة قالا : يا اهل مكة افعلوا بسفهائكم مافعلنا بسفيهنا . وكان عندهما مربوطاً معذباً هو وأخوهما لأبيهما سلمة بن هشام ، وكان ﷺ يقنت في صلاة الصبح بالدعاءِ لهما وللوليد ابن الوليد ، يقول : «**اللهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَعَيَّاشَ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ**» . وولد عياش عبد الله بن عياش العالم العابد ؛ قيل لنافع مولى ابن عمر : أكان عبد الله بن عمر ينهى عن الصوم في السفر ؟ . فقال : كان يصحبه عبد الله بن عياش وهو يصوم في السفر . وأما عبد الله بن أبي ربيعة فقد كان أيضاً شديد الخلاف على المسلمين مثل عبد الله بن أبي أمية ، وهو أول من استنفر قريشاً لأحد ، فلما أسلم كان من وجوه الصحابة وعمل لعمر وعثمان . وأبوه عبد الرحمن الأحول خلف على أم كلثوم بنت أبي بكر بعد طلحة بن عبيد الله ، والحارث القباع كان صالحاً ، استعمله ابن الزبير على البصرة فمر يوماً بسوقها فرأى مكيالاً فيه فقال : إن مكيالكم لقُبَّاعٌ . فسماه أهل البصرة القباع . وكانت أمه نصرانية ولم يعلم الناس بذلك ، فلما ماتت حضر الناس جنازتها فقال : انصرفوا يرحمكم الله فإن لها أهل دين هم أولى بها منا . فزاده ذلك منزلة . وأخوهما عمر الشاعر ، ولد يوم مات عمر

ابن الخطاب فقيل : أي خير رفع وأي باطلٍ وضع . وليس عمر بذي شر لأنه لم يهجُ مسلمًا قط ولامدح رجلاً قط ، وأمه أم ولد تسمى مجداً ، وكنيته أبو الخطاب ويذكرها في شعره كقوله :

فأنت أبا الخطاب غير منازع

على أمير مامكثت مؤمر

وعَـائِـذُ مِنْـهُ عَتِيقُ السَّـابِقُ

لأُمِّنَـا وَهِنْـدُ بَعْـدُ لاَحِقُ

يقول : وعائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم منه عتيق ؛ هو أول من تزوج أمنا خديجة ، ولحقها بعده أبو هالة واسمه هند ، وعتيق بن عائذ لصلبه ، وقتل عتيق يوم بدر كافراً . وكانت خديجة ولدت له بنتها هند بنت عتيق فتزوجها ابن أخيه صفي بن أمية بن عائذ فولدت له محمداً الذي يقال له : محمد بن الطاهرة ؛ وهو محمد بن صفي بن أمية بن عائذ وتقدم نسب أبي هالة والكلام عليه وعلى بنيه ، وهو حليف بني عبد الدار . قيل : اسمه هند . وقيل : مالك . وقيل : الأعشى وكان شاعراً .

مِنْ أَسَدٍ ذو الـدَّارِ فيهَا خَيَّمُوا

وَأَسْلَمُـوا مِيـمًا وَهُـوَ الأَرْقَـمُ

يقول : ومن أسد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم صاحب الدار التي خيم فيها النبي ﷺ وأصحابه ؛ وخيم بالمكان أقام به . وأعاد الضمير على غير مذكور للعلم به وذلك سائغ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ . وأسلموا فيها حال كونهم ميمًا أي أربعين رجلاً ، آخرهم حمزة بن عبد المطلب وعمر

ابن الخطاب رضي الله عنهما ، وهو ـ أي المُخيَّمُ في داره ـ الأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله ؛ أسلم الأرقم قديمًا وشهد بدراً على رواية . وقيل : أسلم أبوه . وقيل : إن الأرقم توفي يوم توفي أبو بكر . وقيل : إنه عُمر إلى خلافة معاوية . وقيل [في قدم إسلامه] : إنه أسلم بعد سبعة . وقيل : بعد عشرة . وداره التي اختفوا فيها على الصفا ، وليس لأسد غير الأرقم .

وَمِنْ هِلاَلٍ اللَّذَانِ مَاأتَّخَذْ
أَخْذُهُمَا السِّجِلَّ مِنْ عَبْدِ الْأَسَدْ
عَبْدُ الْإِلٰهِ بِالْيَمِينِ قَدْ أَخَذْ
بِالْعَكْسِ الْأَسْوَدُ أَخُوهُ الْمُنْتَبَذْ
حَوْلَ الْقَلِيبِ سَاقُهُ ثُمَّ رَمَىٰ
بِنَفْسِهِ فِيهِ يَبَرُّ قَسَمَا

أي ومن هلال بن عبد الله الأخوان اللذان لم يكن أخذهما يوم القيامة كتابيهما بواحد ، والسجل : الكتاب ، أما عبد الله فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه . وقيل : يأخذه عمر قبله بيمينه ، وأما الأسود فهو أول من يأخذ كتابه بشماله . والمنتبذ : المرمي . والأسود هو الذي رمى بنفسه حول قليب المسلمين يوم بدر . وقوله : يبر قسمًا ؛ يعني أنه أقسم ليشرب من قليب النبي ﷺ فقصد نحوه ، فأدركه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو يكرع في الماءِ فاختلط دمه بالماءِ . وأخوهما سفيان بن عبد الأسد قيل بصحبته ، وأما

بنـوه فهاجر منهم إلى الحبشة عمرو ووهب، وصحب عبد الله والأسود بنو سفيان بن عبد الأسد ، والأسود بن سفيان تزوج أم حبيب بنت العباس التي قال فيها النبي ﷺ : «**لَوْ بَلَغَتْ هٰذِهِ وَأَنَا حَيٌّ تَزَوَّجْتُهَا**» . وأما عبد الله فهو أبو سلمة زوج أمنا هند بنت أبي أمية ، هاجر بها إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة ، وقيل : إنها أول ظعينة دخلت مهاجرة ، والأصح أن ليلى بنت أبي حنتمـة زوج عامـر بن ربيعة العنزي حليف آل الخطاب ، دخلت المدينة قبلها ، وقد هاجرتا مع زوجيهما إلى الحبشة الهجرة الأولى ، وكان أبو سلمة رضي الله عنه جرح ببدر فاندمل جرحه ، ثم مات منه في السنة الثانية عن أم سلمة ، وله منها عمر وسلمة ودرة وزينب ، فخلف عليها رسول الله ﷺ . قالت : أتاني أبو سلمة ليلة فقلت : ماحبسك عنا ؟ . قال : كنت مع رسول الله ﷺ وسمعت منــه حديثاً ماأحب أن لي به شيئاً . قالت : قلت : وماهو ؟ . قال : «**مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ وَقَالَ : إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُ إِلَيْكَ مُصِيبَتِي هٰذِهِ فَاخْلُفْنِي خَيْراً مِنْهَا**» أو كما قال ﷺ ، قالت : فلما أصبت بأبي سلمة تذكرت الحديث وقلت : لاخير من أبي سلمة ، ثم قلت الحديث ، فلما أحللت خطبني رسول الله ﷺ فقلت : يمنعني ثلاث فقال : ماهي ؟ . قلت : إن أوليائي لم يحضروا وأنا غيور وأم عيال . فقال : «**أَمَّا أَوْلِيَاؤُكِ فَأَنَا وَلِيُّكِ دُونَهُمْ وَأَمَّا الْعِيَالُ فَعِيَالُ اللهِ وَأَمَّا الْغِيَرَةُ فَأَدْعُو اللهَ أَنْ يُذْهِبَهَا**» ، فتزوجها ، وكانت زينب لم يتم رضاعها بعد ، وكانت أم سلمة تجلسها في حجرها ، فأتى عمار يوماً مع رسول الله ﷺ فوجدها في حجرها فقال عمار لأم سلمة : هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ﷺ اصرفيها عنه . وكان ﷺ إذا دخل ليلاً يصيحون به : زينب أمامك فقال . لهم : «**أَخِّرُوا عَنِّي زَيَانِبَكُمْ**» . ودخلت عليه يوماً وهو يغتسل ، ورش وجهها

بالماءِ ليصرفها عنه ، فأسنّت وعمرت طويلاً وماءُ الشباب في وجهها لم يتغير . قيل لرسول الله ﷺ : بلغنا أنك تريد تزويج بنت أبي سلمة ، فقال : «**لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَاحَلَّتْ لِي أَرْضَعَتْنِي وَإِيَّاهَا ثُوَيْبَةُ**» . فزوجها رسول الله ﷺ لعبد الله بن زمعة بن الأسود .

هُنَا انْتَهى عَمْرُو بْنُ مَخْزومٍ وَمَا
جَرَّ إِلَيْهِ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَا

أجرى «ما» هنا للعاقل على غير الغالب كقوله تعالى : ﴿ **وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾[1] . وقوله ﷺ : «**سُبْحَانَ مَا سخَّركُنَّ لَنَا**» . ويحتمل أنها موصولة حرفية ؛ أي انتهى وانتهى ماجره إليه كبار العلماءِ ، يعني ذكره الفقهاءَ وبني بنات يزدجرد .

مِنْ عَامِرٍ شَمَّاسُ الْمَلْحُودُ
بِأُحُدٍ عَنْ طَيْبَةٍ مَرْدُودُ

أي من عامر بن مخزوم شماس ، واسمه عثمان بن الشريد بن هرم بن عامر بن مخزوم ، وشماس مبتدأ وخبره المجرور قبله . والملحود : صفة لشماس متعلقة بأحد . ومن طيبة مردود إلى أحد فدفن فيه ؛ وذلك أنه يوم أحد كان يقي النبي ﷺ حتى أثخن بالجراحات ، فحمل إلى المدينة وبه رمق ، فأدخل على عائشة فقالت أم سلمة : ابن عمي ويحمل إلى غيري ؟ . فحمل إليها ومكث يوماً وليلة ولم يأكل ولم يشرب ، فأمر النبي ﷺ من ينادي : «**رُدُّوا**

---

(1) سورة الكافرون : ٣ و ٥

الشُّهَدَاءَ إِلَىٰ مَصَارِعِهِمْ» فلم يدرك من لم يدفن غيره ، فردوه من المدينة إلى أحد فدفنوه من غير غسل ولا صلاة لأنه المغمور ، وهو الذي لم يمت في المعركة ، ولكنه لم يأكل ولم يشرب ولم ينظر النبي ﷺ ذلك اليوم يميناً ولا شمالاً إلا رآه يقيه فقال : «مَا شَبَّهْتُ الْجَنَّةَ إِلَّا بِعُثْمَانَ» ولما قدم المدينة مهاجراً عجب الناس من جماله ، ويوم استشهد وهو ابن أربع وثلاثين سنة رثته زوجته بأبيات .

وأم شماس بنت ربيعة بن عبد شمس .

ومن عامر أيضاً سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر ؛ وهو من مسلمة الفتح ومن الستة المعمرين ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام ، وقال له النبي ﷺ : «أَيُّنَا أَكْبَرُ أَنَا وَأَنْتَ» ؟ فقال : ولدت قبلك وأنت أكبر مني وأخير .

حَزْنــاً أَبـى سُهُــولَــةً خَيْرُ نَبِي

أَتْحَــفَــهُ بِهَا لِعِـمْـرانَ انْـسُــبِ

وَلَمْ تَزَلْ فِي نَسْــلِهِ الْحُــزونَــهْ

وَابْــنُ الْمُـسَـيِّـبِ لِحَزْنٍ زِيـنَــهْ

يقول : انسب لعمران حزناً الذي أبى سهولة ؛ إذ أتحفه أي أكرمه بها النبي ﷺ أن يبدله الحزونة بالسهولة ـ والحزونة هي الصعوبة ـ فقال : يارسول الله ، إنما السهولة للحمار . فترك له اسمه الذي يختار ، وهو حزن ابن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، والمسيب بن حزن

صحابي ، وأبوه سعيد بن المسيب ، وسعيد هو القائل : لم تزل فينا تلك الحزونة . وأخو حزن هبيرة بن أبي وهب ، وكان في الجاهلية من فرسان قريش وشعرائهم ، وهو القائل معتذراً من فراره يوم بدر :

لعمرك ماوليت ظهري محمداً
وأصحابه جبناً ولاخيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد
مساغاً لسيفي إن ضربت ولا نعلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي
رجعت لعودي كالهزبر أبي شبل

ويقال : إن هذا من أحسن ماقيل في الاعتذار . وحزن وهبيرة عمتهما فاطمة بنت عمرو بن عايذ ـ بالياءِ المثناة والذال المعجمة قيده السهيلي ـ وهي أم أكابر بني عبد المطلب وبناته غير صفية ، وتحت هبيرة كانت أم هانىء بنت أبي طالب ، ولما فتحت مكة فر من الإسلام ولحق بنجران ومات على كفره ، وقال حين بلغه إسلام أم هانىءٍ :

أشاقتك هند أم أتاك سائلها
كذاك النوى أسبابها وانتقالها
وقد أرقت في رأس حصن ممنع
بنجران يسري بعد نوم خيالها
فإن كنت قد تابعت دين محمد
وعطفت الأرواح منك حبالها
فكوني على أعلى محوق بهضبة
ممنعة لاتستطاع تلالها

وإن كلام المـرءِ في غير كنهـه

لكـالنبـل تهوي ليس فيهـا نصـالهـا

وولـدت له أُم هانىءٍ عمـراً وهـانئـاً ويوسف وجعـدة ؛ ولاه علي خراسان ، وهو القائل :

أبي من بني مخزوم إن كنـت سائـلاً

ومـن هاشـم أُمـي لخير قبـيـل

فمـن ذا الـذي يبئـا علي بخـالـه

كخـالي عليءِ ذي الـنـدا وعـقـيـل

وقيل أُخواه اثنان يوسف وهانىءٌ .

نسب بني تيم مرة بن كعب

مِنْ تَيْـمٍ الْـعَـتِيقُ ذُو المَسَـاعِي

عَنْ عَدِّهَـا يَضِـيـقُ ذَرْعُ بَاعِـي

العتيق قيل سمي به لقول النبي ﷺ : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ» . أو كما قال ﷺ . وقيل : سمي به لجماله وعتاقة وجهه . وقيل غير ذلك . والمساعي ضد المساويء وعدها أي عد مساعيه ، أي محامده ، واعتذر عن عدها بأنه لو رام عدها بالباع لفتر عنها باعه وضعف ، وأولى لوزامه بالذراع الذي عادة الذرع به ، ومن أسمائه رضي الله عنه : الصديق لمبادرته رضي الله عنه لتصديق رسول الله ﷺ وقيل : لتصديقه خبر الإسراءِ كلما حدث بشيءٍ منه كذبته قريش وصدقه أبو بكر فسمي الصديق ، وهو وزن مبالغة . وقيل : سماه بالصديق جبريل حين نزل للنبي ﷺ بالإذن في الهجرة لقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾[1] . فقال : أبو بكر الصديق . قاله القسطلاني في المواهب . ومن أسمائه رضي الله عنه ، خليفة رسول الله ﷺ .

أَنْـفَـقَ أَرْبَـعِـيـنَ أَلْـفَ دِرْهَـمِ

عَلَىٰ الـنَّـبِـيِّ غَيْرَ ذِي تَلَعْـثُـمِ

---

(١) سورة الاسراء : ٨٠

لَمَّا دَعَـاهُ لِلْهُـدَىٰ خَيْرُ مُضَرْ

وَيَــومَ مَاتَ كَانَ أَثْبَـتَ الْـبَشَرْ

تلعثم عن الشيءِ : تأخر ونكص . أشار إلى الحديث : «**مَادَعَوْتُ أَحَداً لِهٰذَا الْأَمْرِ إِلَّا وَجَدَتُ عِنْدَهُ كَبْوَةً إِلَّا أَبَابَكْرٍ**» أو كما قال ﷺ . لما دعاه متعلق بتلعثم وفي البيتين تضمين .

ويوم مات النبي ﷺ كان أبـو بكـر أثبت النـاس ، بل لم يثبت من الصحابة غيره ، دهشوا كلهم ؛ منهم من مات قيل هو عبد الله بن أنيس والمشهور أنه غيره ، ومنهم من أخبل ، ومنهم من أقعد ، وأما عمر فحلف أنه لم يمت وأنه غاب كما غاب موسى عن قومه ، ثم يرجع كما يرجع موسى . حتى جاءَ أبو بكر ـ وكانت تلك الليلة ليلة بنت خارجة ـ فبات عندها فجاءَ فوجـد النبي ﷺ مسجى بثيابـه قد توفي ، فقبله وبكى وقـال : بأبي أنت وأمي ، طبت حياً وميتاً . ثم خطب الناس بخطبة ردت عليهم عقولهم منها : من كان يعبد الله فإن الله حي لايموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ثم قال لعمـر : أين عنـك قول الله تعـالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ** ﴾[1] قال عمر : والله لكأني ماسمعت بالآية . ثم رجع الناس في سقيفة بني ساعـدة ـ وهي عندهم كدار الندوة لقريش ـ فتهاروا في الخليفة وطمع الأنصار فقالوا ماقالوا ، حتى ذكرهم أبو بكر بقول النبي ﷺ : «**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**» فانقـادوا ورضوا . إلا سعد بن عبادة ، فنظر الصحابة فإذا الدين رأسه الصلاة ، وإذا أبو بكر أفقهم بالصلاة ، فبايعوه بعد أن قدم لها عمر

(١) سورة الزمر : ٣٠

وأبا عبيدة فامتنعا ، وامتنع غيرهما من الصحابة والنبي ﷺ مسجى لم يدفن حتى فرغوا من شأنهم ، لأن الإسراع بالجنازة إنما شرع من خوف التغيير وهو لايتغير ، وكذلك الأنبياءُ كلهم والشهداءُ وخواصّ السعداءِ .

وَأُهْـدِيَـتْ لَهُ وَلابْـنِ كَلَدَهْ
خَزِيـرَةٌ وَسَـمَّهَـا مَنْ رَفَـدَهْ

ابن كلدة اسمه الحارث الثقفي ، اختلف في صحبته ولم يذكر في الإصابة . والخزيرة : طعام يصنع من اللحم ونخالة الشعير فإذا ذر عليه الدقيق فاسمه العصيدة . ورفده : أعطاه أي سم الخزيرة من أعطاها أبا بكر .

وأَخْـبَرَ الْحَـارِثُ ذَا بالْعَـطَبِ
لِسَنَـةٍ وَهْـوَ طَبِيبُ الْعَـربِ

أي فلما أكلا فطن الحارث بأن الخزيرة فيها سم سنة ، جعله فيها من أهداها لهما وقال لأبي بكر : إنا سنموت بعد سنة من هذا اليوم . فكان كما قال ؛ فقد ماتا في يوم واحد بعد سنة ، وبعد أن مكث الصديق في الخلافة سنتين وثلاثة أشهر ؛ بهما أكمل سن رسول الله ﷺ . ولد عام الفيل ؛ بعد يومه بخمسين يوماً ، وولد أبو بكر بعده بسنتين ، وكذلك مات على سن رسول الله ﷺ علي وطلحة والزبير وبلال .

والحارث بن كلدة هو سيد سمية أم أبي بكرة وزياد ونافع بني سمية ، وهو طبيب العرب ، ولما احتضر الحارث قيل له : أوصنا بشيءٍ من الطب . قال : لا أدري ، ولكن من تعشى فليمش ولو أربعين خطوة .

وَبِنْتُ صَخْــرٍ أُمُّــهُ الُمبــايِعَــة

سَلْمَى بِأُمِّ الْخَيْرِ تُكْنَى الـرَّائِعَـة

المبايعة : ممن بايع النبي ﷺ . والرائعة : الجميلة أو التي تروع أي تفزع بجمالها . واسمها سلمى وكنيتها أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم ، وهي بنت عم أبي ابنها أبي بكر بن أبي قحافة ، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ، أسلمت يوم ضرب عتبة بن ربيعة ابنها أبا بكر ، وهو يوم إسلام حمزة وقبل إسلام عمر بيومين ، فلما أسلم عمر انتقم من عتبة لأبي بكر وقد قدمنا ذلك ، وحسن إسلام سلمى ولم تذكر لها هجرة ، ولعلها ماتت بمكة قبل الهجرة ، ولما أسلمت أتى بها أبو بكر إلى النبي ﷺ فبايعته على الإسلام ودعا لها .

مُسَــافِــعُ ابْنُ خَالِــهِ تَهَدَّدَهْ

حَسَّــانُ إِذْ فِهْــرُ سِوَاهُ مَجَّدَهْ

ابن خاله أي خال أبي بكر ؛ وهو مسافع بن صخر ، وتهدده بالهجو حين مجد أي مدح غيره من قريش :

ياآل تيــم ألا تنهــون صاحــبكــم
قبــل القــذاف بصــم كالجــلاميــد

لو كنـت من هاشم أو من بني أســد
أو عبد شمس أو اصحاب اللّوا الصيد

أو من بني نوفــل أو آل مطلب
أو من بني جمح الخضر الجــلاعــيــد

أوفي الـذؤابـة من تيـم إذا انتسبـوا
لله درك لم تهمـم بتـهـديـد
لكـن سأصرفـهـا عنـكم وأعـدلها
لطلحـة بن عبـيـد الله ذي الجـود

طلحه القائل : لو مات رسول الله لتزوجت عائشة

ومن بني مسافع ؛ طلحة بن عبد الله بن مسافع بن عياض بن صخر ، وهو طلحة التيمي الذي يعني طلحة بن عبد الرحمن بن الأسود :

طلحة التيمي والأسود .

وهو القائل : لو قد مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة . فنزلت : ﴿ وَمَـا كَـانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذوا رَسُولَ الله وَلاَ أَنْ تَنْكِحُـوا أَزْوَاجَـهُ مِنْ بَعْـدِهِ أَبَداً ﴾[1] ، ثم تزوج أم كلثوم بنت عبد الرحمن بن بكر .

كِلاَ الْعَتِيق وخَـدِيجَـةَ السَّلاَمْ
يُقْـرِئـهُ جَلَّ جَلاَلـهُ الـسَّـلاَمْ

كلا مبتـدأ والعتيق مضـاف إليه ماقبله ، وخـديجة معطوف عليه ، والسلام الأول مبتدأ خبره جملة يقرئه ، والجملة الاسمية خبر كلا ، والسلام الأخـير مفعول يقرئه ، وجل جلاله مقصود به السلام الأول وهو الله عز

(١) سورة الأحزاب : ٥٣

وجل ، وأما الثاني فهو التحية ؛ ومعنى البيت أن أبا بكر حين أنفق ماله في سبيل الله أربعين ألف درهم على النبي ﷺ ، واشترى سبعة يعذبون في الله فأعتقهم ، منهم بلال وعامر بن فهيرة ، وبقي متخللاً في نصف عباءة ، نزل جبريل على النبي ﷺ وقال له : «**قُلْ لأَبِي بَكْرٍ : الله يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : هَلْ أَنْتَ رَاضٍ عَنِّي فِي فَقْرِكَ هٰذَا**» ؟ . فبلغ النبي ﷺ لأبي بكر فبكى وقال : أعلى ربي أسخط ؟ ! . وبتخلله في العباءة سمي ذا الخلال .

سبب تسمية أبي بكر ذي الخلال

وأما خديجة فإنها لما صدقت النبي ﷺ وحدبت عليه مع عمه أبي طالب ، وأنفقت مالها في نصرته ، أرسل الله إليها مع جبريل إلى النبي ﷺ بالسلام ، واستدل بذلك من يفضلها على عائشة ؛ لأن عائشة أقرأها جبريل السلام من نفسه وخديجة من الله تعالى .

أَوَّلُ فَتْحٍ جَاءَ ذا الْخِلَالِ
إِمَاتَةُ الْعَنْسِيِّ ذي الضَّلَالِ

أول فتح جاءه وهو خليفة ، وتقدم قريباً سبب تسميته بذي الخلال ، والعنسي نسبة إلى عنس ـ قبيلة من مذحج ـ يأتي ذكرها فيهم . واسمه الأسود العنسي أو عبهلة ، وكان له حمار إذا قال له : ابْرك . برك . وإذا قال له : اسجد سجد : فتنبأ بأرض اليمن ، فبعث النبي ﷺ إلى باذان بقتله ، وكانت امرأته مسلمة فدلت الناس على موضعه وهو سكران من شرب الخمر ، فدخل عليه قيس بن مكشوح من غير الباب وفيروز الديلمي فقتلاه ، فجعل يخور

خواراً منكراً فقال أصحابه : ماهذا ؟ . فقالت لهم المرأة : ذلك النبي يوحى إليه . وقتل وهو سكران . قالوا : أضل نبي مات وهو سكران . وكان سمع بمرض النبي ﷺ الذي شفي منه مرجعه من حجة الوداع ، فادعى النبوة ، فرأى النبي ﷺ موته في المنام وقال : «رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي يَدِي سِوَارَانِ فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا» . قيل : وماأولتها يارسول الله ؟ . قال : «هَذَانِ الْكَذَّابَانِ» . وقتل الأسود قبل وفاة النبي ﷺ ولم يأت الخبر بذلك إلا بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه .

وَبَعْـدَهُ قَتْـلُ أُسَـامَـةَ النَّبِيـهْ
حُمَاةَ الْاَصْـفَـر وقَـاتِـلَ أَبِيـهْ
وَالْجَـيْشُ ذَا جَهَّـزَهُ خيرُ نَبِـي
وكَـعَّ عِنْـدَمَـا اشْتكى بِيثْـرِبِ
ثُمَّـتَ أَمْـضَـاهُ الْـعَـتِيقُ وَطَلبْ
رُجُوعَهُ الْأَصْحَابُ خِيفَةَ الْعَطَبْ

وبعـده أي وبعد أول فتح جاءَ أبا بكر ـ وهو قتل العنسي . والنبيه العاقل ويقال : النبيه والنابه . وحماة جمع حام للذي يحمي أهله وذماره . وحماة الأصفر أي حماة الروم ، ويقال لهم : بنو الأصفر بن روم بن عيصو بن اسحاق ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام . وقيل : سموا بذلك لأن جنداً غزاهم فغلب على نسـائهم ، فوطئـوهن فحملن بأولاد صفـر فسمـوا بني الأصفر . وقوله : وقاتل أبيه أي يوم مؤتة ، وهو من الروم أو من العرب

الذين من الروم ؛ وهم غسان ولخم وجذام وعاملة وهم بنو سبإ الذين أشأموا ؛ فمازالوا في حكم قيصر إلى أن جاءَ الإسلام . وقوله : والجيش ذا ، أي وهذا الجيش الذي عليه أسامة حين قتل قاتل أبيه وحماة الروم جهزه النبي ﷺ قبل مرضه ، فلما مرض كعَّ أي نكص وتأخر ، قال الشاعر :

لست ممن يكُعُّ أو يستكنّو ن إذا كافحته خيل الأعادي

فلما توفي النبي ﷺ أمضاه أي سيره أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ وبعد أن تأخر لمرضه ﷺ بالمدينة لم يخرج بعدُ وإنما جهز وتأهب للمسير ، وكانت المدينة تسمى يثرب ، قيل سميت برجل بناها من اليهود أو من العمالقة . وقال بعض العلماءِ : إنه لاينبغي تسميتها بذلك الإسم بعد أن سميت المدينة وسكنها النبي ﷺ ، واحتج على ذلك البعض غيره بقوله تعالى : « **يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ**»[1] . وأجيب عنه بأن ذلك محكي عن المنافقين المذموم قولهم وفعلهم . ومن أسماءِ المدينة طيبة وطابة والقرية والفخر والدرع وآكلة القرى ، وغير ذلك مما لايفي بحصره إلا من أطال ، وفي خلاصة الوفاءِ أن من كتب أسماءَ المدينة وغسلها بماءٍ وشربه شفي من حمى الربع . يعنى أن ثاني فتح جاءَ أبا بكر هو فتح أسامة الذي فتح بجيشه الذي جهزه النبي ﷺ فلما جهزه اشتكى أي مرض مرضه ﷺ فثبط الجيش لذلك ، ثم بعد وفاة رسول الله ﷺ سيره أبو بكر ، وطلب منه الصحابة أن لايفعل خوف أن يغزوهم العرب الذين ارتدوا ، وأسامة هو ابن زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى النبي ﷺ وابن مولاه ، أمه أم أيمن مولاته التي حضنته واسمها بركة ، قال ﷺ : «**أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي**» . ورثها من أبيه وقيل من أمه ، وسمى النبي ﷺ أسامة الحِبَّ بن الحِبِّ . وقال النبي ﷺ : «**أُسَامَةُ أَحَبُّ**

(١) سورة الأحزاب : ١٣

النَّـاسِ إِلَيَّ مَاحَـاشَىٰ فَاطِمَـةَ» ، وقيل : «مَـا حَاشَىٰ فَاطِمَـةَ» مدرج أي ماحاشى فاطمة ولاغيرها . أي ما استثناها ؛ وقد فرض عمر لأسامة خمسة آلاف ولابنـه عبـد الله ألفـين وخمسمائة فقال له : إنك أكثرت عني أسامة وشهدت مالم يشهد . قال : أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، وكان أبوه أحب إليه من أبيك .

ورأى عبد الله بن عمر يعقوب بن محمد بن أسامة يجر ثيابه في مشيته فنهره وقال : من هذا ؟ . فعرف به فطأطأ رأسه وقال : لو رأى رسول الله ﷺ هذا لأحبه .

ولما أمَّر رسول الله ﷺ أسامة على هذا الجيش قال بعض الناس : غلام يؤمر على أجلة الرجال ؟! . فقال ﷺ : «**إِنْ قُلْتُمْ فِيهِ فَقَدْ قُلْتُمْ فِي أَبِيهِ قَبْلَهُ وَاللهِ إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ وَابْنُ خَلِيقٍ بِهَا**» ، وكانت سنه يومئذ تسع عشرة سنة وقيل عشرون ، وهو الذي قتل مرداس بن نهيك الجهني ، قال : طردته أنا ورجل من الأنصار ، فلما لحقناه قال : لا إله إلا الله . فصرف عنه الأنصاري ونظمته بالرمح ، فنزل قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً** ﴾[1] ، فقال ﷺ : «**يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ لَاإِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟**» . فقلت : يارسول الله ، إنما قالها تعوذاً . قال : «**هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ**» ؟ . قال أسامة : فوالله مازال يقولها حتى تمنيت أن أكون لم أسلم قبل ذلك اليوم . فحلف أسامة لايقاتل بعدها من يقول : لاإله إلا الله ، ولذلك اعتزل قتال الصحابة ولم يسلّ فيه سيفاً ولا أعدّ رمحاً ولا نبلاً . وقال رسول الله ﷺ في أسامة : «**أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ صَالِحِيكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْراً**» ، وتوفي في آخر خلافة معاوية وسنه قريب من سن رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة النساء : ٩٤

وَإِذْ أَتَـى أَمَـدَّ خَالِـداً بِهِ
وَأَرْجُـلَ الْـبَرَاءِ سَيْـفُ رَبِّـهِ
وَجَعَـلَ الْحِبَّ عَلَىَ الْخَيْـلِ فَلَمْ
يُغْـنِي غَنَـاءَهُ وَرَاجَـعَ الْحُـطَمْ

قوله : وإذ أتى أي جيش أُسامة هذا الذي جهزه النبي ﷺ ثم أمضاه أبو بكر . وأمد : جعل له مدداً أي زيادة جيوشه . وأرجل أي جعله راجلاً أي أميراً على الرجالة . والغناءُ ـ بالفتح والمد ـ وكان البراءُ على الخيل فلما رأى أسامة لم يغن غناءَه أي لم ينب منابه ولم يجز مجزاه أرجع البراءَ أميراً على الخيل ثم رجع أسامة إلى أبي بكر بالأوصاف الحميدة . والحطمة والحطم : الراعي الهشوم للماشية ؛ يهشم أي يكسر بعضها ببعض ، ومنه الحديث : «شَرُّ الرُّعَاةِ الْحُطَمَةُ» ، والمراد بالحطم البراءُ بن مالك بن النضر النجاري وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في الكلام على بني النجار ، شبه فعله بالعدو بفعل الراعي الحطمة بماشيته .

مِمَّنْ عَلَيْـهِ مَنَّ بالشِّرَاءِ
وَالْـعِـتْقِ فَارْتُـثَّ مِنَ السَّوْءَاءِ
بِلاَلُ الـسَّـابِقُ جِيـلَ الحَبشَـهْ
وَمَنْ لَهُ وسْط الجِنَـانِ خَشْخَشَـهْ

ممن تفضل عليه بالشراءِ ، وارتث : قال في القاموس ارتث على المجهول رفع من المعركة رثيثاً أي جريحاً وبه رمق اهـ . واستعاره هنا لبلال لأنه رفع من معركة الكفر ورق أمية بن خلف وتعذيبه له ، فبرىءَ من السوءاء أي من السوءِ الذي ذكرنا . والجيل ـ بالكسر ـ الصنف من الناس ؛ وهو هنا الحبشة جيل النجاشي وهم[1] بنبارا بالحسَّانية بدليل قول الشاعر :

ولي حبشية سلبت فؤادي
ونفسي لاتتوق إلى سواها
كأن شروطها طرق ثلاث
تسير بها النفوس إلى هواها

ولايعرف من يشترط من الناس إلا بنبارا . والخشخشة صوت في الصدر من النحامة . يقول في مدح أبي بكر : إن ممن منّ عليهم بالشراءِ [من المشركين لتخليصهم من العذاب] ثم من عليهم بالعتق أيضا بلال بن رباح وحمامة أمه ، ويكنى بلال أبا عبد الكريم أو أبا عبد الله ، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي رويحة الخثعمي ، فلما دون عمر الدواوين بعث إلى بلال وهو بالشام يسأله إلى من يجعله ؟ . فبعث إليه يقول : إني لاأرغب عن مكان جعلني فيه النبي ﷺ يعني خثعمًا ، فجعله عمر فيهم وكل الحبشة يجعل في خثعم لذلك .

---

(١) قد تقدم مثل هذا للشارح وتقدم التنبيه على أنه لم يكن فيه محققاً ؛ فإن بنبارا قبيلة زنجية تضع شلوخاً على الخدين ، وربما لاتجتمع هذه القبيلة في النسب مع الحبشة قبل نوح عليه السلام . وأما البيت الذي استدل به فهو لأحد المتأخرين من ناحيته ، وعلى شاكلته في القصور في معرفة الأجناس البشرية . والله الموفق .

خالد بن رباح أخو بلال

ولبلال أخ اسمه خالد بن رباح صحابي وأُخت تسمى عفرة .

وكان بلال قديم الإسلام ، وفي مسلم من حديث إسلام عمرو بن عنبسة أنه قال للنبي ﷺ : من معك على هذا الأمر ؟ . قال : «**حُرَّانِ وَعَبْدٌ**» يعنى أبا بكر وزيد بن حارثة . ويعني بالعبد بلالاً . وقد أسلم وهو في رق أمية بن خلف ، فمازال يعذبه أي عذاب ، ويضجعه في الرمضاءِ على ظهره ، ويلقي عليه صخرة ويقول له : لاتزال كذلك أو تكفر بإله محمد . وبلال يقول : أحد أحد . ويعذبه الصبيان ويقودونه في سكك مكة يعذبونه ، ولايزال يقول أحد أحد . إلى أن اشتراه أبو بكر ؛ قيل : اشتراه بالمال . وقيل : بعبد لأبي بكر كثير الخراج . لكن امتنع لأبي بكر عن الإسلام . ، فقال أمية لأبي بكر ، لما سأله أن يبيعه له : لا أبيعكه إلا بفلان . يعني ذلك العبد ، فقال أبو بكر : هو لك مكانه . فعتقه . وقيل : إن ذلك العبد نسطاس الذي عتق أمية . وأسر نسطاس يوم بدر بعد أن عتقه أمية ثم أسلم بعد ذلك ، وكان يحدث عن هروب رجال من قريش يوم أحد ويضحك الناس منهم .

ولما ارتث أي برىءَ بلال من سوء ملك أمية بن خلف ، تصدر بصحبة النبي ﷺ والتأذين له ، وشهد بدراً وكان هو السبب في قتل أمية بن خلف لما رآه مع عبد الرحمن بن عوف هو وابنه علي ، وكان عبد الرحمن أجارهما ، فقد كان يحمل أدراعاً من أسلاب القتلى فقال له أمية : أنا خير لك من هذه الأدراع فأجرني . قال عبد الرحمن : فجعلته تحت جناحي وجعلت ابنه تحت

الجناح الآخر ، فرآه بلال فصاح وصرخ في الناس يقول : أمية رأس الكفر . لانجوت اليوم إن نجا . فقال عبد الرحمن . ياابن السوداءِ أتخفرني في أسيري ؟ فأجابته الأنصار مصلتي سيوفهم فهبرّ وهما من تحته ، وكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً فجعني بأدراعي وبأسيري . وفي ذلك يقول بلال شعراً ، وقال لهأبو بكر أبياتاً منها :

هنيئاً زادك الرحمن خيراً
لقد أدركت ثأرك يابلالُ

وفي بلال وردت أحاديث منها : «**بلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَة ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسَ وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّوم**» . وقوله ﷺ : «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَةَ بِلَالٍ فَقُلْتُ : بِمَ يَابِلَالُ سَبَقْتَنِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ ؟ . قَالَ : لَاأَدْرِي وَلٰكِنِّي مَاأَحْدَثْتُ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ وَمَا تَوَضَّأْتُ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ**» ، فقال ﷺ : «**بِذٰلِكَ سَبَقْتَنِي**» . ونزل ﷺ في رجوعه من خيبر ومعه بعض أصحابه ، بواد بعدما أدلجوا فناموا ، وكان قال لبلال : «**احْرُسْ لَنَا الْفَجْرَ**» فغلبت بلالاً عينه وما استيقظ حتى علتهم الشمس ، فقال ﷺ : «**مَالَكَ يَابِلَالُ**» ؟ قال : يارسول الله ، أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك . فقال ﷺ : «**إِنَّ هٰذَا الْوَادِي بِهِ شَيْطَانٌ**» فرحلوا رواحلهم وقادوها إلى إن قطعوا الوادي فصلوا ، وفي رواية : فأذنوا وصلوا . وفيه متعلق لمن يرى الأذان للفائتة .

أَذَّنَ لِلنَّبِيِّ والْعَتِيقِ
وَمَرَّةً أَذَّنَ لِلْفَارُوق

فَذَكَّــرَ الــنَّــبِــيَّ فانْهَالَــتْ لَهُ

دُمُــوعُـهُــمْ لِذَاكَ مَا اسْـتَـعْمَلَهُ

يعني أن النبي ﷺ اتخـذ بلالاً مؤذنـاً مدة حياتـه ، واتخذه أبو بكر خازناً ، ولما توفي رسول الله ﷺ استعمله أبو بكر مؤذناً ، فلما جهز الجيوش إلى الشام استأذنه بلال في الخروج معهم ليجاهد في سبيل الله ، فقال له أبو بكـر : أقم معي تؤذن للصـلاة وتفعل كذا وكذا . فقال بلال : إن كنت أعتقتني لله فخــل سبيلي أذهب حيث شئت . فغضب أبـو بكـر وقـال : ماأعتقتك إلا لله ، اذهب حيث شئت . فسار في الجيوش إلى الشام ، فلما قدم عمر الشام لمصالحة إيلياءَ أمره أن يؤذن ففعل ، فذكر عمر النبي ﷺ فبكى وبكى الصحابة لتذكرهم أذان بلال أيام النبي ﷺ ولذلك ما استعمله عمر مؤذناً ، وكانت في لسانه عجمة يبدل الشين سيناً فقال رسول الله ﷺ : «سِينُ بِلَالٍ عِنْدَ الله شِينٌ» وكان عمر لايقسم البلاد التي أُخذت عنوة قال : يقاتل فيها حبل الحبلة . واستشار على ذلك الصحابة فكان ممن وافقه معاذ ابن جبل، وامتنع بلال ومن معه من ذلك ، فقدم المدينة على عمر فألَحَّ عليه بقسمهــا فقــال عمـر : اللهم أرحني من بلال وحـزبـه . فما حال عليه الحول . اهـ . من الروض الأنف . وقيل مات بالشام سنة عشرين رضي الله عنـه ، وقـد أدَّى ذكـر بلال الناظم إلى استطراد اختلاف الأئمة في كيفية الأذان ، فقال رحمه الله :

أَذَانُ مَالِــكٍ أَذَانُ طَيْــبَــتِــهْ

وَالـشَّــافِـعِـيُّ ذُو أَذَانِ مَكَّـتِــهْ

يُرَبِّــعُ الــتَّــكْــبِــيَر أَوَّلاً وَلَمْ

يَخْتَـلِفَــا فِي غَيْرِ تَرْبِيــعِ الْحِكَمْ

وربَّــعَــتْــهُ بَصْرَةٌ وَالْــكُــوفَــةْ

أَيْضــاً وَشَيْخُهَــا أَبــو حَنيفَــةْ

وَثَـنَّـتِ الْـبَــاقِـيَ أَمَّــا الْـبَصْرَةْ

فَثَــلَّثَــتْ وَسَــطَهُ وَالْــمَــرَّةْ

فِي كُلِّ شَوْطٍ لِلْفَــلَاحِ تَنْـتَـهِي

وَالْحَــسَــنُ الْــبَصْرِيُّ آخِــذٌ بِهِ

يقول : أذان مالك هو أذان المدينة ؛ يثني التكبير الأول لاغير ، وهو أذان من على مذهبه اليوم . وأضاف إليه المدينة لأنها داره التي ولد بها وسكنها إلى أن قبر بها رحمه الله . أو لنسبة النبي ﷺ إياه إليها في الحديث : «**يُوشِكُ أَنْ تُضْرَبَ أَكْبَادُ الإِبِلِ شَرْقاً وَغَرْباً وَلاَتَجِدُونَ عَالِماً كَعَالِمِ الْمَدِينَةِ**» على القول الأصح أنه مالك ، وأما الشافعي فهو صاحب أذان مكة ، وأضافها إليه لأنه ولد بها ونشأ بها لكن قبر بمصر ، وسيأتي الكلام إن شاء الله على الإمامين في محل ذكرهما في النظم .

قوله : ولم يختلفا أي مالك والشافعي إلاّ أن الشافعي يربع التكبير الأول ومالك يثنيه كما قلنا . والحكم يعني به الشافعي رحمه الله ، ومعناه ذو القدر والمنزلة .

قوله : وربعته أي التكبير الأول أيضاً البصرة والكوفة ؛ أي أهلها .

ذكر الإمام أبي حنيفة

وشيخ الكوفة الذي تأست به في ذلك التربيع الإمام أبو حنيفة ، وهو تابعي لقي ستة من الصحابة ؛ واسمه النعمان بن ثابت بن زوطا ، مولى بني أسد بن خزيمة قيل بالعتق وقيل بالحلف ، وهو قول اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة فإنه كان يقول : لم يتقدم علينا رق وإنما أسلم جدي على يد رجل من أسد بن خزيمة ، وكان أبو حنيفة بالمقام الأوفى من العلم والصلاح ويقول بالرأي ، وكان جعفر بن محمد ـ وهو جعفر الصادق ـ ينهاه عن ذلك ، وقال له يوماً : أخبرني ماراًيك فيمن كسر رباعية ظبي في الحرم ؟ . فقال لي : هذا من كسر ثنية عليه كذا ، فقال أبو حنيفة : لا أدري . قال جعفر : الظبي لايربع إنما هو ثني أبداً . فقال : أخبرني لم يكفي في شهادة القتل اثنان ولا يكفي في شهادة الزنى إلا الأربعة ،والقتل أشد من الزنا ؟ . قال : لاأدري . قال : ولم كانت الصلاة لا تقضى في الحيض والصوم يقضى فيه ، والصلاة أعظم من الصوم . قال : لاأدري . قال جعفر : فارجع عن الرأي إلى السنة ؛ أما الشهادة في الزنا فغلظها الستر على الأمة ، وأما سقوط الصلاة عن الحائض فلكثرة تكرر الصلاة . ولم يرجع أبو حنيفة عن الرأي ، ورأي الأئمة إنما هو الاستنباط من الأصلين ، لا إنه يقول ماوافق مايرى من نفسه وحاشاهم من ذلك ، وكان ﷺ بين ثلاث : أما خبر السماءِ ، وأما الغيب لايقول فيه إلا بوحي ، وأما الأحكام الشرعية فكان يتلبث فيها الوحي فإذا لم يأته أفتى برأيه الموافق للصواب ، وأما في خبر الدنيا فكان يجتهد ؛ كحديث تأبير النخل ونزوله على ماءِ بدر ، فتحول لرأي الحباب ، وكعطائه لغطفان

ثلث تمر المدينة لينصرفوا ثم رجع لقول السعدين . وقال ﷺ : «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَجْتَهِدُ فَأُصِيبُ وَأُخْطِىءُ**»[1] .

ومن ورع أبي حنيفة أنه كان يوماً بمسجد الكوفة ، وابن أبي ليلى هو القاضي عليها ، فمرت امرأة ، فسمعها ابن أبي ليلى تقول : يا ابن الزانيين . فأمر بها فجلدت في المسجد حدين مجردة ، فقال أبو حنيفة : أخطأ هذا القاضي في حد هذه أربع مرات ؛ في حدها مرتين بكلمة واحدة ، وفي جلدها بالمسجد ، وفي تجريدها ، وفي حدها قبل أن يقوم المقذوف بحقه . فبعث ابن أبي ليلى إلى أمير الكوفة : إما أن تنهى هذا أن يتكلم بفتوى مادمت هنا ، وإما أن تخرجني عنه . فنهى الأمير أبا حنيفة عن الفتوى . فقالت له يوماً بنته : إني خرج من سني دم فتفلته حتى لم يبق منه شيءُ فابتلعت ريقي ؛ أعلي قضاءُ يومي أم لا ؟ . قال : سلي أخاك حماداً ، إني نهاني الأمير عن الفتوى . فقد تحرج من عصيان الأمير في فتوى لابنته في قعر بيته .

وكان لأبي حنيفة جار كل ليلة يسمعه يغني بقول الأعرج :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذه حارس الأمير ، فركب أبو حنيفة إلى الأمير فقال له : ماجاءَ بك ؟ . قال : جار لنا أخذه الحرس البارحة . فأمر الأمير بإطلاق كل من أخذوا البارحة ، فذهب أبو حنيفة بجاره . فلما أتوا قال له : أيها الجار أضعناك بهاذا ؟ . قال : لم ؟ . قال : بغنائك كل ليلة وأنا أسمع :

---

(١) قوله هنا أن في الحديث لفظة «أُصِيبُ وَأُخْطِىءُ» لم أقف عليها لغيره ، والمحفوظ في حديث تأبير النخل : «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ» . أما اجتهاده ﷺ فقد اختلف فيه ؛ فمنعه قوم =

= لقوله تعالى : ﴿ إنْ هُوَإلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ . وأجازه قوم لقوله تعالى : ﴿ مَاكَانَ لِنَبِيّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ سورة الأنفال : ٦٧ . ونحوها . وأجازه قوم في الأمور الدنيوية دون الأمور الدينية .

أما هذه اللفظة التي يدعي الشارح أنها من حديثه ﷺ فإنها تلوح عليها لوائح الوضع ، لمخالفتها لما عليه الأمة من عصمته ﷺ عن الإقرار على الخطإ في السهو والعمد .

والذي وقفت عليه مما ورد في مثل هذا لم ترد فيه لفظة الخطإ ؛ ففي أبي داود عن عبد الله بن رافع قال : سمعت أم سلمة تقول : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ بِرَأْيِي فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيَّ فِيهِ وَحْيٌ» وفي رواية لمسلم عن رافع بن خديج : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ» ؛ وفي رواية لأحمد وابن ماجه عن طلحة : «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّ الظَّنَّ يُخْطِىءُ وَيُصِيبُ وَلٰكِنْ مَاقُلْتُ : قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ» .

وروى مالك وأحمد والستة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مَاأَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذَنَّهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» ا . هـ . من قمع أهل الزيغ والإلحاد ص ١٦ .

والمقصود أن جميع هذه الأحاديث ليس في واحد منها نسبة الخطإ إليه ﷺ ، على أن الخلاف في الموضوع معروف ومطروق ، إلا أن الإجماع على أنه ﷺ لايقر على مايقع منه من ذلك ، سواءٌ أكان في الأمور الدنيوية أو في الدينية ، على فرض جواز وقوعه فيها ، والمسألة مدروسة في محلها ولايتسع هذا التعليق البسيط لها . انظر قمع أهل الزيغ والإلحاد لفضيلة العلامة الشيخ محمد الخضر بن مايابا الجكني ثم اليوسفي .

أضاعوني وأي فتى أضاعوا . . . البيت .

فجعل يعتذر ، فقال أبو حنيفة : إما أن تتحول عن جوارنا وإما أن نتحول عنك . فما زال به حتى تحول عنه .

وكان أُكره على القضاءِ فشكى أمره إلى الله تعالى ، فمنعه الله أن يترافع إليه إلا مرتين إحداهما : أتاه انسانان يدعي أحدهما ثوراً على الآخر ، فقال لصاحب الثور : أيرضيك عن ثورك كذا وكذا من الدراهم ؟ . قال : نعم . فحلها له من كمه . والثانية ، تمارض وأجل أجلاً للخصمين فصرفهما الله عنه . وأعطاه الفضل بن الربيع مالاً فأخذه وجعله في خزانته فلما احتضر قال لبنيه : هذا المال أودعنيه الفضل بن الربيع . فلما توفي رد بنوه المال إلى ورثة الفضل وكان قد مات . ويذكر عن أبي حنيفة أنه يلحن في العربية ، وأنكر بعض الناس ذلك وقال : إن ذلك مبناه على أنه قال يوماً : بعنيه باثنا عشر . وليس ذلك بلحن وإنما ذهب إلى لغة من يلزم المثنى الألف .

ومعنى الأبيات أن المدن الأربعة ؛ مكة والمدينة والعراقين الكوفة والبصرة ، كيفية الأذان فيها أن الشافعي ومن تمذهب بمذهبه كأهل مكة ، وأن أبا حنيفة ومن تمذهب بمذهبه كأهل الكوفة متفقان ؛ يربعان التكبير الأول ويثنيان سائره إلا «لاإلٰهَ إلاَّ الله» الأخيرة يوحدانها ، وأما مالك ومن تمذهب بمذهبه وهم أهل المدينة ، فإنهم يثنونه كله ، وأما الحسن بن أبي الحسن البصري ومن تمذهب بمذهبه وهم أهل البصرة ؛ فإنهم يربعون التكبير الأول كالشافعي وأبي حنيفة ، ويثلث ماقبل التكبير الأخير ، لكنه يوحد كل كلمة إلى أن ينتهى إلى الفلاح ، فيرجع إلى مبدإ الشهادتين . والشوط : السلك ؛ صورته بعد التكبير المربع : **أَشْهَدُ أَنْ لاَإِلٰهِ**

إلَّا الله . أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، حَيَّ عَلَىَ الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَىَ الْفَلَاحِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَاإلٰـهَ إلَّا الله ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، حَيَّ عَلَىَ الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَىَ الْفَلَاحِ . وهكذا إلى ثلاث مرات .
والحسن بن أبي الحسن أبوه سبي من وقعه المذار لخالد بن الوليد في الفرس ، وكان أبوه تزوج أمة لأمنا أم سلمة ، فجاءَت منه بالحسن ، وكانت أم سلمة تبعث أمه في حوائجها فتترك عندها ابنها ، فإذا بكى أسكتته بثديها حتى صار الثدي فيه لبن من مص الصبي له ، فنال الحسن من ذلك اللبن الخير والخيرات وروى العلم عن [1] علي وأخذ عنه علم الحقيقة ، وإليه تنتهي الطريقة الشاذلية وتنتهي القادرية إلى أبي بكر ، وسيأتي الكلام إن شاءَ الله على الحسن في ذكره في نظم الفتوحات .

فِي صَدْرِهِ وُقِرَ مَاكَفَاهُ
عَنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ وَاجْتَبَاهُ

الضمائر الثلاث في البيت تعود إلى أبي بكر ،وإن كان غير الأقرب كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾[2] أعاد تعالى الضمير على ابراهيم ، وهو غير الأقرب لأنه المحدث عنه ، وكذلك هنا هو المحدث عنه وإنما ذكر من بعده على سبيل الاستطراد . يشير في البيت إلى الحديث : «مَافَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ

(١) قلت : قد بينا في التعليق على نسبة السر لعبد الله بن مسعود أن الحسن البصري لم يرو حرفاً واحداً عن بدري كائناً من يكون ، واستجلبنا هناك كلام الحفاظ في الموضوع فليراجع . وأغنى ذلك عن إعادته هنا .

(٢) سورة الأنعام : ٨٤

بِكَثْرةِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلٰكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ» وقال أبو حامد في إحياءِ علوم الدين «بسر»[1] مكان شيءٍ ، ولايقتضي الحديث أنه ليس بأكثرهم عملاً صالحاً لكن إنما فضلهم بالموقر في صدره لابكثرة عمله ، وإن كان أكثرهم عملاً ، وقد سألهم النبي ﷺ : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ .» قال أبو بكر : أنا يارسول الله . قال : «مَنْ صَلَّىٰ مِنْكُمُ الْيَوْمَ كذا ؟ .» قال أبو بكر : أنا . قال : «مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً ؟ .» قال أبو بكر : أنا . قال : «مَنْ شَيَّعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ .» قال أبو بكر أنا . ولعل النبي ﷺ يريد أن يعلم الصحابة أن أبا بكر هو أكثرهم عملاً .

وذكر النبي ﷺ يوماً باب الري ، فقالوا : وماهو يارسول الله ؟ . فقال : «بَابٌ فِي الْجَنَّةِ لاَيَدْخُلُهُ إلَّا الصَّائِمون» . قال أبو بكر : وماذا على أحدنا أن يدعى من تلك الأبواب كلها ؟ . يعني باب الصائمين وباب المصلين وغيرهما من أبواب الأعمال الصالحة ، فقال ﷺ : «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تُدْعَىٰ أَنْتَ مِنْ كُلِّهَا» أو كما قال ﷺ . وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في اتفاقهم على أن أبا بكر أفضل الناس بعد الأنبياء .

---

(١) قلت : يريبني نسبة هذه الكلمة في هذا الحديث إلى الغزالي دون غيره من أئمة الحديث ، والمعروف أن الرواية الشائعة هي قوله ﷺ : «وَلٰكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ» . فمن أين للغزالي وحده الإتيان بلفظة «سر» ؟ على أني ألفت النظر إلى أن الغزالي من أهل هذا الفن ، الذي يستفيد أهله من هذه الرواية ، وأنه داعية إلى ترويجه ، ومعلوم ماعند أهل المصطلح في رواية المبتدع الداعية إلى ترويج بدعته ؛ وأهل الفقه أيضاً معلوم عندهم مافي قبول الشهادة على التأسي . قال خليل عاطفاً على ماترد به الشهادة : «وعلى التأسي» . والعلم عند الله تعالى .

بِكَثْرةِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلٰكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ» وقال أبو حامد في إحياءِ علوم الدين «بسر»[1] مكان شيءٍ ، ولايقتضي الحديث أنه ليس بأكثرهم عملاً صالحاً لكن إنما فضلهم بالموقر في صدره لابكثرة عمله ، وإن كان أكثرهم عملاً ، وقد سألهم النبي ﷺ : «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ .» قال أبو بكر : أنا يارسول الله . قال : «مَنْ صَلَّىٰ مِنْكُمُ الْيَوْمَ كذا ؟ .» قال أبو بكر : أنا . قال : «مَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضاً ؟ .» قال أبو بكر : أنا . قال : «مَنْ شَيَّعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازةً ؟ .» قال أبو بكر أنا . ولعل النبي ﷺ يريد أن يعلم الصحابة أن أبا بكر هو أكثرهم عملاً .

وذكر النبي ﷺ يوماً باب الري ، فقالوا : وماهو يارسول الله ؟ . فقال : «بَابٌ فِي الْجَنَّةِ لاَيَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمون» . قال أبو بكر : وماذا على أحدنا أن يدعى من تلك الأبواب كلها ؟ . يعني باب الصائمين وباب المصلين وغيرهما من أبواب الأعمال الصالحة ، فقال ﷺ : «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تُدْعَىٰ أَنْتَ مِنْ كُلِّهَا» أو كما قال ﷺ . وفي هذا الحديث دليل لأهل السنة في اتفاقهم على أن أبا بكر أفضل الناس بعد الأنبياءِ .

---

(١) قلت : يريبني نسبة هذه الكلمة في هذا الحديث إلى الغزالي دون غيره من أئمة الحديث ، والمعروف أن الرواية الشائعة هي قوله ﷺ : «وَلٰكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ» . فمن أين للغزالي وحده الإتيان بلفظة «سر» ؟ على أني ألفت النظر إلى أن الغزالي من أهل هذا الفن ، الذي يستفيد أهله من هذه الرواية ، وأنه داعية إلى ترويجه ، ومعلوم ماعند أهل المصطلح في رواية المبتدع الداعية إلى ترويج بدعته ؛ وأهل الفقه أيضاً معلوم عندهم مافي قبول الشهادة على التأسي . قال خليل عاطفاً على ماترد به الشهادة : «وعلى التأسي» . والعلم عند الله تعالى .

ومعنى البيت.. أن أبا بكر وقر في صدره ماكفاه عن كثرة العمل لو لم يكثره . واجتباه معناه اختاره ومنه المجتبى من أسمائه عليه الصلاة والسلام ؛ جعله مختاراً .

فِي سِلْكِ الإِسْلَامِ مَنِ ارْتَدَّ نَظَمْ

ثُمَّ انْتَحَى وَمَا وَنَى إِلَى الْعَجَمْ

انتحى معناه مال عن قصده إلى قصد آخر . وونى : فتر ؛ يعني إن أبا بكر نظم في سلك الإسلام كل من ارتد من العرب ، أي رده إلى طريق الإسلام المستقيم ، ثم انتحى أي مال عن العرب وما به فتور إلى العجم ، وهم هنا الروم وفارس وذلك قوله :

وَنَطْحَةٌ وَنَطْحَتَانِ فَارِسُ

وَلَيْسَ فِيهِمْ بَعْدَهَا مُدَاعِسُ

وَالرُّومُ كُلَّمَا وَهَىٰ قَرْنٌ لَهَا

خَلَفَهُ قَرْنٌ يَرُمُّ مَا وَهَىٰ

فارس : يقال لهم الفرس ؛ وهم الجيل المعروف بنو فارس بن كيومرت ابن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ؛ وهم مجوس لاكتاب لهم ، ومن ملك منهم يقال له كسرى ـ بكسر الكاف وفتحها والكسر أشهر ـ والمداعس : المدافع . والروم : هم الجيل المعروف أيضاً وهم بنو روم بن عيصو بن اسحاق عليه السلام . ويرم : يصلح . ووهى : تخرق وانشق ؛ أي أصلح مافسد من قوتهم وضعف . قال ﷺ : «**فَارِسُ نَطْحَةٌ وَنَطْحَتَانِ ثُمَّ**

لَافَارِسُ وَلَا كِسْرَىٰ وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الرُّومَ ذَاتَ الْقُرُونِ ؛ كُلَّمَا مَضَىٰ قَرْنٌ يَخْلُفُهُ قَرْنٌ» ، فكان ماقال ﷺ إلى اليوم . وأما فارس فلم تبق منهم بقية بعد أيام القادسية ، على يد سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر . وأما الروم فكانت فيهم الوقائع العظام الآتية قريباً ، ولم يزدهم ذلك إلا استمرار القوة . واسم ملك منهم قيصر ، وأصله قيشر من القشر لأنه قشر عنه أي بقر عنه بطن أمه ، أي عن أول من ملك منهم فسمي قيشر ، وكان يفتخر على الرجال بأنه لم تلده النساءُ .

لِشَـوْكَـةِ الـرُّومِ بِسَـوْرَةِ الْعَرَبْ

سَاوَرَهُــمْ إِذْ هُمْ بَنُـو أُمٍّ وَأَبْ

الشوكة : الحدة وشدة البأس . والسورة : أول ماتحلب به الناقة إذا أنتجت ، وأراد به الحدة . وساورهم : فاعلمهم بالسورة أي خاطرهم بسورة أي شدة حدة العرب حين تخاووا بالدخول في الإسلام طائعين أو مكرهين ، فطاعوا بعد الإكراه إلى أن صاروا إخوة أشقاءَ ؛ أبوهم توحيد[1] الله وتصديق رسوله ، وأمهم أداءُ الفرائض ؛ فالأب هو الأصل والأم هي الفرع ، لأنه ﷺ مكث عشر سنين بمكة يدعو إلى مجرد التوحيد ثم فرضت الشرائع ، فبذلك كان التوحيد هو الإيمان ، والفرائض الإسلام كما قال ﷺ لجبريل : **«أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ»** قال : **«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً»** ثم قال : **«أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ »** فقال : **«أَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ»**إلى آخر

---

(١) كأنه رحمه الله ليس الذي كتب على معنى هذا البيت لتعقيد هذا الكلام وركاكته وقلة تمكن صاحبه من ملكة التعبير عما يريده ، أسبغ الله علينا وعليه شآبيب رحمته .

الحديث . وقال ﷺ «بُنَيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ» الحديث . فكان الإيمان هو أبو العرب ، والتوحيد والاسلام ـ وهو أداءُ الفرائض ـ أُمهم . وأعرضنا عن التوافق والتداخل والترادف بين الإسلام والإيمان إذ ليس هذا محله . ومعنى البيت أنـه لأجل كثرة الروم وقوتهم وشدة بأسهم خاطرهم أبو بكر بنجدة العرب حين تخاووا ؛ فاجتمعت كلمتهم على إعلاءِ كلمة الله ، والروم إذ ذاك أقـوى أجيال النـاس ، ولايستـطيع مقاومتهم إلا الفرس ، وذلك بعد أن غلبوهـم الغلب الذي ذكره الله تعالى .

وَاسْتَنْفَـرَ النَّـاسَ لَهُمْ مِنْ يَثْرِبِ

وَعَسْكَـرَتْ جُيُـوشُـهُ عَنْ كَثَبِ

ثُمَّ اسْـتَـقَـلَّهُـمْ وَأَرْسَـلَ أَنَسْ

لِعَـرَبِ الْـيَـمَنِ وَالجَيْشَ حَبَسْ

حَتَّىٰ أَتَى بذي الْكَلاَعِ الحِمْيَري

ثُمَّ بِقَـيْسِ بْنِ هُبَـيَرَةَ السَّري

كِلاَهُمَـا فِي عَسْكَـرٍ وَقَـدِمتْ

قَيْسٌ وَطَـيِّـىءٌ وَأَزْدٌ وَحَمَـتْ

وَغَـيْرُهُـمْ وَعَـارَقَـتْ تَمِيـمُ

وَأَسَـدٌ رَبِـيـعَـةُ الْـقُـرومُ

يعني أن أبا بكر استنفر الناس للروم من يثرب ـ وهي المدينة ـ ومن مكة ومن حولها من الأعراب ممن بالحجاز ، فلما استنفرهم عسكروا عن كثب أي عن قرب من المدينة ، فاستقلهم لمناطحة الروم فحبسهم ، وجعل كل يوم يطوف بالعساكر يتفقد أحوالهم ويعين من يحتاج منهم للمعونة بالسلاح والزاد ونحوهما ، وأرسل أنس بن مالك لعرب اليمن من قبائل سبإ وكهلان ، فأتى بذي الكلاع رويفع بن ناكور وقيس بن مكشوح المرادي بالحلف البجلي ثم الاحْمسي نسباً ـ وسيأتي الكلام عليهما إن شاءَ الله في ذكرهما في نسبهما ـ وكلاهما قدم في جيش ؛ أما ذو الكلاع فقد قدم في عسكر من مواليه وعبيده ومن تبعه من حمير ، وقــدم قيس بن مكشوح فيمن تبعه من مراد ومذحج ، وقدمت أيضاً على أبي بكر لجهاد الروم قبائل قيس عيلان من العدنانية ، وطيىء والأزد وغيرهم من القحطانية ، وحمت : أي منعت هذه القبائل وغيرها من العرب الدين بقتال الروم والكفار ، فلما قدمت قبائل العرب كلها جعلت كل قبيلة تعـين الجهة التي تقصدها ، فاختارت تميم وأسد بن خزيمة وربيعة كلهم العراق . والقروم : جمع قرم للسيد ، وقيد به ربيعة لأن منهم المشهورين ، وقصد غير هؤلاءِ الشام بأمر أبي بكر الصديق ، فكأن العدنانيين اختاروا العراق واليمنيين اختاروا الشام .

وَبِــأَبِي عُبَــيْــدَةَ اسْــتَـعَــانَــا

وَبِــيَــزِيــدَ بْنِ أَبِي سُفْيَــانَــا

وابْنِ سَعِيــدٍ خَالِــدٍ وَشُرْحَبِيــلْ

ثُمَّ بِعَمْــرٍو بَعْــدَ لأْيٍ النَّبِيــلْ

استعان بهم أي بتوليتهم ؛ كل يوليه على جيش ويبعثه إلى الشام ؛ أما أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ـ وهو الموصوف بالنبل وهو العقل ؛ لأنه يضرب به المثل فيه ـ فقد تقدم الكلام عليهم ، وأما يزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص فسيأتي الكلام عليهما .

وَمــا كَفَــوْا فَســلَّ سَيْــفَ الله

فَأَصْبَــحَ الــدِّيـنُ بِهِ يُبَــاهِـي

قوله : وما كفوا أي ماكفوْا أبا بكر قتال الروم لكثرة استمدادهم إياه ، وطلب المعونة والمشورة فيما يفعلونه ، فلما أكثروا عليه قال : لأزيلَنَّ عن الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه وهو عامل جيش العراق ؛ أن استخلف على الجيش مكانك المثنى بن حارثة ، وسر على بركة الله إلى الشام وأنت أمير على من ثم من الأمراء . فقال : أما إذ كان ذلك فنعم . فتجهز للمسير وقال : من لنا بدليل على أسفل الشام حتى نبغتهم ونفتح قبل قدومنا على الجيش ؟ . فقام إليه رافع بن عميرة الطائي وقال : خذ عشرين شارفاً وعطّشها جداً ، ثم جوِّد شربها واقطع مشافرها . فساروا فلما في سقاؤهم جعلوا ينحرون كل يوم خمساً من الشوارف ، يشربون فرثها ويسقون خيلهم ، إلى أن نحروا آخرها فقال لهم بعدما ساروا ساعة : انظروا ، هل تجدون شجرة عوسج ؟ قالوا : لا . ثم قال بعد ساعة . انظروا هل ترونها ؟ قالوا : لم نر شيئاً ، قال : خبت إذاً وخسرت وهلكتم . ثم قال بعد ساعة : انظروا هل ترون شجرة عوسج ؟ فنظروا فرأوها فقال : احفروا تحتها . فحفروا عن صخرة مغطى بها الماءُ فقال : وردت أنا وأبي هذا الماءَ وعليّ

نؤابتي ، ومارأيته قبل ذلك ولابعده . فدخل خالد الشام من أسفله ولم يزل يفتح فيها إلى أن وصل جيوش المسلمين فتأمر عليهم ، وجعل يفتح فتحاً بعد فتح وأرضاً بعد أرض .

وقوله : فأصبح الدين به يباهي : أي يفاخر غيره من الأديان . والضمير في به يحتمل أن يعود إلى فعل أبي بكر ؛ أي فأصبح الدين يباهي الأديان بسل أبي بكر سيف الله ، ويحتمل أن يعود على خالد بن الوليد ؛ أي كأن دين الاسلام يقول لغيره من الأديان : هل فيك من رجل مثل خالد بن الوليد الذي أدخل جميع من ارتد من العرب في الإسلام بالغلبة والقهر ؟ ولم يزل يدخل في الإسلام غلب العجم من المجوس وأهل الكتاب ؟ . وكذلك مبتدأ أمره ؛ منذ أسلم في العام السابع[1] ولاه النبي أعنة الخيل ، ولم يزل عليها مؤمراً من قبل النبي ﷺ او من خليفته أو من نجدته إلى أن توفي رضي الله عنه في خلافة عمر ، وله أربعة بنين ذكوراً فجاءَ لكل واحد منهم شرف وشأن وذكر وهم : سليمان وعبد الرحمن والمهاجر وعبد الله ، ثم بعد ذلك انقرض عقب خالد كله وورثهم أيوب بن مسلمة بن عبد الله بن الوليد ، عم أم سلمة بنت يعقوب زوج أبي العباس السفاح . وعبد الله بن الوليد سماه أهله الوليد لأنه ولد بعد موت أبيه ، فسمع النبي ﷺ أم سلمة تبكي الوليد ابن الوليد وتقول :

ياعين بكي الوليد بن الوليد بن المغيرة
مثل الوليد بن الوليد أبي الوليد كفى العشيرة
قد كان غيثاً في السنين وجعفراً خضلاً وميرة

---

(١) الذي عليه أكثر أهل العلم بالسيرة أن خالداً ورفقاءه وصلوا المدينة في أوائل السنة الثامنة . قال الواقدي في مغازيه : وصلوها في صفر عام ثمان . والله تعالى أعلم .

فقال ﷺ : «مَااتَّخَذْتُمُ الْوَلِيدَ إلاَّ حَاناً . سَمُّوهُ عَبْدَ الله» . فكان ذلك اسمه . والخانُ : الحانوت ؛ لأن حانوت التاجر لايزال ينزل به كلما قدم .

وَإذْ أَتَىٰ وَاسْتَنْصَرَتْ بِهِ الْعَـرَبْ
أَلْقَىٰ لَهَا الله عَلَىٰ الـرُّومِ الرَّهَبْ

يعني أن خالـداً لما أتى جيوش المسلمين المحاصرة من قبل الروم ، وطلبت منـه هذه الجيوش النجدة ، نصر الله تعالى هذه الجيوش بأن ألقى الرعب في قلوب الروم ، أي ألقى في قلوبهم الرهب والخوف والفزع ، حتى صاروا كلما رأوهم ألقوا إليهم السلم وطلبوا منهم الصلح بلا قتال ، أو قاتلوا معتقدين أنهم مهزومون واثقين بذلك ، فيؤدي رعبهم إلى الفشل فتفتح بلدتهم .

فَفَـلَّ أَجْنَـادِين رُكْنَ الأَصْفَـر
وَمَـرْجَ رَاهِطَ ومَـرْجَ الـصُّـفَّـرِ

فل : هدم . وأجنادين بلدة بالشام بها هذه الوقعة ، واستشهد بها كثير من قريش منهم عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وأبان وخالد ابنا سعيد بن العاص ، وقيل قتلا يوم مرج الصفر بعد أجنادين بعام أو قريب منه ، وركن الأصفر ؛ منعته . والأصفر يعني بني الأصفر أي الروم وتقدم ذلك ، مرج راهط ومرج الصفر موضعان أيضاً بكل واحد منهما وقعة كانت السبب في فتحه ، ولقد كانت وقعة أخرى بمرج راهط بين مروان ابن الحكم الباغية ، وبين الضحاك بن قيس وزفر بن الحارث الكلابي ، وهما

على جيش أمير المؤمنين عبد الله الزبير ، فقتل الضحاك بن قيس وفر زفر بن الحارث وفي ذلك يقول :

ولمـا قرعنـا النبـع بالنبـع بعضـه
ببـعض أبـت عيـدانـه أن تكسرا

الأبيات المتقدمة .

وَبَـعْـدَهَـا تُوفي الْـعَـتِـيقُ
وَمَـا ائتـلى في عَزْلِـهِ الْفَـاروقُ
فَأَمَّـر الـنَّـدْبَ أَبـا عُبَيْـدَةْ
وَأَمَّـرَتْ سَيْفَ الإلٰـهِ النَّجْـدَهْ

أي وبعد هذه الوقائع توفي العتيق أبو بكر رضي الله عنه ، ولما توفي واستخلف عمر ماائتلى أي ماأبطأ في عزل خالد . والفاروق هو عمر سمي به لأنه فرق بين الحق والباطل ، في خلافته وفي حياة النبي ﷺ الذي سماه بهذا الاسم لأنه فرق بين الكفر والإيمان ؛ لإظهاره الاسلام بمكة ، فلما عزل خالداً وقدم أبا عبيدة بن الجراح على الجيوش ، أتى كتابه أبا عبيدة بذلك ولم يخبر خالداً حتى علم به من غير أبي عبيدة ، فعاتبه وقال : تدعني أصلي أمامك وأنت أميري ؟! . وصار أبو عبيدة أمير الجيوش ، ولكن بقيت لخالد النجدة أي الشجاعة والعلم بالحروب ، وقال عمر : ماعزلت خالداً لشيء أنقمه عليه ، ولكن لتقدمه وماكان يفعل بالمال ؛ وكان إذا أصاب قسمة في أهل قتال لم يدفع إلى أبي بكر حساباً . وفيه تقدم رأي على أبي بكر لما قتل مالك بن نويرة ونكح امرأته ، وصالح أهل اليمامة ونكح بنت مجاعة بن مرارة ،

وكره ذلك أبو بكر وعرض الدية على متمم ، وأمره بطلاق امرأة مالك ، ولكنه لم ير أن يعزله ، وكان عمر يكره هذا وشبهه من خالد .

وكَـانَ مِنْ فُتُـوحِـهِ الْعِـظَامِ

مَجْلٌ وَحِمْصُ وَدِمَشْقُ الشَّامِ

يقول : كان مجل وحمص ودمشق الشام من فتوح خالد العظام ؛ فمجل ومعطوفاته إسم كان وخبرها من فتوحه . ومجل : أرض بالشام من أراضيها المنيعة [أي من حصونها المنيعة] ومافتحت حتى وقعت بها وقائع . وحمص : كورة أيضاً بالشام سكنها في الإسلام أهل اليمن ، وكان عليها النعمان بن بشير ، فأتاه أعشى بني همدان يسأله ، فجمع أهل حمص وقال : إن شئتم أن تواسوا أخاكم . ثم قال لهم : أسلفوني عطاءكم في القابل أعطه إياه . فقالوا : رضينا . فأعطاه وخرج عنه يقول :

ولم ار للحاجات عند التماسها
كنعمان نعمان الندى بن بشير
إذا أنا لم أشكره يوماً كفرته
ولاخير فيمن لم يكن بشكور

نوادر حمق أهل حمص

وأهل حمص بآخرة الذين يضرب بهم المثل في الحمق ؛ من ذلك ماروي أن أحدهم اشترى شاة ، فأخذها يوماً ليحلبها فبعرت على عينه ففقأها البعر ، فترافع مع المشتراة منه ، فألزمه القاضي القود فقيل له : ولِمَ ؟ . قال : لم يخبره أن بأست شاته منجنيقاً . ومنه أن اثنين تبايعا في

علية ، واشترط المشتري على البائع أنها بكر ، فواضعها عند رجل من أهل حمص ، يزعمان أمانته كما يفعل بأمثالها ، فباتت عنده ، فأتى المسجد سحراً ، فلما اجتمع الناس للصلاة قال : ياأهل حمص ، ألا تنهون عن الغش في البيع ؟ . فإن الغش في البيع حرام ويؤدي إلى الحراب . فقالوا : وماذاك ؟ . قال : جارية فلان التي اشتراها فلان على شرط البكارة ثيب . قالوا : وما يدريك ؟! . قال : واضعها عندي فوطئتها فوجدتها ثيباً .

ودمشق الشام التي هي أم مدنه وقراه ، سميت ببانيها دِمْشَق أو دمشاق ابن النمرود بناها لابراهيم ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ حين نجا من نار رماه فيها النمرود ، وفر بدينه من العراق إلى الشام وخرج دمشق معه مؤمناً به . ويقال لها : جلق ـ بكسر الجيم واللام مع شد اللام ـ قال حسان بن ثابت .

لله در عصابة نادمتهم
يوماً بجلق في الزمان الأول

يعني ملوك غسان بني شمر ، وكان لهم ملكها من قيصر ، ثم كانت في الإسلام دار مملكة بني أمية من معاوية الذي هو الأول منهم إلى مروان الحمار الذي هو آخرهم ، وإضافتها إلى الشام علم لها ، كما أن بغداد مملكة بني العباس ويقال لها : بغداد العراق . وكما يقال : صنعاءُ اليمن . قال الشاعر :

أقام ببغداد العراق وشوقه
لأهل دمشق الشام شوق مبرح

وبغداد بناها أبو جعفر المنصور .

وَثَــلَّ بِالْـيَرْمُـوكِ عَرْشَ مُلْكِهِمْ

فَارْفَضَّ في الآفَـاقِ نَظْمُ سِلْكِهِمْ

ثلَّ : أهلك وأمات . والعرش : الملك والعز . يعني أن أبا عبيدة أو خالداً ـ على حسب ماتقدم ـ أذهب ملك الروم وعزهم باليرموك ؛ وهو واد بناحية الشام به الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم ، حتى ارفض في الآفاق ، أي الجهات والنواحي . نظم سلكهم : أي جمعهم ؛ شبه الجموع بالخرز المنظوم في السلك ، فكما أن السلك يحوي الخرز المنظوم فيه ، فكذلك جموع الجند يجمعها الملك . والشبه لأنه يجمع القبائل من الجند بتدبير أمورهم وإصلاحها ، وهذا التشبيه سائغ في كلام العرب . يعني أن المسلمين باليرموك أذهبوا عز الروم ؛ لكثرة من أهلكوا منهم إلا الشارد القليل ، وكانوا أربعمائة ألف ، وقتلوا أمير جيوشهم وكل رئيس وبطل منهم ، وبقي قيصر ملكهم في أقل الفريقين ، وقدم عليه فارس فقال له : ما وراءَك ؟ . قال : الظفر أيها الملك . قال والله إنه لكاذب ، ولو كان كذلك لقدمت البشائر ، ولكنه رجل أذهب عقله الفزع . ثم قدم رجل من العرب المتنصرة فقال : هذا رجل مشئوم من قوم أهل شؤم . فسأله فلم يذكر له شيئاً حتى قدم أحد البطارقة فصدقه الخبر فقال له : قد منعتني من اتباع نبيهم يوم جاءَني كتابه وقلت : كيت وكيت . فأمر بضرب عنقه فضربت عنقه .

فَعَـاذَ فَلُّهُـمْ بِكُـلِّ مُرْهَـقِ

مُصَـالَـحٍ قَبْـلُ وَلَمْ يُمَـزَّقِ

فلُهم يعني منهزمهم . والمرهق : المحمل مالا يطيق . وقبل أي قبل زحفهم إلى اليرموك . ولم يمزقهم المسلمون لأنهم رضوا وأقروا لهم بالجزية ، فتركوهم ولم يمزقوهم لأنهم يدعون أولا إلى الإسلام ، ثم إلى إعطاءِ الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإن أبوا هذين فالمنابذة والمناجزة حتى يحكم الله بينهما ، فلاذ هؤلاءِ المنهزمون بمن صالح على أنه يؤدي الجزية كدمشق والأنبار وغيرهما من مدن الشام وقراها .

وكَـفَّ عَنْـهُ خَالِـدٌ وَقَـتَـلاَ

مِنْهُـمْ عَرَمْـرَمـاً لَهُ تَسَـلْسَـلاَ

أي فكف خالد بن الوليد عن هؤلاءِ المنهزمين لما وجدهم التجؤوا إلى من صولح من قبلُ ، فتشفعوا إليه فيهم وقالوا : إن هؤلاءِ دخلوا إلينا ؛ فكان لهم مالنا وعليهم ماعلينا ، فهم داخلون في صلحنا معكم . وذكر خالداً لأنه تبعهم وقتل منهم عرمرماً أي جيشاً من روم اليرموك . تسلسلوا : أي طرحوا أنفسهم في السلاسل لئلا يفروا ، ثقة منهم بهزيمة المسلمين لكثرتهم ؛ لأنهم ينيفون على أربعمائة ألف ، فسلسل منهم ثلاثون ألفاً كل عشرة في سلسلة ، فقتل خالد جميع أولئك حتى لم يبق منهم واحد .

وَهَـلَكَـتْ مِائَـةُ أَلْفٍ سَقَـطَتْ

فِي هُوَّةٍ وَمَـا دَرى أَنْ هَبَـطَت

آخِـرُهُمْ حَتَّىَ انْجَـلَىَ الضَّبَـابُ

فَعَـدَلُـوا عَنْ صَوْبِهِمْ وَانْسَـابُـوا

الهوة : الوهدة من الأرض الغامضة . يعنى أن المائة ألف سقطت في هوة من جبل ، لأن ذلك اليوم فيه ضباب كثيف ، واختلط به غبار القتال حتى عم الظلام ، فكان الهارب لايبصر أمامه ، فوقع المنهزمون في هذه الهوة ، وكل من وقع يموت ولايشعر تابعه بما وقع به فيموت بموته ، حتى وقعت مائة ألف في تلك الهوة ، حتى ضحا النهار وبان الضوءُ لآخرهم ، فعدلوا أي حادوا عن صوبهم أي جهتهم التي كان أولهم يقصدها ، فتسبب عن ذلك سقوطه في الهوة ، فأرسل إليهم أبو عبيدة أوس بن ثابت يعدهم ، فما عدهم إلا بالنصب فوجدهم مائة ألف ، فللمسلمين الأجر في موتهم ولهم الراحة في موتهم بغير مباشرة القتل .

وَبَعْـدَهَـا أُمِـدَّ مَنْ بِفَـارِسِ

يَكَـادُ يَحْطَمُ لَدَىٰ الْـقَـوادِسِ

بِجُـنْـدِ خَالِـدٍ وَخَـالَـدٌ بِهِ

ضَنَّ وَأَمَّـرَ مَكَـانَ الـنَّـبِـهِ

عَلَيْـهِ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَـةَ السَّرِي

وَفِيهِمُ القَعْقَـاعُ أَيْضـاً الجـري

عَزَّ بِهِ الـدِّيـنُ وَعَـزَّ أَهْـلُهُ

لايُهْـزَمُ الجَـيْشُ وَفـيـهِ مِثْلُهُ

يعني أنه بعد غزوة اليرموك بعث عمر إلى خالد أن يمد سعد بن أبي وقاص بنفسه وبجنده الذي قدم به على الشام ، وسعد يحاصر الفرس بالقادسية . وجمعها على القوادس وهي مفردة وذلك قول رؤبة . ببطن المكتين على رجاءٍ . يريد مكة .

و«من» نائب أُمد ، وبفارس متعلق بيحطم . ولدى بمعنى عند القادسية ؛ وهو موضع بالعراق به الوقعة المشهورة التي مات فيها رستم واستؤصلت الفرس . وبجند خالد متعلق بأُمد . وخالد مبتدأ ، وخبره ضن ، ونائبه الجار والمجرور المحذوف الدال عليه به قبله ؛ أي ضن بخالد عن المسير إلى العراق المسلمون المجاهدون أهل الشام ؛ لكثرة غنائه وشجاعته وإصابة رأيه ونقيبته ، ولأن الروم عنده كالكلاب لايبالي بكثرتهم ، لقد سمع يوماً رجلاً يقول : ماأكثر جيش العدو وأقل جيش المسلمين . فقال خالد : لاتقل ذلك ، بل ماأكثر جيش المسلمين وأقل جيش العدو الكافرين ، وددت والله لو أن الأشقر يرثى من الحفا وكانوا أضعافهم . يعنى فرسه . وقوله : وأمر مكان النبه أي العاقل ؛ يعني خالداً . عليه أي على جيشه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى في محله ، والسري : السيد . وفيهم أي في جند خالد القعقاع بن معبد بن زرارة التميمي أو هو ابن عمرو التميمي وعلى كل قال : شهدت وفاة النبي ﷺ . ولم يذكر له من الصحبة غير ذلك ، وأما أخوه عاصم فقد ذكره صاحب الإصابة في الصحابة جزماً . والجريءُ أي على الأعداءِ . وقوله : عزّ به الدين أي بالقعقاع . وعز أهله أي أهل الدين . وقوله : لايهزم الجيش وفيه مثله ؛ من كلام عمر بن الخطاب قال : لايهزم جيش فيهم مثل القعقاع .

وكَــمْ لَهُ مِنْ حَمْلَةٍ مِنْهَــا الَّــتِي

أَغْــرَتْ حُمَاةَ الْحَــقِّ بِالْــفِــيَلَةِ

إذ اشْتَكَىٰ سَعْــدٌ إلَىٰ الْأَبْـطَالِ

مَالَـقِـيَ الجَيْشُ مِنَ الْأَفْـيَــالِ

كم للتكثير أو للتعجب ، والحملة : الكرة في الحرب . والحق : الاسلام . وحماته : مانعوه . يعني الصحابة وتابعيهم بإحسان ، أي جيوش المسلمين . يقول : وكم للقعقاع من كرة في الحرب يتعجب منها ؛ ومن كراته كرته التي أغرت المسلمين بفيلة الفرس بالقادسية ، حين قدم في جيش خالد الـذي عليه هاشم بن عتبـة ، وكـان المسلمـون لايكادون يقربون جيوش فارس ، لأنهم يقـدمـون إليهم الفيلة ، فتنفر منها الخيل وتعلو ركابها على الراجل ولايصل إليها ، فهال المسلمين وسعداً أمر الفيلة ، فجمع إليه ليلة الشجعـان والأبـطال فقـال : من يكفينـا هذه الفيلة ؟ . فقـد لقينـا منها ماترون . فقام إليه القعقاع وقال : أصلح الله الأمير ، إنا لاخبرة لنا بالفيلة إذ ليست بأرضنا ، فاسأل أهل الخبرة بها ، إن كان لها مقتل فقد كفيتها ، وإلا فأشر إلينا بما نفعل من أمرها . فسأل سعد عنها : هل لها مقتل ؟ . فقيل : عين الفيل مقتـل له ، وكـذلك مشفره ويده التي يتناول بها . فلما أصبحوا غدوا على قتال فارس .

فَقَــامَ هُوَ وَأَخُــوهُ عَاصِــمُ

وكَـاسْمِـهِ كَانَ شُجَـاعـاً عَاصِمُ

لِلْفيـلِ الابْيَضِ فَجَـزًّا مِشْفَـرهَ

وَفَـقَـآ مُقْـلَتَـهُ فَنَـفَّـرَهْ

وكُـلَّ الافْيَـالِ الَّـذِي دَهَـاهُ

فَانْهَزَمَ الجَيْشُ لَمَّا رَآهُ

كاسمه خبر كان متقدم . وشجاع يقال لشديد القلب عند البأس ، وفيه سبع لغات ؛ كغُراب وكسحاب ، وشجيع كأمير ، وكتف وكتاب وعِنَبَهْ وأحْمَدٍ . وعاصم : مانع . وشجاع عاصم : يحتمل أن يكونا بدلاً من كاسمه ، مراعاة للمحل الأول ، أو يكونا خبراً لمبتدإٍ محذوف ، أي هو شجاع عاصم أي شديد القلب عاصم لما حمى ، والفيل الأبيض هو عظيم الفيلة وقائدها ومقدمها ، وجزًّا أي قطعا شاربه ؛ ذلك أنهما اختبآ له في طريقه حتى مر بهما ، فقاما إليه فضربه القعقاع فقطع شاربه ، وطعنه عاصم في عينه فأدبر يهرول والقعقاع يقول :

ياأيها الخلق الكبير نفَّرَك

مهلاً فإني قد قطعت مشفرك

فهرول غير بعيد ثم سقط ميتاً ، وبنفوره نفر جميع الفيلة وهي سبعة . ودهاه : معناه أصابه بداهية ؛ وهي هنا القتل للفيل ، وأي داهية أدهى من القتل ؟! . ولما قتل الفيل الأبيض نفرت الأفيال من قتله ، وانهزم جيش الفرس للذي رآه من الداهية أي الأمر العظيم من قتل الفيل الأبيض ونفور سائر الأفيال .

وَالْحَـمْـلَةُ الَّـتِي بِهَا عَنْ خَالِـدِ
فَرَّقَ كُلَّ مَارِدٍ مُجَالِـدِ

يعني أنـه من كرات القعقـاع المحمودة أنه رأى يوماً خالد بن الوليد اخـرنجمتْ عليه مقـانب العجم حتى كادت تدهشـه ـ لو كان يدهش ـ وضيقت عليه ، فحمل عليهم القعقاع حتى فرقهم عنه وأزالهم ، وفي ذلك يقول ـ بعد ذلك ـ وقد وقع بينه وبين خالد :

منـعـتُـك من بني قبـاذ ولـيـتـني
تركتـك فاستـولت عليـك المقـانب

وَصَـالَـحَ الْـفَـاروقُ إِيـلْيَـاءَا
بِنَـفْـسِـهِ وَإِذْ لَهُمْ تَرَاءَى
عَلى بَعِـيرٍ رَوَّعَـتْـهُـمْ رُؤيَـتُـهْ
إِذْ عِنْـدَهُـمْ كَمَا رَأَوْهُ صِفَـتُـهْ
وَأَنَّــه يَفْـتَـحُـهُـمْ وَجَـاءَهُ
مُؤَمَّـنٌ في الجَـاهِـلِيَّـة له

إيلياءُ مدينة الشام التي بها بيت المقدس ؛ وأول من بنى بيت المقدس داود عليه السلام ورفعه قامة رجل ، فكمله سليمان فبناه بناءً لم ير مثله قط ، وكان يضيءُ في الظلمة كالقمر ليلة البدر ، واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه فيه عيداً ، ولم يزل على مابناه سليمان حتى غزاه بختنصر فخربه ، وأخذ ما كان

في سقفه وجدرانه إلى دار مملكته ، ولم يزل خراباً إلى أن بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقيل : أول من بناه آدم ، وبين بنائه وبناءِ المسجد الحرام أربعون سنة ، وإنما كان داود وسليمان مجددين له . اهـ . من القسطلاني .

وتراءى لهم : معناه ظهر لهم حتى رأوه . وصفته مبتدأُ خبره عنده . وأنه يفتحهم عطف على صفته ، يعني أن المسلمين لما فرغوا من اليرموك دلفوا إلى إيلياء ، فتحصن أهلها منهم بالحصون وامتنعوا من مصالحتهم ومناجزتهم حتى يصالحوا الإمام الأعظم ـ يعنون عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وذلك منهم مكيدة يريدون بها رؤ ية عمر ، إذ كانت عندهم صفة من يفتحهم ، فإذا رأوه ووجدوه كمن هو عندهم صفته صالحوه بما يريد منهم ، وإن لم يكن كذلك امتنعوا من صلحه . فبعث أبو عبيدة بذلك إلى عمر ، فاستشار عثمان فأشار عليه بأن لايقدم عليهم ، واستشار علياً فأشار عليه بأن يقدم عليهم ـ وكان إذا اختلفا عليه قدم رأي علي ـ فسار إليهم في جيش ، فلما قرب منهم قال له المسلمون : ياأمير المؤمنين ، هؤلاءِ الذين أنت قادم عليهم العجم ، ويعرفون ملوكهم بلبس التيجان ومفاخر اللباس وركوب البراذين ، فالبس لهم لباساً حسناً وعمامة واركب برذوناً . ففعل ، فلما هرول به البرذون ونظر إلى اللباس عليه قال : هذا شيطان . فنزل عنه وركب ناقته مخطومة بحبل من ليف ، ولبس مسوحه ، وتلك صفته التى عند أهل إيلياءَ ، فلما رأوه عليها صالحوه بما أراد .

خبر الذي كتب له عمر الأمان في الجاهلية

وجاءه الرجل الذي كتب له الأمان في الجاهلية ؛ ذلك أنه سافر في الجاهلية في تجارة قريش إلى الشام فأتاه علج من أهل مدينة من مدن الشام ـ وكان يبيع فيها ـ فوضع ثوباً في عنقه واستقاده به فجاذبه عمر ، فقال له من معه : لابد لك من ذلك . فطاوعه فأدخله في خربة فيها كثيب من تراب وقال له : احفر لي بئراً تحت هذا الكثيب . فخرج عنه ولم يزل عمر جالساً ، ولم يصنع شيئاً إلى أن أتاه العلج بعد وقت طويل ، فلم يجده صنع شيئاً فقال له : إلى كم لاتفعل ماأمرتك به ؟ ولكمه لكمة شديدة فقال عمر في نفسه : واذلاه لأمك ياعمر ، مابلغ بك حب الحياة ؟ . فعقد أصابعه وضربه بها على اليافوخ حتى تناثر دماغه ، وخرج عمر خائفاً مختفياً حتى أجهده العطش ، فرفع له دير فدخله وآوى إلى ظل جدار ، وهو مجهود بالعطش والإعياء ، فأتاه صاحب الدير فسأله عن خبره فقال : رجل من العرب خرجت في تجارة وفارقت صحبي فأضللت الطريق فأجهدني العطش ، فأتاه الرجل بالشراب فلما شرب قال له الرجل ـ بعد ماصعد فيه النظر وصوبه ؛ إنك االذي تفتح أرضنا هذه ، فإن كان معك غيرك فأنت طليعة ، فعسى أن يكون ذلك حضر ، وإن كنت وحدك كما زعمت فلعل ذلك إلى أجل متأخر ، فسل حاجتك واكتب لي الأمان منك إذ ذاك . فأتاه بالطعام والشراب الجيد ، فامتنع عمر أولاً عن الكتب فقال الرجل : اكتب لي ، إنه لايضرك أن تكتب حروفاً في رق ، يكون هذا أولا يكون . فكتب له عمر وكساه الرجل ، وعرض عليه المال فلم يقبل عمر إلا الكسوة والشراب والطعام ، فوكف له

أتاناً وقال له : اركب عليها فإنها تقدم بك على قومك ، فإذا قدمت عليهم فالطم وجهها فإنها تأتيني . فلما قدم عمر إيلياءَ [بعد ذلك فاتحاً] أتاه الرجل بكتابه ، فاستشار الصحابة فقبلوا له ذلك .

أصل عطلة الأسبوع للدارسين

ولما رجع عمر إلى المدينة تلقته الصبيان من أهلها ، فخيرهم بين أن يكسوهم كلهم أو يسرحهم يومين بليلتيهما لاخطاب للمعلم عليهم فيهما . فاختاروا التسريح فكان ذلك أبداً ، ودعا عمر بالبركة لمن لايخاطبهم في ذينك اليومين وهما : يوم الخميس والجمعة ، والليلتان ليلة الجمعة قطعاً وهل الثانية ليلة الخميس أو ليلة السبت ؟.

كِلَا الْعَتِيق وَخَـــدِيجَـــةَ السَّـلَامْ
يُقْـــرِئُــهُ جَلَّ جَلَالُــهُ الـــسَّـــلَامْ

هذا البيت تقدم نصاً في أول ذكر أبي بكر ، وإنما أعاده هنا لطول العهد بالكلام على أبي بكر ، حتى لايدري القارئُ فيمن كان الكلام ، فأعاد البيت ليرتب عليه ذكر أولاد أبي بكر ومابقي مما يذكر من خبره . وقد يقال : إنه قصد به أيضاً التلذذ بذكر أبي بكر ، ولاسيما بهذه الخصلة وأبو بكر أهل لذلك ، وكفاه مدحاً قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾[1] . وكذلك نسبته لصحبته ﷺ بقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَاتَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾[1] . ووصفه تبارك وتعالى له بالفضل في قوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ

(١) سورة التوبة :٤٠ .

أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾[1] ، ووعده تعالى له بقوله : ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى** ﴾[2] إلى آخر السورة ؛ وجاءَ علي يوماً إلى رسول الله ﷺ فتنحى أبو بكر عن علي حتى جلس بينه وبين رسول الله ﷺ فسر النبي بذلك وقال : «**إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، إِنَّمَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ أَهْلُ الْفَضْلِ** » . ولما نزل جبريل على النبي ﷺ بالإذن في الهجرة بقوله تعالى : ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ** ﴾[3] . قال النبي ﷺ : «**مَنْ يَخْرُجُ مَعِي**» ؟ فقال جبريل : «**أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ** » . ومن أسمائه أيضاً : ذو الخلال ؛ لأنه أنفق ماله على النبي ﷺ حتى لم يبق معه إلا عباءَة تخلل بها فسمي ذا الخلال ، فنزل جبريل فقال للنبي ﷺ : «**قُلْ لأَبِي بَكْرٍ رَبُّكَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : أَرَاضٍ عَلَيَّ أَنْتَ فِي فَقْرِكَ أَمْ سَاخِطٌ**» ؟ فبكى أبو بكر وقال : أعلى ربي أسخط .

ومن أسمائه : أمير الشاكرين لقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[4] . وهم مقاتلو أهل الردة حتى ردوهم إلى الإسلام وأميرهم أبو بكر .

[ومن الكلام المأثور] الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق في قتال أهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رد مظالم بني أمية ، والمتوكل في حسم البدعة بالقول بخلق القرآن ، ويكفي أبا بكر شرفاً وفضلاً تسميته بخليفة رسول الله . ولنثن العنان عن مناقب أبي بكر وفضائله إلى ماكنا فيه ، قال الناظم :

---

(١) سورة النور : ٢٢

(٢) سورة الليل : ١٧ ، ١٨

(٣) سورة الاسراء : ٨٠

(٤) سورة آل عمران : ١٤٤

مِنْ نَسْلِ ثَانِي اثْنَيْنِ جَاحَ اثْنَانِ

مُحَمَّدٌ وَمُشْبِهُ الْجُمَانِ

جَرِيحُ وَجٍّ وَتَوَى بَعْدَ النَّبي

وجٌّ : واد بالطائف به وقعة الشدخة بالطائف بين النبي ﷺ وثقيف ، استشهد فيه رجال من أجلّاءِ قريش . وتوى معناه مات . ويعني بمشبه الجمان عبد الله بن أبي بكر الصديق لما يقال عنه : إنه من أجمل قريش ، يقول : جاح من نسل أبي بكر عبد الله ومحمد . وجاح معناه انقطع ؛ أما عبد الله فإنه لم يترك ولداً على الرغم من أنه قيل أنه ترك أولاداً ولم يبق منهم أحد ، وكان رضي الله عنه قديم الإسلام ؛ فقد كان يأتي النبي ﷺ بأخبار قريش ، ثم يصبح بمكة حتى لاتظن قريش أنه خرج عنهم . ثم هاجر . وقيل : إنه لم يشهد إلا الفتح وحنيناً والطائف ـ ويبعد عندي هذا القول ـ وجرح بالطائف فاندمل جرحه ، ثم إنه انتقض بعد ذلك فمات بعد وفاة النبي ﷺ في السنة الأولى من خلافة أبيه ، وكان عنده عاتكة[1] بنت زيد بن عمرو بن نفيل ؛ وهي عاتكة الشهداءِ وكان بها معجباً حتى شغلته عن أبيه ، فأمره بطلاقها ، فطلقها وتبعتها نفسه وفيها يقول :

يقولون طلِّقها وأصبح مكانها

مقيمًا تمني النفس أحلام نائم

---

(١) زواجه بعاتكة الشهداءِ وطلاقه لها وشعره فيها ومداعبة علي لعمر كل ذلك تقدم عند ذكر عاتكة في بني عدي بن كعب .

وإن فراقي أهل بيت جمعتهم

على كبر مني لإحدى العظائم

وإني وأهلي كالعجول تروحت

إلى بوّها قبل العشار الروائم

وفيها يقول أيضاً :

أعاتك لاأنساك ماذر شارق

ومناح قمري الحمام المطوق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها

ولا مثلها في غير جرم تطلق

فأمره أبوه رضي الله عنهم بارتجاعها ، ومات عنها ورثته بقولها :

فآليت لاتنفك عيني حزينة

عليك ولاينفك جلدي أغبرا

وتزوجها عمر بعد ذلك فتضمخت بالعنبر وتطيبت ، فقال علي لعمر : إن لي إلى عاتكة حاجة ، إيذن لي أن أكلمها فيها . قال : نعم . فدخل عليها وكلمها من وراءِ الستر فقال : أين قولك : ولاينفك جلدي أغبرا ؟! . فدفعه عمر بمنكبه وقال : أفسدت علي عرسي . وضحكوا جميعاً .

وعبد الله شقيق أسماءَ ؛ أمها قُتَيْلَة[1] بنت الحارث بن مورك من بني عامر بن لؤي ؛ وفدت على بنتها أسماءَ بالمدينة فقالت أسماءُ للنبي ﷺ : إن أمي وفدت علي وهي مشركة أفأصلها ؟ . قال : نَعَمْ .

وأما محمد فهو لأسماءَ بنت عميس ؛ ولدته بذي الحليفة حين أحرم النبي ﷺ في حجة الوداع ، فمنعها النفاس[2] من الحج كما منع الحيض عائشة ، وكانت مضطجعة مع النبي ﷺ فأحست بالحيض ، فجعلت تضم عليها ثيابها فقال : أنفست ؟ . قالت : نعم . فقال : «حَلْقَى عَقْرَى» وهي كلمة تقولها العرب لفاعل الشر ومعناها الدعاءُ بالذبح والعقر ؛ لأن الحلق موضع الذبح ، ولايريد به النبي ﷺ الدعاءَ عليها ، ولكن كإيراد المثل كقوله : «تَربَتْ يَدَاكَ» ونحوها ، ولو أراد الدعاءَ عليها لكان دعاءً لها لقوله ﷺ : «اللَّهُمَّ اجْعَلْ دُعَائِي عَلَيْهِمْ دَعَاءً لَهُمْ» فلما أتم النبي ﷺ حجه ، وطهرت عائشة من الحيض ، أمر أخاها عبد الرحمن أن يردفها على جمل إلى التنعيم ـ وهو أقرب مواضع الحل ـ فتحرم عنده بعمرة ، لما فاتها الحج بحج الناس واعتمرت هي .

---

(١) قلت : ذكر القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ لَايَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ الآية . سورة الممتحنة : ٨ أنها قتيلة بنت عبد العزى ، وذكر في أسد الغابة أن أم أسماءَ هي قتيلة ـ بالتصغير ـ بنت عبد العزى بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي . والله الموفق .

(٢) قد تقدم أن الذي منعت منه أسماءُ لما ولدت ، ومنعت منه عائشة لما حاضت ، هو الطواف ولم تمنعا من الحج ، بل كل منهما أمرت أن تفعل مايفعله الحاج غير ألَّا تطوف بالبيت حتى تغتسل ، والمسألة معروفة في محلها ، فمن أين له أنهما منعتا من الحج حتى يتكرر منه ذكر ذلك ؟! .

ولقد تزوجت أسماءُ بنت عميس بعد أبي بكر بعلي رضي الله عنهم ، فولـدت له يحيى ويزيد فكان محمد في حجره وشهد معه الجمل وصفين ، واستعمله على مصر ، وقتله بها معـاوية بن حديج ـ بالمهملة ـ الكنـدي السكوني بأمر عمرو بن العاص . وإخوة محمد لأمه غير ابني علي بنو جعفر ابن أبي طالب : محمد وعبد الله وعون ولدوا بالحبشة .

وابنا محمد القاسم الفقيه وعبد الرحمن أمهما بنت يزدجرد ، أعطاها علي لمحمـد بن أبي بكـر ، وولـد القـاسم عبـد الـرحمن بن القـاسم وأم فروة بنت القاسم ؛ وهي أم موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ولعبد الرحمن بن القاسم عبـد الله بن عبـد الـرحمن بن القـاسم ولعبـد الله محمـد بن عبـد الله بن عبد الـرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وهؤلاءِ علماءُ كلهم ، ثم انقـرضـوا في خلافـة بني العبـاس ، زمن المـأمـون بن هارون الـرشيد .

= والذي كان معي أن رسول الله ﷺ قال : «عَقْرَىٰ حَلْقَىٰ» لما دعا بصفية بنت حيي رضي الله عنهـا ، فقيل له إنها حائض . فقال : «عَقْرَىٰ حلْقَىٰ أَحَابِسَتُنَا هِي ؟» قالت عائشة : يارسول الله ، إنها أفاضت مع الناس يوم الحج . فقال : «لَا إِذاً» وهذا الحديث من الأدلة على أن الحائض والنفساءَ لاوداع عليهما .

والذي يظهر للعقول أن رسول الله ﷺ لم يكن ليتأسف على حيضها وهو محرم ، بأبي هو وأمي ، وماكانت لتضطجع معه على فراش وهما محرمان كما ذكره الشارح هنا ، فالظاهر والله تعالى أعلم أن الكلام فيه تخليط وعدم ضبط وربما يكون من غلط النساخ لأن الشيخ حماد له القدم الراسخة في السيرة وذو إلمام جيد بالفقه . فالحاصل أن أسماء وعائشة حجتا حجة الوداع ، وإنما منعت عائشة من أن تتحلل بعمرة كما فعل الناس وعوضت عمرتها بعد أن تم الحج ، كما ذكره الشارح . والله الموفق .

وَعَـــابِــدُ الــرحْمَنِ سِلْكُ النَّسبِ

أَعْقَبَ نَسْــلاً رائقــاً وكَمْ كَمِي

عَفَّــرَهُ كَابْــن الــطفيـــل مُحْكِم

يعني أن عبد الرحمن بن أبي بكر سلك عمود نسب آل أبي بكر . أعقب : أي خلف نسلاً رائقاً معجباً لكرمه وكثرة العلماءِ فيه . وكم كمي ، كم هنا خبرية كقولهم : كم رجل كريم جاءني وكم شجاع ، وهو مرفوع لأن كم للخبر ، وهو مبتدأ خبره كم . وعفره : ضربه للعفراءِ أي الأرض أي قتله ، وممن قتله من الكماة محكم بن الطفيل اليماني سيد بني حنيفة ؛ قتله عبد الرحمن بن أبي بكر يوم اليمامة على الأصح .

وعبد الرحمن شقيق أمنا عائشة ؛ أمهما أم رومان ؛ واسمها زينب بنت عامر بن عويمر من بنى الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة ، إخوة بني فراس ابن مالك ، ولذلك قال لها : ماهذا الطعام ياأخت بني فراس ؟ : أسلمت قديمًا وهاجرت ، وتوفيت سنة ثمان بالمدينة ، ونزل النبي ﷺ في قبرها ، وصلى عليها وأثنى عليها كثيراً . شهد عبد الرحمن بدراً مع المشركين ثم أسلم ، وكان في الجاهلية يختلف إلى الشام في تجارات قريش ، فرأى امرأة من غسان يقال لها ليلى بنت الجودي فهويها ، وكان يذكرها في شعره وفيها يقول :

تذكــرت ليــلى والســماوة دونها

فما لابنــة الجــودي ليــلى ومــا ليــا

وأنــى تعــاطى ذكــرهــا حارثيــة

تديــر ببصرى أو تحل الحــواليــا

وأنــى تلاقــيــنــا بلى ولــعــلهــا

اذا النــاس حجــوا قابــلاً أن توافيـا

فلما غزا المسلمون الروم ظفروا بليلى بنت الجودي ، فبعثوا بها إلى عبد الرحمن لما كان يذكرها ، فكانت عنده إلى أن فارقها ولم تلد له .

عَنْـهُ نَهَىٰ فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَالِـدَهْ

نَبِـيُّـنَـا إِذْ رَامَ أَنْ يُجَالِـدَهْ

يشير إلى أن عبد الرحمن يوم بدر دعا المسلمين إلى المبارزة ـ وهو مع المشركين قبل إسلامه ـ فقام أبو بكر يريد أن يبارزه فقال له ﷺ : «مَتِّعْنَا بِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ناهياً له عن برازه ؛ لأن عبد الرحمن من أشجع قريش ؛ وقتل يوم اليمامة سبعة من أكابر بني حنيفة ، مع محكم بن الطفيل هو سابعهم ، وبعد ذلك قال عبد الرحمن لأبي بكر بعد أن أسلم : استهدفت لي يوم بدر فصرفت عنك . فقال أبو بكر : وأنت والله يابني لو استهدفت لي ماصرفت عنك . ومات عبد الرحمن سنة خمس وخمسين على أميال من مكة ، وحمل إليها على أعناق الرجال فدفن بها ، وجاءت عائشة إلى قبره فبكت عليه .

عَنْ دِينِـهِ بِبَيْعَـةِ الْفُـوَيْسِقِ

بِالْكُـثْـرِ سِيمَ وَأَبَـاهَـا الْمُتَّـقِي

الفويسق : يعني به يزيد بن معاوية . والمتقي : يعني به عبد الرحمن ابن أبي بكر ؛ لقد أراد منه معاوية أن يبايع ليزيد في حياة معاوية فامتنع ، ثم بعث إليه مع مروان بن الحكم بمائة ألف وهي مراده بالكثرة التي ذكر في

نظمه . وسيم بالأمر : كلفه وطلب منه فردها وأنف عنها ، فقال له مروان كلاماً لايليق به منه : أيها الناس هذا الذي قال لوالديه : «أُفٍّ لَكُمَا» ، فأعرض عنه عبد الرحمن ، أي إعراض ، ولم يزد كلام مروان عند الناس إلا إجلالاً .

مِنْ نَسْلِهِ الـرَّائِقُ جَدُّ سَيِّـدِي

أَحْمَـدَ قُطْبِ سَجَلْمَاسَ الْمُهْتَـدِي(١)

تَافِلاَلَتْ ؛ ضبطها مجد الدين في القاموس بكسرتين أولاً ، لكن العامة يقولونها بكسر السين فقط كما قال الناظم . يقول : من نسل عبد الرحمن القطب سيدي أحمد الحبيب ، وأضافه إلى سجلماس لكونها أرضه ، وأما هو فقطبانيته لجميع البلاد . كما قال : كان ممن جال جميع البلاد يريد من هو أعلم منه ليزداد منه علمًا ، فلم يجده ـ يعني نفسه وفيه دليل على المنكر كون القطب لايكون إلا بمكة .

ومن ولايته أن أهل سجلماس كلهم أتوه قبيل يوم العيد ، كل يسأله أن يصلي بهم في قصرهم ، فوعدهم كلهم وصلى بجميعهم ، كل يزعم أنه فاز بذلك عن جميع سجلماس ، وقصورهم بعدد أيام السنة وهي ثلاثمائة وخمسون ، وقصر الشيخ منها آبوعام الذي به سوق تافيلالت العظيم . وعند رأس الشيخ منقوش نسبه إلى أبي بكر بينهما أربعة وعشرون جداً . ومن كراماته(٢) أن أحد تلاميذه حج مسكيناً بلا راحلة ولازاد ، بل في جملة الركب

---

(١) صوابه أن يقول المبتدع الدجال ؛ لأن ماذكر عنه حماد في الشرح يعلم الله بعده من الاهتداءِ بهدي رسول الله ﷺ كما سترى .

(٢) قلت : لولا أمانة النقل ماأثبت شيئاً من هذه الفضائح والخرافات ، التي نسب هذا الرجل =

= الذي كنت أظن به خيراً ، لهذا الذي يقتضي مانسبه إليه هنا ـ إن صحت نسبته إليه ـ أنه دجال ، والعياذ بالله ، والعجب من الشيخ حماد كيف استدل بكلام الرجل نفسه ـ ومدحه لها الذي نهاه الله عنه ـ على قطبانيته وقال : وفيه دليل على المنكر كون القطب لايكون إلا بمكة . أين الدليل ياترى ؟! . وهل عندك دليل على وجود القطبانية نفسها ؟ . وهل عندك دليل على أنه ـ أي القطب ـ لايكون إلا بمكة ، حتى تستدل عليه بهذه المقالة التي استجلبتها من مدح هذا الرجل لنفسه ، استدللت بها على قطبانيته وعلى أنه حيث إنه ليس بمكة ، فإن ذلك حجة على من ينكر كون القطب لايكون إلا بمكة ؟! .

أما أنا فإني أقول : إن في كلامك دليلاً على أنك مؤمن بكل هذه الأباطيل ، التي سردتها عنه بعد كلامك هذا ، اللهم إني أعوذ بك من طمس البصيرة .

إن أول مسألة استجلبها هذا الشارح دليلاً على ولايته ، فيها الدلالة التي لاغبار عليها بأنه دجال كذاب ، يضحك على عقول العامة ، وإلا فكيف يتصور وجوده في وقت واحد ، بثلاثمائة وخمسين موضعاً مختلفاً ؟! فالمسألة في نظري لاتخلو من أحد أمرين :

ـ إما أنه سحر أعين الناس حتى صار يخيل إليهم من سحره أن المصلي بهم هو ذاك الذي يريدون ، وهذا شيءٌ سائغ ؛ فإن السحر أمر خارق للعادة ، يتعاطاه أشرار الناس ليروجوا به باطلهم ، أو لينالوا به بعض المآرب الدنيوية .

ـ وإما أن له أعواناً شياطين يتعاونون معه على الإثم والعدوان ، يروجون له دجله ليشتد اعتقاد العامة فيه ، فتفسد عقائدهم بذلك ، وهذا أمر سائغ أيضاً فإن الشياطين ثبت تعاونهم مع الإنس في أمور الغي ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَايُقْصِرُونَ ﴾ سورة الاعراف : ٢٠٢ : وقال ﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ الآية : سورة الأنعام : ١٢٨ أما أن تتصور هذه كرامة ولي ، وهو يتحدى الناس بهذا التعدد للواحد في آن واحد فإن ذلك لايمكن بحال من الأحوال ، وأيضاً فقد =

= كان بالمدينة سبعة مساجد في عهد النبي ﷺ ، وكل أهل مسجد يتمنون أن يصلي بهم رسول الله ﷺ في مسجدهم ، ولم يذكر أنه صلى بمسجدين في آن واحد ، أحرى من ثلاثمائة مسجد وخمسين مسجداً . والسؤال الذي يضع نفسه هو : كيف يروج مثل هذا الدجل على فحول العلماءِ المصنفين من أجلاءِ دهرهم ؟ ! .

وأما ماذكر من نقش نسبه على قبره ؛ فهو بدعة بشعة شنيعة ، والمعروف أن نقش القبر عند المالكية أقل حاله الكراهة ، أحرى المباهاة به ، ونقش الأنساب عليه لتعتقد فيه العامة . وأما الطامة الكبرى فهي تلك الحكاية التي هي أولى بالتصنيف في جملة الكفريات ، بدلاً من ذكر الشيخ حماد لها في جنس الكرامات ، أنه من المعلوم المسلم به أن الفرق بين المعجزة والكرامة هو التحدي بالأولى ؛ أي إعلانها ، وأن الكرامة لايريد صاحبها إعلانها ، وربما وقعت له من غير شعور منه أنها وقعت من أجله ، فلنفسه أحقر عنده من أن تخرق العادة من أجله ؛ وحقيقتها أنها لاتقع الا على طريق الاستقامة الكاملة ، ومن هنا تبين لك بعد هذه المسألة عن نهج الكرامة ، حيث إن صاحبها الواقعة له صرف حقاً من حقوق الله تعالى إلى خلق من خلقه ؛ حيث قال : وأجهده العطش والإعياءُ فنادى بالشيخ الخ . سخافة ، أليس هذا استغاثة من مضطر بغير الله تعالى ؟!! . والله تعالى يقول ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ الآية سورة النمل : ٦٢ . فكيف يتصور أن كائناً من يكون ـ غير الله ـ يستطيع أن يجيب المضطر ويستطيع كشف السوء عنه ؟! . ويوجه القرآن العظيم هذا التقريع إلى مشركي مكة الذين كانوا يستغيثون بأصنامهم ، بل لم تكن وقاحتهم تبلغ بهم سوى أنهم يقولون : ﴿ مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَىٰ ﴾ . ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ﴾ .

وتعال معي حتى نرجع إلى ألفاظ الشيخ حماد ، التي استدل بها على حصول الكرامة لتلميذ هذا الشيخ ، لما استغاث به في أحرج أوقاته ، لنجد أن هذا الرجل صرف مخ عبادة الله إلى خلق من خلقه ، صرف هذا الرجل الدعاءَ إلى غير الله تعالى والله =

= يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُون جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ سورة غافر : ٦٠ وفي الحديث الذي يرويه ﷺ عن ربه : «يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَاعِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» ، رواه مسلم ، وفي الحديث الشريف الذي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، وابن حبان والحاكم وصححه ، أنه ﷺ قال : «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمُ عَلَى الله مِنَ الدُّعَاءِ» . وروى أحمد وابن أبي شيبة والحاكم قوله ﷺ : «مَنْ لَمْ يَدْعُ الله يَغْضَبُ عَلَيْهِ» ، وقوله ﷺ : «الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنُ وَعِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ» . رواه الحاكم وصححه . وقوله ﷺ : «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» . رواه أحمد والترمذي . وفي لفظ آخر : «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» . رواه الترمذي . وقوله ﷺ : «لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ وَلٰكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ بِالدعَاءِ يَاعِبَادَ الله» . رواه أحمد . وقوله ﷺ : «سَلُوا الله كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشِّسْعَ إِذَا انْقَطَعَ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ مَاتَيَسَّرَ» ، رواه أبو يعلى بسند صحيح . وروي عن ابن عباس أنه قال : «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ» وقرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ الآية سورة غافر : ٦٠ . رواه ابن المنذر والحاكم وصححه .

قال في تيسير العزيز الحميد : فثبت بهذا أن الدعاءَ عبادة من أجلّ العبادات بل هو من أكرمها على الله ـ كما تقدم ـ فإن لم يكن الإشراك فيه شركاً فليس في الأرض شرك ، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاءِ أولى أن يكون شركاً من الإشراك في غيره من أنواع العبادة ، بل الإشراك في الدعاءِ هو أكبر من شرك المشركين الذين بعث إليهم النبي ﷺ =

= فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة ، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله ، ولهذا يخلصون في الشدائد لله وينسون مايشركون ، حتى جاء أنهم إذاجاءتهم الشدائد في البحر يلقون أصنامهم في البحر ويقولون : يالله ، يالله . لعلمهم أن آلهتهم لاتكشف الضر ولاتجيب المضطر . قال الله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَاتَذَكَّرُونَ ﴾ سورة النمل : ٦٢ . فهم كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده ، وأن آلهتهم ليس عندهم شيءٌ من ذلك ، ولهذا احتج سبحانه وتعالى عليهم بذلك ؛ أنه هو الإله الحق ، وعلى بطلان إلهية سواه ، وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ سورة العنكبوت : ٦٥ . فهذه حال المشركين الأولين ، أما عبّاد القبور اليوم ، فلا إله إلا الله كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك ، فإنهم إذا أصابتهم الشدائد براً وبحراً أخلصوا لآلهتهم وأوثانهم التي يدعونها من دون الله ، وأكثرهم قد اتخذ ذكر إلهه وشيخه ديدنه وهُجيراه ؛ إن قام وإن قعد وإن عثر ، هذا يقول : ياعلي ، وهذا يقول : ياعبد القادر . ا . هـ . محل الغرض منه من تيسير العزيز الحميد بلفظه .

وتلميذ أحمد الحبيب السجلماسي هذا لايخلو أن يكون ـ وقت دعائه لشيخه ـ في أحرج أوقاته ، كان الشيخ في ذلك الوقت حياً أو ميتاً .

فإن كان شيخه وقت ندائه ميتاً ، ويدعي أنه جاءه بالأكل والشرب ، فيكون قد زاد على صرف العبادة لغير الله أنه كذب رسول الله ﷺ فيما أخرجه الشيخان عنه : «إِذَامَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ وَعِلْمٍ وَرَّثَهُ وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ بِخَيْرٍ» . أو كما قال ﷺ . فهذا المفتري زاد مسألة رابعة =

= هي : يغيث من استغاث به ، ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء !!! . كما ادعى أنه وقع به .

وإن كان وقت ندائه لشيخه ، كان الشيخ على قيد الحياة ، وبحيث يسمعه فيتمكن من نجدته ، فيكون عمل عملاً مباحاً لابأس به ، غير أنه لاغرابة في ذلك ولادليل فيه على الولاية إذا دعاه من يسمعه ، وسمعه وأعانه بما يقدر عليه .

وإن كان غائباً عن منظره وقت دعائه له ، واستغاث به في كشف الضر عنه والسوء ، فيكون قد صرف إليه ماهو حق محض لله ، لايقدر عليه ولايملكه غيره ، بإقرار المشركين له تعالى بربوبيته في ذلك . وقد جرى أسلوب القرآن الكريم في سؤال المشركين عن شيء من ربوبيته التي كانوا يقرون له بها ـ وقد جبلت عقول العقلاء على الإقرار له بها ـ جرى أسلوبه أن يسأل عنه سؤال تقريع وتبكيت : ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ ﴾ سورة ابراهيم : ١٠ . ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَباً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ سورة النمل : ٦٢ . وعلى كل حال فإن هذا المستغيث في أحرج أوقاته بغير الله تعالى ، قد جرت عليه هذه الآية ذيلها وهي قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَايَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَيَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَااسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ سورة فاطر : ١٣ ، ١٤ ؛ وكأني بمدافع عنه ـ ممن هو على شاكلته ـ يقول : أتورد عليه آية نزلت في المشركين ، وهو يقول لاإله إلا الله ؟! . وهو استشكال تعودت على سماعه ، والجواب : نعم ، أوردها عليه وعلى أمثاله لأن العبرة في الوحي بعموم الألفاظ لابخصوص السبب ، فكل من فعل فعلاً كان سبب نزول آية جرت عليه تلك الاية ذيلها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ألا ترى إلى قضية الظهار التي نزلت في خولة بنت مالك بن ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت ؟ . فلو أن العبرة بخصوص السبب مالزمت كفارة ظهار غير أوس بن الصامت . وعويمر =

= العجلاني الذي هو سبب نزول آية اللعان ، أو هلال بن أمية حين قال : يارسول الله ، رأيت شريك بن سمحاءَ على بطن زوجتي خولة . فقال ﷺ «**الْبَيِّنَةَ أَوْحَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**» . فنزلت آية اللعان . فلو كانت العبرة بخصوص السبب ما لاعن غير الذي نزلت فيه . والمخزومية التي سرقت فكانت سبب نزول حد السرقة ، لو كانت العبرة بخصوص السبب ماقطع سارق بعدها . وكل ذلك لايقول به أحد ، فتعين أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، وقد استفسر الذي تناول من المرأة التي جاءَت تسوم شراءَ تمر فندم فنزلت : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ الآيةسورة هود : ١١٤ . فقال : يارسول الله ، إلي خاصة أم لعامة الناس ؟ . قال : «**بَلْ لِعَامَّةِ أُمَّتِي**» أو كما قال ﷺ .

وعلى كل حال فإن الذي يدعو غير الله لايخلو إما أن يكون دعاه حين يعتقد له نفعاً أو ضراً من دون الله تعالى ، فهذا لايرتاب أحد في كفره .

وإمَّا أن يكون دعاه معتقداً أن النفع والضر كلاهما بيد الله ، وإنما دعا مدعوه يستشفع به لله ويتقرب به إليه ، فهذا الذي يرد عليه قوله تعالى حكاية عن المشركين : ﴿ **وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ** ﴾ سورة يونس : ١٨ . وقوله تعالى حكاية عنهم أيضاً : ﴿ **مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ** ﴾ سورة الزمر : ٣ . كما تجر عليهم الآية الأخرى ذيلها : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ مَالَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقولونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ . أليس في فاصلة الآية التصريح بأن مثل هذا القول شرك ؟ .

وأما ماذكره من تمليك الملك وتسمير الغلام في موضعه حتى أذن له ، فإن ذلك خرافة مؤلفة لاتستحق الذكر ولا الرد عليها ، لأننا لانشغل وقتنا في تتبع خرافات الخرافيين وأباطيل الكذابين . =

يسأل ويتطفل ، فنام ليلة وغلبه النوم حتى فاته الركب ، فاستيقظ ولا أحد ، فسار غير بعيد وأجهده العطش والإعياءُ ، فنادى بالشيخ فأتاه بزلافة ـ وهي إناءٌ من جير يتخذه أهل بلدهم ـ مملوءَة لبناً أحلى من العسل ، فشرب حتى روي ، ومدها فوق فأعطاها له مملوءَة ثريداً بلحم أطيب مايكون ، فأكل حتى شبع وتركها عنده وقال له : كلما احتجت إلى طعام أو شراب فارفع بها يدك . ثم جعل يده من وراء رأسه ثم قال له : غمّض عينيك . فقال : افتح عينيك . فإذا هو بالركب يضربون أخبيتهم وتركه ، ولم تزل عند التلميذ الزلافة ؛ وهي قدر مايرويه ويشبعه إلى أن سرق مال لأمير الركب فقيل له : في الركب مسكين كان يتطفل ويسأل ، ومنذ كثير ماسأل ولايتطفل . وكان الشيخ عهد إليه أن لايخبر أحداً بشأنه ، فأخذه أمير الركب ولم يزل يعذبه إلى أن أخرج له الزلافة وأخبره بشأنها ، فلم يرها بعد ذلك .

ومنها أنه مات ملك العرب ، فتنازع أهله في الملك ـ وكان بنوه يحبون ملك فلان منهم ، ويهابون أن يرفعوا ذلك إليه ـ فأخذوا المصحف ودفعوه إلى غلام لهم وقالوا له : افتح هذا بين يدي الشيخ وقل له : بحق هذا ملّك لنا

= غير أني أبدي أسفي بأن أمانة النقل أرغمتني على نقل هذه الأسطورة عن رجل مذكور من أهل العلم ببلدي ، الذي عشت فيه أيام نعومة أظفاري ودرست مادرست فيه ، لم أتعلم حرفاً واحداً خارجاً عنه إلا مادرسته على شيخي وابن عمي المرحوم الشيخ محمد الأمين ، لما ارتحلت إليه في طلب العلم بعد هجرته ، أتأسف أني أسجل عن حماد حكايته هذه عن هذا السجلماسي غير راد عليه حرفاً واحداً ، بل سياق نقله يدل على ارتضائه ذلك . والله تعالى أرجو أن يوفقني وكل المسلمين إلى مافيه سداد القول والفعل ، وأن يمن علينا بتوفيقه ، وأن يختم لنا بالسعادة إنه سميع مجيب .

فلاناً . ففعل الغلام ، فسار غير بعيد فقال له : قف هنالك . ثم قال : ﴿ قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴾[1] وركز قدمه في الأرض فملك الذي يحبون أن يملك ، ولم يزل العبد واقفاً حيث أمره بالوقوف ، لايقدر أن يذهب ولا أن يرجع إلى أن أشار له أن يذهب ، فلما سار سقط حائط كان يعلوه ، ولو لم يسر لسقط عليه . ومن تلامذته عمر الخطاط أدركنا آخر عمره ، ومن نسل عبد الرحمن بن أبي بكر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس .

مُحَمَّدُ بْنُ عَابِدِ الرَّحْمٰنِ
إلَىٰ أَبِي قُحَافَةٍ عُثْمَانِ

صَحَابَةٌ وَابْنُ أَبِي العَتِيقِ
سَلِيلِهِ أَشْهَى مِنَ الرَّحِيقِ

ذو أَدَبٍ مُوَرَّثٍ مِنْ حَسَبِهْ
وَأَدَبٍ مُكْتَسَبٍ مِنْ كُتُبِهْ

وَالشَّيْءُ لَايَنْبُتُ دُونَ أَصْلِ
وَالْأَصْلُ لَايُثْمِرُ دُونَ فِعْلِ

---

(١) سورة آل عمران : ٢٦ .

الأربعة كلهم ابن الآخر-صحابة

يعني أن محمد بن عبد الرحمن إلى أبي قحافة توارثوا صحبة رسول الله ﷺ كابراً عن كابر إلى أربعة ، ومثلهم في ذلك آل زيد بن حارثة صحب منهم أيضاً وهم : محمد بن أسامة بن زيد بن حارثة . ومثل ذلك أيضاً آل الطفيل بن عمرو وصحب عبد الله بن عمرو بن الطفيل بن عمرو والأربعة دوسيون .

ذكر ابن أبي عتيق

يعني أن محمد بن عبد الرحمن يكنى أبا عتيق بابنه عتيق ، وابنه هذا غلب عليه تسميته بابن أبي عتيق ، وأمه من بني فراس ثم شرع يمدح ابن أبي عتيق ؛ قال : إنه أشهى من الرحيق ، وهو أطيب الخمر أو أفضلها ؛ يعني بعلمه وأدبه وفكاهته ومجونه . وكان يصاحب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ويروي شعره ، ومن مجونه أنه بعثت إليه زوجته بورقة فيها هجوه تقول فيها : أنفقت مالك في كل زانية وفي الخمر . فأتى عبد الله بن عمر بالورقة ، فلما قرأها عبد الله بن عمر قال له : ياابن أمير المؤمنين ، ماالرأي عندك فيمن هجاني هذا الهجو ؟ . قال : إن قدرت أن تعفو عنه . فقال : والله إن ظفرت به لأنيكنَّه . فأعرض عنه ابن عمر ، فكان كلما لقيه يقول له ذلك ويزيد ابن عمر في الإعراض حتى هجره ، فلما رآى ابن أبي عتيق ذلك استغفله حتى ساره بأنها زوجته ، فضحك وقال : زدني من ذلك . وسلم عليه عبد الله بن قيس الرقيات فقال : وعليك السلام يافارس

العمياءِ . فقال : وما ذلك يا ابن الصديق ؟ قال لقولك :

تقـدمت بالشهبـاءِ نحـو ابن جعفـر
سواءٌ عليهـا صحـوهـا وغيـارهـا

وذلـك صفة العميان . فقال ؛ أُريد أَنها تدأب السير ليلاً ونهاراً . فقال : بيتك يحتاج إلى ترجمان . وكان كثيراً مايتمازح مع ابن أَبي ربيعة ، ويلقى معه الثريا ويزورانها ، ولما قال ابن أَبي ربيعة :

مَن رسـولي إلى الـثـريـا بأَني
ضقـت ذرعـاً بهجـرهـا والكتـاب

سار إليها ابن أَبي عتيق وقال لها : إن ابن عمك يزعم أَنه يحبك وأَنه ضاق ذرعاً بهجرك وحلف على ذلك ، فسمع ذلك عمر من الثريا فقال له : ولِمَ ذلك ؟ قال : سمعتك تستغيث بمن ترسله ، وعلمت أَنك لاتجد رسولاً أَنصح مني ، فبلغت عنك . فضحك عمر والثريا . وله يقول عمر في بعض محبوباته :

لاتـلمـني عتيـق حسبـي الـذي بي
إن بي ياعـتـيـق ماقـد كفـاني
لاتـلمـني وأَنـت زيَّـنـتـهـا لي
أَنـت مثـل الـشيـطان للإنسـان

فقال له يوماً : أَين ماتذكر من عفافك من قولك :

كلانا من الثوب المورس لابس

فقال : أَصابتنا السماءُ يوماً ونحن في مكان كذا ، فأَمرت غلماني أَن يضربوا علينا ثوباً مورساً عندهم ، فقال : بيتك ياعمر يحتاج إلى حاضنة .

وقوله : ذو أَدب يعني أَنه ورث الأَدب ؛ ومن أَدبه العلم ، رواه من

أجداده الذين هم أهله ، وهم حسبه الذي ورث عنه الأدب ، ثم زاد على ماورث من أدب حسبه أدب تعلم العلم ، فصار ذا أدبين ؛ أدب الحسب وأدب الكسب ، والأصل إذا كان طيباً ثم أثمر فرعه طيباً اجتمع الطيبان ، وإذا انتفى الطيب عن الفرع أو عن الأصل لم ينتفع المنفي عنه بطيب صاحبه ، بل الأصل لايثمر دون أن يمطر أو يسقى ؛ لأن الثمر لايتأتى دون الأصل ، والأكثر أن يأتي على صفة الأصل ، طيباً كان أو خبيثاً ، وابن أبي عتيق طاب ثمره بعد طيب أصله .

وَعَــمُّــهُ عَبْــدُ الإلٰــهِ تَحْتَــهُ

عَائِــشَــةُ أَوْلَــدَهَــا طَلْحَتَــهُ

أي وعم ابن أبي عتيق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكانت تحته عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عذرها ، وأولدها أربعة ذكوراً هم : أبو بكر وطلحة وعمران وعبد الرحمن وكلهم أبو قبيلة إلا عبد الرحمن ، ولم تلد له من الإنـاث إلا نفيسـة زوج الوليد بن عبد الملك ؛ وكانت عائشة بنت طلحة تسكن عند خالتها أمنا عائشة ، وكان عبد الله بن عبد الرحمن يزور عمته وهي عندها ، وربما كان ذلك في رمضان فتقول له : يا ابن أخي هذه زوجتك فقبلهـا ، فقد كان رسول الله ﷺ يقبل بعض نسائه وهو صائم . وكانت عائشـة بنت طلحة أجمل النساءِ ، وتسمى الموصولة ، لأن كل عضو منها متصل بالآخر في الحسن ، وهي إحدى عقيلتي قريش اللتين سأل مصعب ابن الزبير الله ـ وهو متعلق بأستار الكعبة ـ الجمع بينهما ، وملك العراق فقدر له ذلك ، والثانية سكينة بنت الحسين ، وكانت تساميها مادامتا تحت مصعب .

تحاكم عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين

وتحاكمتا يوماً إلى خالد بن صفوان فقال : أما أنت ياعائشة فأجمل . وأما أنت ياسكينة فأملح . فقالت له عائشة : قضيت لها علي . وأرسلت إليها عائشة ذات ليلة ـ والقمر منير ـ أيتنا تشبه هذا البدر ؟ . فسكتت عنها حتى قام المؤذنون آخر الليل فأرسلت اليها سكينة : أهذا الداعي يشهد لجدي أم لجدك ؟ .

وتزوجت عائشة بعد مصعب لعمر بن عبد الله بن معمر ولم تلد لأحد بعد عبد الله بن عبد الرحمن .

وطلحة الذي يقول الناظم ؛ هو طلحة الدراهم ؛ سمي بذلك لجوده ؛ وله يقول الحزين الدؤلي ، وكان قال له : ادخل السوق واختر عشر قلائص ويأتيني أهلها فأوفيهم أثمانها . ففعل وجعل يقول :

فإن تك ياطلحُ أعطيتني
عذافرة تستخف الضفارا
فما كان نفعك لي مرة
ولا مرتين ولكن مرارا
أبوك الذي صدق المصطفى
وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاءُ تيمية إذا
انْتَسَبَ النَّاس كانت نضارا

وَهْـيَ حَظيَّــةٌ وَبِـنْـتُ أُخْــرىٰ

بِنْتَــا الَّـلذَيْنِ بُشِّرَا بِالْأُخْــرَىٰ

وهي : يعني عائشة بنت طلحة . وحظية كغنية : المحببة عند الأزواج . وبنت أخرى : وهي أم كلثوم بنت أبي بكر ؛ كانت حظية عند طلحة بن عبيد الله ، فأولدها زكريا بن طلحة وعائشة ، ثم خلف عليها عبد الرحمن الأحول بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر البقاع ، فولدت له عثمان وابراهيم وموسى .

وقوله : بنتا اللذين الخ . أي وهما بنتا أبي بكر وطلحة اللذين بشرهما النبي ﷺ بالجنة ؛ أما أبو بكر فلا يحتاج ذلك منه إلى الذكر لكثرة وقوعه ، وأما طلحة فكذلك أيضاً ، ومنه إسهامه له ببدر في الأجر ، ولقوله ﷺ يوم أحد وهو يقاتل عنه : **أَوْجَبَ طَلْحَةُ**» ، وقوله : «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ طَلْحَةَ**» ، وقوله : «**لَوْ لَمْ يَقُلْ حَسِّ لَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَالنَّاسُ يَنْظُرونَ**» ، وقوله لأحد حين أرجف بهم : «**اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدٌ**» وفيهم طلحة وغير ذلك .

وأم أم كلثوم هي حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجي وكان أبو بكر عندها ليلة وفاة رسول الله ﷺ أذن له رسول الله ﷺ لما قال له : يارسول الله ، هذه ليلة بنت خارجة . فبات عندها بالسنح ، وهو موضع بالمدينة [بالعالية] .

بِنِـحْلَةٍ عَنِ الْقِيَــاسِ خارِجَــةْ

خَصَّ السَّخِيُّ بِنْتَ بِنْتِ خَارِجَةْ

النحلة بالكسر ويضم : الصداق . والخارج عن القياس : هو ماجاوز الحد للكثرة في زمن الصحابة لقوله ﷺ لعبد الله بن أبي حدرد ، حين استعانه على صداق امرأة تزوجها : «كَمْ أَصْدَقْتَهَا» ؟ قال : مائتي درهم ، قيمتها من الذهب عشرون ديناراً . وأصدق عمر عن ابنه عبد الله صفية بنت أبي عبيد خمسمائة درهم ، بعد ماكثرت الأموال عند الصحابة ، ودس إليهم عبد الله مائتين من غير علم من عمر فتم الصداق سبعمائة درهم وذلك سبعون ديناراً .

والسخي يعني به طلحة بن عبيد الله لشهرته بالسخاءِ . وبنت بنت خارجة هي أم كلثوم بنت أبي بكر . وبنت خارجة : هي حبيبة بنت خارجة ابن زيد الأنصاري .

وَعَنْ أَبِي حَفْصٍ أَبَتْ كُلَّ الإِبَا
وَبَعْضَ مَهْرِهَا اسْتَرَدَّ وَأَبَىٰ
بَعْضُ النِّسَاءِ وَبِهَا أَوْصَىٰ الشَّفِيق
وَهْيَ جَنِينٌ أُمَّنَا بِنْتَ العَتِيق

أبو حفص : عمر . كناه ﷺ بذلك يوم بدر ؛ وهو كنية الأسد ، والحفص ولده . وإنما كنى به النبي ﷺ عمر لشدته ، وعن أبي حفص متعلق بأبت . وكل الإبا مفعول مطلق . وبعض مهرها مفعول به لاسترد ، وبعض النساءِ فاعل أبى الأخير من البيت ، وبها متعلق بأوصى . والشفيق : أبو بكر لقوله ﷺ : «أَبُو بَكْرٍ كَإِبْرَاهِيمَ وَهُوَ أَلْيَنُ فِي اللهِ مِنَ اللبَن» ويروى بكسر

اللام وبالمثناة من تحت ، «**وَعُمَرُ كَنُوحٍ وَهُوَ أَقْسَى فِي اللهِ مِنَ الْحَجَرِ**» وذلك حين اختلفا في شأن أسارى بدر ؛ فكان عمر يشير بقتلهم ، وأبو بكر يشير بإبقائهم وأخذ الفدية منهم ، فكنى عمر أبا حفص ؛ وجملة وهي جنين حالية وقعت بين الفعل ومفعوله .

يقول : إن أبا بكر لما حضرته الوفاة أوصى ابنته أمنا عائشة على بنيه الآخرين فقال : إنما هما أخواك وأختاك . فقالت : هذه أسماء فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن بنت خارجة أراهُ أنثى . وفي رواية : ألقي في خلدي أنها أنثى . والخلد بالتحريك : القلب . ويؤخذ من هذا أن الإيصاءَ على الكبير ، لأن عبد الرحمن وأسماءَ كلاهما أكبر من عائشة بكثير . وقوله : وعن أبي حفص أبت ؛ يشير به إلى أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبي بكر ، فكرهت ذلك عائشة ؛ فشكت للمغيرة بن شعبة لدهائه ـ وقيل لعمرو بن العاص ـ فقال لها : أكفيك ذلك إن شاءَ الله . فجاءَ إلى عمر فحادثه ثم قال له : هلا تزوجت ياأمير المؤمنين ؟ . فقال : أريد ذلك . قال بمن ؟ قال : أريد أم كلثوم بنت أبي بكر . قال : نعم ، ولكن أريد لك غيرها . قال : ولم ؟ . قال : لأنها جارية حديثة السن ، تجيعها وتعريها فتأتي إلى رأس أبي بكر وتصيح بذلك ، فتؤذي أبا بكر ثم تؤذي رسول الله ﷺ . فقال عمر : متى كنت مع عائشة ؟ . وتركها . ثم تزوجها طلحة وأصدقها ألف دينار ، فقال عمر : هذا غلاءٌ ، ردوا بعض هذا إلى بيت المال . فقالت له عائشة وقيل أم سليم : ياأمير المؤمنين أنأخذ بقولك أم بقول الله تعالى ؟ . قال : بل بقول الله تعالى . فقالت : وهو تعالى يقول : ﴿ **وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً** ﴾[1] . فقال عمر : امرأةٌ أصابت ورجل أخطأ ؛ وذلك

---

(١) سورة النساء : ٢٠

معنى قول الناظم : بعض مهرها استرد .

وَخَلَّفَ الْفَيَّاضُ ذَا إِذْ ذَهَبَا
أَلْفَ بُهَارٍ فِضَّةً وَذَهَبَا

الفياض سمى بها النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله حين اشترى بئر نعمان وتصدق بها على أهل المدينة ، ونحر لهم جزوراً ، وذلك في يوم واحد . فقال له : «أَنْتَ الْفَيَّاضُ» . ويسمى أيضاً طلحة الخير . قال البوصيري :

طلحة الخير المرتضيه رفيقا
واحداً يوم فرت الرفقاءُ

والبُهار : الظرف الصغير ؛ يقول : إن طلحة بن عبيد الله يوم توفي خلّف ألف بُهار من الذهب والفضة . قلت : يحار العقل من هذا كيف يوجد ألف بهار في الدنيا ، وأحرى أن تكون لشخص واحد ، وأحرى أن يكون ذلك الشخص طلحة بن عبيد الله مع جوده وكثرة عطاياه لأهل المدينة وغيرهم .

وَمِنْ بَنِي طَلْحَةَ أَيْضاً النَّبِيهْ
مُحَمَّدُ الْبَرُّ تَوَى مَعَ أَبِيهْ

وَهْوَ أَبُو الْأَعْرَجِ إِبْرَاهَامِ
عَلَىٰ بَنِي الْحَسَنِ ذو إِنْعَامِ

أَنْ كَانَ أَوْصَاهُ بِهِمْ إِذْ أُمُّهُمْ
خَوْلَةُ أُمُّهُ الَّتِي تَحْضِنُهُمْ

يقول : ومن بني طلحة بن عبيد الله أيضاً ـ بعد عائشة وأخيها زكرياءَ ـ محمد بن طلحة ويلقب بالسجاد ، ووصفه الناظم بالبر أي ذي البر . والنبيه : العاقل . وتوى : مات مع أبيه طلحة يوم الجمل ؛ وكان أبوه أكرهه على الخروج ، وأمره أن يتقدم باللواءِ ، فقال علي لأصحابه : إياكم وصاحب البرنس الأحمر ، إنما أخرجه بره بأبيه . فنثر درعه وجعلها بين رجليه ، وجعل كلما حمل عليه رجل يقول أنشدك «بحَمّ» فينصرف عنه ، حتى حمل عليه رجل من بني أسد ، فأنشده ولم يكترث فطعنه . وفي ذلك يقول الرجل الأسدي :

وأشعث قوّام بآيات ربه
قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
ضممت إليه بالسنان قميصه
فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير شيءٍ غير أن ليس تابعاً
عليًّا ومن لايتبع الحق يندم
يذكرني حَمّ والرمح شاجر
فهلا تلا حَمّ قبل التقدم

ومر عليه علي في القتلى فقال : هذا السجاد ورب الكعبة ، هذا الذي قتله بره بأبيه . ووجده واضعاً يده على عورته ، فقال : لئن سترتها وأنت ميت فقد أحصنتها وأنت حي .

وأم محمد بن طلحة وأخيه عمران هي حمنة بنت جحش ، وأختها لأمها زينب بنت مصعب بن عمير . وقوله : وهو أبو الخ . أي محمد بن طلحة هو أبو ابراهيم الأعرج االذي كان يحسن وينعم على بني الحسن بن

علي ؛ لأن الحسن أوصاه بهم ، ولأن الحسن [بن الحسن] أخوه لأمه ؛ أمهما خولة بنت منظور بن زبان ، فكان يلبسهم الخز ويركبهم البراذين ويوسع عليهم في النفقة ، فلما بلغوا ردَّ عليهم أموالهم مختومة لم يحركها وقال لهم : ماأنفقت عليكم إلا صلة لأرحامكم . وكان يقال لابراهيم الأعرج بن محمد ابن طلحة : أسد الحجاز . لجرأته على الأمراءِ . وبقي إلى أن لقي هشام بن الملك ، فتكلم له كلاماً غليظاً فغضب هشام حتى بدت حولته ودخلت عينه في حاجبيه .

وقول الناظم فيه نظر لأنه إن أراد الحسن بن علي فليس هو الموصي ، وإنما الموصي الحسن المثنى ، وهو أخو ابراهيم الأعرج ، ولذلك أوصاه على بنيه لأنهم بنو أخيه لأمه ، وأما الحسن بن علي فإنه ليس له من خولة إلا الحسن المثنى وحده فلا يتناوله الجمع . وقوله : إذ أمهم يدل على أنه أراد بأمهم أم أبيهم ، لأن أم الأب أم ، والصواب أن يقول :

أن كان أوصاه بهم إذْ أمهم
خولة فهو من هناك عمهم

وضمير أمهم يعود إلى الحسن المثنى وابراهيم الأعرج ، ويجوز [1] ذلك

---

(١) قلت : هذا استدلال في غير محله في نظري ؛ لأن الناظم أعاد ضمير الجمع على اثنين وقال حماد : إن ذلك يجوز . ثم مثل له بهذا البيت الذي ينقصه وضوح الدلالة ، وكأن الشيخ لم يتنبه إلى أن أقل الجمع عند مالك اثنان كما قال في مراقي السعود :

أقل معنى الجمع في المشتهر
الاثنان في رأي الإمام الحميري

ودليل الإمام القرآن العظيم : ﴿ هٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا ﴾الآية ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ أي قلباكما . ﴿وَأَطْرَاف النهار﴾ أي طرفاه . والعلم عند الله .

كقول الكعبي :

وهـاشـم في ضريـح وسط بلقـعـة

تسـفـي الـريـاح عليـه بين غزات

أراد بين غزتين .

وَمِنْ بني طَلْحَـةَ عِمـرانُ وَهَبْ

لَهُ عَليٌّ الَّـذِي مِنْهُـمْ نَهَبْ

عمران بن طلحة أمه أم محمد السجاد ـ وقد قدمناها قريباً ـ ويذكر أن عمران بن طلحة قدم على علي بعد الجمل يسأله أن يرد عليهم أموال أبيهم التي نهبت منهم ، فرحب به عليٌّ وقربه وأجلسه معه ، وترحم على أبيه وقال : ماقبضنا أموالكم إلا لنحفظها لكم . وردها عليه بغلاّتها .

وَمِنْهُمُ ابْنَـا خالَة الْعَدْلِ الْحَلِيمْ

أُمِّ أَبَـانٍ بِنْـتِ عُتْبَـةَ الـزَّعِيمْ

عِيسَىٰ وَاسْحَـاقَ الحَلِيمُ خطَبَـا

عِنْـدَهُمَـا لِنَجْلِهِ أُخْتـاً ، أَبَى

بِهَا الأَخِيـرُ وَلَـهُ عَقـدَهَـا

بِالشَّـامِ الاوَّلُ وَمَـا أَرْشَـدَهَـا

وَبِـالْمَـدِينَـةِ لِسِبْطِ الْمُصْطَفَىٰ
عَقَـدَهَـا إِسْحَـاقُ أَيْضـاً وَنَفَىٰ

عَنْهَـا ابْنَـهُ الحَلِيمُ ثُمَّ خَلَصَتْ
إلَىٰ الْحُسَيْنِ وَالْفِـرَا تَقَنَّصَتْ

قوله ومنهم ابنا الخ . أي من بني طلحة ، والصواب بنو لأنهم ثلاثة : اسحاق واسماعيل[1] ويعقوب وقتل يوم الحرة ، ورثاه عبد الله بن الزبير الأسدي بقوله :

لعمري لقد جاءَ الكروسي كاظمًا
على خيرٍ للمسلمين فظيع

شباب كيعقوب بن طلحة أقفرت
منازلهم من دومة فبقيع

فوالله ماهذا بعيش فيشتهى
هنيءٍ ولاموت يريح سريع

والكروسي الذي يعنيه هو الكروسي بن زيد الطائي ؛ وهو أول من قدم مكة بخبر الحرة . والعدل : الحليم . يعني به معاوية ؛ فقد كان في غاية الحلم لدعوة النبي ﷺ : «**مَلأَ الله بَطْنَكَ حِلْمًا**» . والزعيم : هو سيد القوم ورئيسهم ؛ وكان عتبة بن ربيعة سيد قريش في الجاهلية ورئيسهم . ثم استطرد عند ذكر اسحاق خبر أم اسحاق ، الذي كان مدركاً لحكم ذات الوليين . ونجل الحليم يعني به يزيد بن معاوية . وأخت بني طلحة هي أم

(١) الصواب عيسى بدل اسماعيل .

اسحاق ، والأخيرهو اسحاق والأول عيسى . وقوله : سبط المصطفى ﷺ هو الحسين رضي الله عنه ، وخلصت : وصلت والفرا : هو حمار الوحش . وتقنصت أي صيدت لخلوصها من يزيد لسبط رسول الله ﷺ ، ثم هو مثل يضرب لمن ظفر بالأعلى من المطلوب .

خبر أم اسحاق بنت طلحة مع يزيد بن معاوية

وخبر أم اسحاق هو أن أخاها اسحاق قدم الشام على معاوية ، فخطب منه أخته على ابنه يزيد ، فقال له اسحاق : إذا وصلت المدينة يأتيني رسولك وأزوجه . فلما شخص من عند معاوية وقدم المدينة زوج أم اسحاق للحسين بن علي رضي الله عنهما ، وقدم عيسى على معاوية بعد اسحاق فذكر له معاوية ماقال لأخيه فقال عيسى : أنا أزوجه . وزوج عيسى أم اسحاق ليزيد بالشام ، ولم يدر أيهما قبل الآخر فقال معاوية لابنه : أعرض عن هذا . ففعل وبقيت في نفسه على اسحاق . وعيسى واسحاق مستويان في الولاية عليها ؛ لأنها أخت كل منهما وليست شقيقة لواحد منهما ؛ أما اسحاق فقد قدمنا قريبا أمه ، وأما عيسى فشقيق ليحيى ؛ أمهما سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان المرية ، وأما أم اسحاق فإن أمها أم الحارث ، واسمها الجرباءُ بنت قسامة بن حنظلة الطائي . وقوله : فخلصت إلى الحسين ؛ ذلك أنها لما خلصت للحسين ولدت له طلحة بن الحسين المذكور في الأجواد ولم يعقب ، ولما طلقها الحسين تزوجها الحسن رضي الله عنه فولدت له فاطمة أم عبد الله المحض بن الحسن المثنى ومحمد الديباج وعبد الله المطرف .

لِفِسْقِـهِ عَنْ أم اسحـاق قُذِعْ

وبنتِ آل جعفـر قَذعـاً بَشِـعْ

أَمْهَـرَهَـا مِنْ كُلِّ شيءٍ سَرَفَـا

وَأُمُّ كَلْثُـومٍ أَبَـتْ مَاوَصَـفَـا

لفسقه يعني يزيد الفويسق . وقذع : يعني كفّ . وبنت آل جعفر هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لزينب بنت علي لفاطمة الزهراءِ بنت رسول الله ﷺ . وقذعا بشعا اي كريها ؛ وكيفيته ان معاوية كتب إلى مروان بن الحكم ـ وهو عامله بالمدينة ـ أن يخطبها على يزيد ، وعلى حكم أبيها في الصداق بالغاً مابلغ ، وعلى قضاء ديونه ، وعلى كذا وكذا ولعل ذلك يكون مبدأً صلح بين هذين الحيين من بني هاشم وبني عبد شمس ، فلما وصل الكتاب تكلم مروان لأبيها فقال له : إني قد جعلت أمرها إلى خالها الحسين ابن علي . ولما اجتمع الناس بالمسجد خطب مروان ووصل الخطبة بما فيها من التغليظ والشروط والهبات إلى الحسين ، فخطب الحسين وجعل يرد كلامه فقال : أما قولكم : حكم أبيها بالغاً مابلغ . فلاحاجة لنا في أموالكم ولا في تحكيمكم ، وأما قولك : قضاء ديون أبيها ، فمتى وجدتم أباها موثقاً في ديونه ؟ ! . وأما قولك : كذا وكذا إلى أن أتى على جميع ماقال ثم قال : وأشهدكم أني زوجت هذه الجارية من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر . فبقي مروان خجلاً لايتكلم .

وَآل أَمْـرُهَـا إِلَىٰ الْـمُـبِـيـرِ

وَبَـتُّـهَـا بِسَـطْوَةِ الأَمِـيـرِ

آل : صار والمبير : الحجاج بن يوسف . وبتها : قطعها . والسطوة : القهر . والأمير : عبد الملك بن مروان . يعني أن أم كلثوم هذه آخر أمرها تزوجها الحجاج بغير طيب نفس أبيها عبد الله بن جعفر ، فاشتكى إلى خالد ابن يزيد بن معاوية ، فأتى خالد عبد الملك وقال : أتيتك في أمر فيه لك ما لم يكن لي . قال : وماهو ؟ . قال : كلبك الذي سلطت على الناس مهتم بتقوية بني هاشم علينا . قال : بماذا ؟ قال : فعل وفعل وتزوج بنت عبد الله ابن جعفر . فكتب إليه عبد الملك أن يبتها أو يفعل به ؛ وكان عبد الله بن جعفر صديقاً لعبد الملك جداً ، لايأتيه في أمر إلا أجابه إليه ، ولكنه استحيى أن يأتيه في مثل هذا ، فبت الحجاج طلاق أم كلثوم . ولاأدري مافعلت بعد ذلك . وكان رجل رأى أن طائراً على دار بكذا وكذا . فقصها على ابن سيرين فقال : إن صدقت رؤ ياك يتزوج المبير ابنة الطيار .

وَبَعْدَ ذٰلِكَ الفُوَيْسِقُ أَمَرْ ... جَرَّاءَهَا مُجْرِمَهُ شَرَّ الْبَشَرْ

بِقَتْلِ إِسْحَاقَ فَلَمْ يَجِدْهُ ... وَهَدَّ دَارَهُ وَلَمْ يُبِدْهُ

يعني أن يزيد بن معاوية بعد هذا بعث مسلم بن عقبة المري أميراً على جيش الحرة بالمدينة ، وأمره أن يقتل اسحاق أول مايفعل . جراءَ أي من أجل أم اسحاق التي تزوج الحسين بن علي بعد أن وعده بتزويجها . ومجرمه أي مجرم يزيد ؛ وهو مسلم بن عقبة يقال له ـ بما فعل بأهل المدينة ـ مجرم ، ويقال له :

مسرف أيضاً . وفات اسحاق مسرفاً وجده هرب في أول الناس ، فهدم داره ولم يبده أي لم يقتله .

تنبيه : بنو طلحة بن عبيد الله عشرة ذكوراً ، وليس من الصحابة منهم إلا محمد السجاد وعمران ؛ أمهما حمنة بنت جحش ، وإنما ولد بقيتهم بعد النبي ﷺ ، أما اسحاق واسماعيل ويعقوب فإن أمهم أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ، وأما موسى فأمه خولة بنت القعقاع بن معبد بن زرارة ، وأما عيسى ويحيى فأمهما سعدى بنت عوف بن خارجة بن سنان ، وأما زكرياءُ فأمه أم كلثوم بنت أبي بكر ، ولم نقف له على أنثى غير أم اسحاق وأم كلثوم ، وقد ذكرنا أميهما ، وعاشر بني طلحة ابراهيم ، ولم يذكره الزبيري وذكره السهيلي وقال : بنو طلحة عشرة أسماؤهم كلهم أسماءُ الأنبياءِ . وللزبير عشرة وقال له طلحة أنا أسميهم بأسماءِ الأنبياءِ ، وأنت تسميهم بأسماءِ الشهداءِ ؟ فقال الزبير : أنا أرجو أن يقتلوا كلهم شهداءُ ، وأنت ترجو أن يكون منهم نبي . ولم يزل بنو طلحة يسمون بأسماءِ الأنبياءِ . وولد ابراهيم الأعرج أربعة عشر أسماؤهم أسماءُ الأنبياءِ وهم : اسماعيل الأكبر ، واسماعيل الأصغر ، ونوح واسحاق ويوسف لأمهات أولاد ، ويعقوب وصالح وسليمان ويونس وداود واليسع وشعيب وهارون هؤلاءِ امهم بنت اسماعيل بن طلحة ، وامها لبابة بنت عبد الله بن عباس ، وهي التي يقول فيها ابن أبي ربيعة :

ودّع لبابة قبل أن تترحلا
واسأل فإن قلالة أن تسألا

كَعْبُ بْنُ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ يُنْسَبُ
إِلَيْهِ هؤلاءِ وَهْوَ الْحَسَبُ

لِصُلْبِ عَمْـرٍو وَابْنِـهِ أَكَـابِـرُ

جُدْعَـانُ عُثْمَانُ وَصَخْـرٌ عَامِـرُ

الإشارة بهؤلاءِ يحتمل أن تكون للمذكورين قبل من آل أبي بكر وآل طلحة بن عبيد الله ، ويحتمل أيضاً أن تكون الإشارة إلى المذكورين بعد في آخر البيت الثاني ؛ وهم بنو عمرو بن كعب : عامر وجدعان وصخر . وقوله : وهو الحسب ، يريد به أن بيت بني تيم وحسبهم في بني كعب هؤلاءِ ، والحسب هو ما يذكر من مفاخر الآباءِ ، وعامر هو أبو أبي قحافة وليس له غيره ، وليس لأبي قحافة غير أبي بكر ، ولكن ـ ولله الحمد ـ كثرت قبائلهم بعد ذلك من نسل عبد الرحمن بن أبي بكر وحده . وعثمان هو جد طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وأبو معمر بن عثمان الذي منه آل معمر ، وصخر هو أبو سلمى أم الخير أم أبي بكر ؛ أسلمت وبايعت وماتت قبل الهجرة ، ومنه مسافع بن عياض بن صخر الذي يعنيه حسان بقوله : ياآل تيم ألخ . . وقد تقدمت هذه الأبيات .

عبد الله بن جدعان الجواد

وجدعان هو أبو الجواد عبد الله بن جدعان ، مات قبل الإسلام ، وأدركه النبي ﷺ وسألت عائشة عنه النبي ﷺ فقالت : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف فهل نافعه ذلك ؟ . قال : «**لَا ، لأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْماً رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ**» ، وصحب ابنه مليكة واسمه زهير .

وكان عبد الله بن جدعان في أول أمره صعلوكاً جواداً ، وكثرت عليه الديون وتبرأ منه أبوه حتى بقي لايداينه أحد ، فكدر صفوه ذلك حتى اختار

الموت ، فخرج يوماً في جبال مكة لعله يريد مايقتله فيستريح ، فبينما هو يدور إذ خرج منها ثعبان أسود ، فتعرض له لينهشه فيقتله فلما دنا منه وجده مصنوعاً من ذهب ، وإذا عيناه ياقوتتان ، فكسره وأخذ الياقوتتين ، وإذا معه كنز عظيم فحمل منه ماقدر على حمله وعلَّم على الباقي . واشتهر بالمال والجود واتخذ مائدته المشهورة التي يضرب بها المثل ؛ يستوي فيها الراكب والقاعد والماشي والمضطجع ، وكان مع الإطعام يسقي الناس اللبن ؛ قال أمية بن أبي الصلت يمدح آل المدان ما آخره : لامايعللنا بنو جدعان . وسير ألف ناقة إلى الشام فجاءَت حاملة من خالص البر والعسل ، فجعل يطعم الناس البر ويسقيهم العسل فقال أمية بن أبي الصلت له :

له داع بمكة مشمعلٌّ
وآخر فوق دارته ينادي

إلى ردح من الشيزى ملاءٍ
لباب البر يلبك بالشهاد

والمشمعل : الخفيف السريع . والردح الجفان . والشيزى شجر تتخذ منه الجفان .

وَمِنْ بَنِي عُثْمَانَ آلُ مَعْمَرِ

رَهْطِ السَّخِيِّ طَلْحَةَ الْجُودِ السَّرِي

يقول : ومن بني عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، بنو معمر ابن عثمان ، وجدهم معمر عم طلحة بن عبيد الله ، وهو صحابي أسلم يوم الفتح هو وابنه عبيد الله بن معمر . وهو رهط : أي قوم . السخي : أي الجواد من الطلحات الستة ، طلحة الجود . والسري : الشريف ذو المروءَة ،

وهو ابن عمرو بن عبيد الله بن معمر ، وأمه رملة بنت عبد الله بن خلف بن بياضة الخزاعية ، أخت طلحة الطلحات ، أمها بنت طلحة بن أبي طلحة العبدري ، الذي قتل يوم أحد وبيده لواءُ قريش . وأم عمرو بن عبيد الله أيضاً فاطمة بنت طلحة بنت أبي طلحة ، فكان طلحة هذا جد طلحة الجود لأبيه وأمه ، وأبوه عمرو بن عبيد الله مشهور بالجود والشجاعة ، ولي الولايات وممادحه كثيرة وهو الذي قيل فيه :

عليك سلام لازيارة بيننا
ولاوصل إلا أن يشاءَ ابن معمر

وهو من أبيات في قصة ظريفة منعني أن أذكرها أني نسيت أصلها عندي ؛ أهو بغية الأمل أو المستطرف ، ولاأحب النقل عن المستطرف .

وَمِنْ سِوَىٰ كَعْبٍ لِسَعْدٍ يُشْتَهَرْ
بِالْعِلْمِ والْوَرَعِ آلُ الْمُنْكَدِرْ

يقول : من تيم من غير بني كعب الذين فيهم البيت والحسب ، آل المنكدر عبد الله بن الهدير ؛ والمنكدر صحابي صغير دخل على أمنا عائشة فاشتكى إليها الحاجة فقالت : أول شيءٍ يأتيني أبعث إليك به . فلما خرج عنها أهدى إليها خالد بن أسيد عشرة آلاف درهم ، فبعثت بها بصرتها إلى المنكدر ، فدخل بها السوق واشترى منها جارية فأولدها بنيه الثلاثة العلماءَ ؛ محمداً وعمراً وأبا بكر ، كلهم حمل عنه العلم والزهد . والمنكدر هو عبد الله ابن الهدير بن عبد العزى بن عامر بن الحارث بن سعد بن تيم .

حَجَّ ثلاثاً وَثَلاثِينَ ابْنُهُ

وبِسِوَى الْفَرْضِ اسْتَمَدَّ مَنَّهُ

لِأَبَوَيْهِ وَلِأَهْلِ عرفَهْ

فَجَاءَهُ مِنْ عَلُ صَوْتُ عَرَفَهْ

أن جَاوَدَ الله وَإِنَّ الله قدْ

رَحِمَهُمْ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ الْبَلَدْ

يشير إلى أن محمد بن المنكدر حج ثلاثاً وثلاثين حجة ، فلما كملها أضمر في نفسه ـ أو أشهد على ذلك ـ لاأدري أيهما فعل ـ أنه أمسك لنفسه ثواب الفريضة منها ، وأعطى ثواب البواقي بين أبويه وأهل عرفة ، فسمع صوتاً من فوقه : جاودت الله ، أما علمت أن الله غفر لأهل عرفة قبل أن يخلق عرفة بألف سنة وكذا .

قلت : يؤخذ من هذا أن ثواب العبادة يصل للمعطى له كثواب الصدقة ، لأن محمد بن المنكدر قدوة من السلف الصالح المأمور بالاقتداء بهم ، لأنه من أكابر التابعين وعلمائهم . قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ** ﴾[1] ومن أهل القرون الذين يلون قرنه ﷺ .

---

(١) سورة التوبة : ١٠

نسب بني كلاب بن مرة

ولما فرغ الناظم من تيم بن مرة ومن مخزوم بن يقظة بن مرة ، نزل على عمود النسب ، وذلك صنيعه وهو كلاب بن مرة ـ وهو السادس من أجداده ﷺ ـ وذكر اليدالي في كتابه على الأنساب أن اسمه غير كلاب ، ولكن كان يحب الصيد ويتخذ له كلاباً ، وكان الناس يقولون : كلاب ابن مرة . فغلب ذلك على اسمه . ا . هـ . منه .

نسب زهرة بن كلاب

وَمِنْ كِلَابٍ زُهْرَةٌ مُجَمِّعُ

شَتِيتَهُمْ قُصَيٌّ السَّمَيْذَعُ

زُهرة ـ بضم الزاي ـ أصله مفرد الزهر ، وهو مبتدأ خبره المجرور قبله . ومجمع عطف على زهرة ـ بحذف العاطف ـ وشتيتهم مفعول مجمع ، وقصي عطف بيان أو بدل من مجمع ، والسميذع : السيد الشريف الكريم السخي الموطأ الاكناف ، وتلك أوصاف قصي . ومجمع اسمه . قال خارجة :

أبوكم قصي كان يدعى مجمِّعاً

به جَمَّعَ الله القبائلَ من فِهْرِ

يعني قريشاً لأنه جمعهم حين انتزع المفاتيح من خزاعة واستولى على مكة .

وَأُمُّ سَعْـدٍ وسُـعَـيْـدٍ ابْـنَـا

سَهْمٍ فَمِنْهَا ذَا الْقبيـلُ الْأَسْمَىٰ

ومن كلاب أيضاً بعد ابنيه قصي وزهرة ، نُعْمٌ بنت كلاب ؛ تزوجها سهم بن عمرو بن هُصيص ، فولدت له ابنيه سعداً وسعيداً ، اللذين منهما قبيلتا سهم . يعني ومن نعم بنت كلاب هذه قبيل سهم هذا الأسنى الأرفع .

موجب تسمية قريش رسول الله ﷺ ابن أبي كبشة

مِن زُهْـرَةٍ عَبْـدُ مَنَـافٍ حَارِثْ

وَمِـنْ أَبِي كَبْـشَـةَ كُلُّ حَارِثْ

يقـول : ولـد زهرة عبد مناف والحارث وكلاهما حارث بنيه من أبي كبشة ، وذلك أن عبد مناف بن زهرة تزوج قَيْلة بنت أبي كبشة ، واسمه واجر ابن غلاب بن خزاعـة وكان سيدهم ، ولذلك لم تر قريش سب النبي ﷺ بتسميته به ، ولكن أرادوا تشبيهه به لما خالف دينهم ؛ لأن أبا كبشة خالف العـرب بعبـادتـه الشعرى العبور . قال : لاأرى شيئاً في السماءِ لاشمساً ولاقمـراً ولانجمًا يقطع السماءَ عرضاً إلا الشعرى . فعبدها وخالف بذلك قومه ، فشبهت قريش به النبي ﷺ ، وكانت العرب تقول : لايخالف أحد إلا لعرق نزعه .

فولـدت قيلة لعبـد منـاف وهباً وأُهيبا وقيساً وأبا قيس ـ وهو راكب البريد ـ ثم مات عنها فخلف عليها الحارث ، فولدت له عبداً وعبد الله ، وهذا يخالف مافي غير الزبيري من أن وهباً أُمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة ابن هلال بن فالح بن ذكوان بن سليم ، وهي من العواتك من سليم اللاتي افتخر النبي ﷺ بهن يوم حنين قال : «أَنَا ابْنُ الْعَوَاتِكِ مِنْ سُلَيْمٍ» . وقد تقدم الكلام عليهن .

مِنْ صُلْبِـهِ أَيْضـاً سَوادُ الْكَـاهِنَةْ

تَكَـهَّـنَـتْ بِالْمُـصْــطَفَىٰ لآمِنَـةْ

أَرَادَ وَأْدَهَــا فَعَــاقَ الــدَّافِـنَـةْ

صَوْتٌ حَمَاهَــا أَنْ تَكُـونَ حَائِنَـهْ

ومن ولد زهرة أيضاً لصلبه ، أي بلا واسطة بينهما ، بنت سواد بنت زهـرة وكـانت كاهنـة ، ومن كهانتها أنها قالت يوماً لقومها : اعرضوا علي جواريكم أنظر فيهن . فعرضوهن عليها فنظرت إلى آمنة وصعَّدت فيها النظر وصوبته ثم قالت : ستلد هذه الجارية نبياً من أمره كذا .

وقوله : أراد وأْدها ، أي زهرة لما ولدت بنته هذه أراد وأْدها ، فأمر بها النساءَ فعاق ـ أي صرف ـ التى تريد دفنها صوت ناداها : لاتفعلي فإن لها لشأْناً . فحماها أي منعها ذلك الصوت من الوأْد . وقوله : حائنه أي هالكة ، وهي جدة أبي لهب لأمه ، وهي أم هند بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، وهند أم لبني بنت هاجر الخزاعية أم أبي لهب .

وَالْأَسْـوَدُ ابْنُ خَالِـهِ عَبْـدِ يَغُوثْ

أبى النبيَّ جَبْرَئِيــلُ أَنْ يَغَـوث

فَدَقَّ صُلبَـهُ وكَـانَ اسْـتَهْـزَءَا

وَقِيـلَ بالسَّمُـومِ الْاسْـوَدُ انْفَأى

وَقَـدْ تَبَـنَّى الْأَسْـوَدُ المِقْـدَادَا

وَلِـبَـنِي بَهْرَاءَ عَنْـهُ حَادَا

وأما الأسود ابن خال النبي ﷺ عبد يغوث ، فقد اشتهر بالكفر لأنه من المستهـزئـين بالنبي ﷺ واشتهـر ابنـه عبد الرحمن بن الأسود بالصحبة والصلاح والعز في قريش ، وكانت عائشة لاترده في شفاعة لمكانته عندها ، وشفعته في ابن الزبير حين حلفت لاتكلمه ، وضاقت الأرض بابن الزبير ، وخضع لها كل الخضوع ، واستشفع إليها ببني هاشم حتى استشفع لها بعبد الرحمن والمسور بن مخرمة ، وكانت عائشة تكرم بني زهرة لخئولة النبي ﷺ وكان عبد الرحمن ممن ذكر أبو موسى وعمرو بن العاص في الحكومة أن يولوه ويخلعوا علياً ومعاوية .

وقوله : أبى النبي إلى آخره . يعني أن الأسود كان من المستهزئين ، فحنى جبريل ظهره ، والنبي ﷺ ينظر فقال : **«ياجِبْرِيلُ ، خَالِي خَالِي»** ، **فقال : دَعْهُ عَنْكَ** . ودق صلبه أي كسر ظهره ؛ وقوله : وقيل بالسموم الخ . معناه أنه روي أن سبب موته أنه خرج في حاجة له فأصابته السموم ـ وهي الريح الحارة ـ حتى غيرت لونه ، فأتى أهله فلم يعرفوه لتغيره بتلك الريح

فلم يزل يستسقيهم وهم لايعرفونه ولايفهمون مايريد حتى مات ، وذلك قول البوصيري :

ودهى الأسود بن عبد يغوث

أن سقاه كأس الردى استقساءً

وقوله : وقد تبنى الأسود المقداد ، يعني به المقداد بن الأسود البهراني ، كان حليف بني زهرة وتبناه الأسود هذا حتى كان يقال له : المقداد ابن الأسود ، إلى أن نزل : ﴿ **ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ** ﴾[1] فقال : أنا المقداد بن عمرو . وعليه نزل وفد بني بهراءَ بالمدينة ، فأضافهم وأتحفهم أول يوم بمائدة حيس ، أصابوا منها ماأصابوا وأسأروا ماأسأروا ، فبعث المقداد بسؤرهم إلى النبي ﷺ مع سدرة مولاة ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وكانت ضباعة تحت المقداد فقال النبي ﷺ : «**هُنَالِكَ أَبُو مَعْبدٍ يَاسِدْرَةُ**» يعني المقداد وهي كنيته من غير ابن وكان لايولد له ، فقالت : نعم . فأكل ﷺ مع إحدى نسائه من المائدة ، فارتفع الطعام فيها فقال ﷺ : «**احْمِلِي يَاسِدْرَةَ إلَىٰ أَبِي مَعْبدٍ**» فأكل المقداد وضباعة فلم ينقصاها شيئاً ، ففطن المَقداد للبركة التى نزلت بالمائدة بأكل النبي ﷺ فأمسكها ، وصار كل يوم يبعث بها إلى أضيافه وفد بني بهراءَ فيشبعون منها وتعود كما كانت إلى أن ارتحلوا ، فقالوا له : يامقداد ، كنا نسمع عن بلدكم قلة الطعام وقلة الزرع وأنت تأتينا كل يوم بهذه المائدة من الحيس ، فأخبرهم خبر المائدة وأكل النبي ﷺ منها ، فتعجبوا وازدادوا إيماناً .

لقد شهد المقداد بدراً ومابعدها وشهد حروب القادسية وفتح مصر ، وهو الذي يقرأ على الصحابة إذا تهيئوا للقتال في الفتحات سورة «**إِنَّا فَتَحْنَا**

---

(١) سورة الأحزاب : ٥

لَكَ فَتْحاً مُبِيناً»[1] مات المقداد في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه عثمان ودفن بالمدينة . وقولي : إنه لايولد له . وجدنا ذلك في عدة كتب ، وسمعناه من أهل العلم . والله تعالى أعلم .

وَمِنْهُ وَهْبٌ وَأُهَيْبُ وَلَدَا
آمِنَةً وَهَالَةً وَسُوِّدَا

أي ومن بني عبد مناف بن زهرة وهب وأهيب ابنا عبد مناف ، وقد سادا بما ولدا ؛ أما وهب بن عبد مناف فقد ساد بآمنة أم النبي ﷺ ، وأما أهيب فقد ساد بابنته هالة بنت أهيب أم حمزة بن عبد المطلب ؛ تزوجها عبد المطلب يوم زوج عبد الله بآمنة ، فحملت بحمزة أوان حمل آمنة بالنبي ﷺ فكان حمزة ترب رسول الله ﷺ وابن خالته وعمه ورضيعه ، أرضعتهما ثويبة وحليمة ، وكان صاحبه ونقيبه ووزيره ونجيبه قال ﷺ : «لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَطُّ إلَّا أُعْطِيَ سَبْعَةَ رُفَقَاءَ وُزَرَاءَ وَنُجَبَاءَ وَأُعْطِيتُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ» . ذكرهم . ونظمتهم بقولي :

لكل واحد من الرسل يرى
سبعة رهط رفقا ووزرا
ولرسولنا العظيم القدر
أربعة عشر شموس الظهر
علي حمزة أبو بكر عمر
والحسنان جعفر بدر الزمر

(١) سورة الفتح : ١

سلمان مقداد أبو ذر بلال
حُذيْفُ عمار ابن مسعود الجبال

وَأُمُّ أُمِّ المُصْطَفَىٰ إِذْ تُعْزَى
بَرَّةُ بنْتُ الْقَرْمِ عَبْد الْعُزَّى

سَلِيلِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ
أُخْتُ أَبِي طَلْحَةَ ذي الفَخَارِ

وَأُمُّهَا أُمُّ حَبِيبٍ تُعْزَى
لأسَدٍ سَلِيلِ عبد الْعُزَّى

وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ عَوْفِ
ابْنِ عُبَيْدِ بْنِ عويجِ الصّرْفِ

وأم برة بنت عوف من بني لحيان بن هذيل ، واسمها أُميمة بنت مالك ابن غنم ، وأُمها أيضاً من هذيل ، وهي بنت أبي قُلابة ، واسمه الحارث بن صعصعة بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وهو من أُقدم من قال الشعر . وهو القائل :

ان الرشاد وان الغنى في قرن
بكل ذلك يأتيك الجديدان

سعد بن أبي وقاص

ومِـنْــهُ سَعْــدُ بْنُ أَبِي وَقَّــاصِ
أَوْصَــاهُ عُتْبَــةُ أخــوهُ الْقَـاصِي

أَنْ يَأْخُــذَ ابْــنَ أَمَــةٍ لِزَمْـعَــةْ
وَالِــدِ سَوْدَةَ ورَامَ مَنْــعَــهْ

عَبْــدُ بْنُ زَمْعَــةَ وَحَكَّــمَا النَّبي
وقَــالَ : ياسَــوْدَةُ عَنْـهُ احْتَجِبي

وَاحْـتَجَبَتْ لِشَبْهِــهِ بِمَنْ دَعَــاه
وَظَـاهِــرُ الشَّرْعِ لِزَمْـعَــةَ نَمَاه

أي ومن عبد مناف بن زهرة سعد بن أبي وقاص ، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف ، وسعد من النفر الذين أسلموا على يدي أبي بكر وزيد ابن حارثة وعلي وبلال ، وهم : عثمان والزبير وسعد وابن عوف وطلحة بن عبيد الله . ولما شكى أهل الكوفة سعداً إلى عثمان وقالوا : إنه لايسري بالسرية ، ولايعطي بالسوية . وقال فيه عمرو بن سعدانة الأسدي : كان لايحسن الصلاة ، قال : أما أنا فأركد في الأولين وأخف في الأخرين . فقيل : تلك صلاة النبي ﷺ .

وقال : قد اراني ثالث ثلاثة في الإسلام ، وكنت في الشعب مع

النبي ﷺ فبينما أنا ذات ليلة أمشي إذ وطئت على شيء فأخذته ، فإذا هو رطب فابتلعته ، فوالله ما أدري ماهو إلى الآن ، وذلك لشدة مالقيت من الجوع . وجلست ليلة أبـول فسمعت صلصلة تحت البول ، فاستخرجت من تحت البول شيئاً يابساً من جلد بعير ، فغسلته وطحنته فاقتت به ثلاثاً . وكنت أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وفداني رسول الله ﷺ بأبيه وأمه ولم يقلها لأحد غيري ، ثم أصبحت بنـو أسـد تعـيرني في الـدين !! . يعني قول ابن سعـدانة ، ثم قال : اللهم إن كان كذباً فأطل عمره ، وأدم فقره ، وأكثر عياله ، وعرضه للفتن . فكان كذلك يغمز الجواري في الطريق وهو شيخ فيقلن : من هذا ؟ . فيقول : شيخ أصابته دعوة سعد .

وكان النبي ﷺ قال في سعد بن أبي وقاص : **«اللهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ»** . فكان لذلك مجاب الدعوة .

شهد سعد بدراً وجميع المشاهد بعدها ، وكان أحد الستة الذين جعل عمر إليهم أمر الشورى ، وأحد العشره المشهود لهم بالجنة ، وقال عمر لأهل الشورى : إن أصابت الإمارة سعداً فذاك ، وإن أصابت غيره فليستعن به من أصـابته ، فإني ماعزلته عن ضعف ولاخيانة . وكان عمر قد ولاه على فارس وقال : لايغرنك أنك صاحب رسول الله ﷺ ، ففتح الله على يديه القادسية . وقد اعتزل سعد حروب الفتنة ولزم بيته ، وقال لأهله : لاتخبروني بشيءٍ من أمر الناس حتى يصطلحوا على إمام . ثم مات بالعقيق على عشرة أميال من المدينة ، وحمل اليها على رقاب الرجال ، ودفن بالبقيع ، وصلى عليه مروان في ولايته على المدينة ، وذلك سنة خمس وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة ، وقيل ثلاث وثمانين . ولما احتضر دعا بخلق جبة من صوف وقال : كفنوني في هذه ، فإني لقيت بها الكثيرين يوم بدر . وهذا مدرك ، وكفن

بملبوسه للجمعة ؛ ولو تتبعنا ما وصل إلينا من أوصاف سعد الحميدة . لأفرغنا الدواة وأفنينا الآلات ، وأولى ما لم نسمع به .

والقاصي : البعيد ؛ يقال له ذلك لأنه أصاب دماً في قريش قبل الهجرة فأقصاه ذلك إلى المدينة ، ثم رجع إلى مكة ، وغزا مع قريش في أحد وفعل مافعل بالنبي ﷺ ثم أسلم على المشهور ، وأوصى أخاه سعداً أن يأخذ ابن وليدة لزمعة بن قيس بن عبد ودّ ، ولما أراد سعد أخذه منعه عبد الله بن زمعة أخو أمنا سودة بنت زمعة ، فتحاكما إلى النبي ﷺ فقال سعد : هو ابن أخي أوصاني أن آخذه . فقال عبد : هو أخي ولد على فراش أبي . فقال النبي ﷺ : «**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ وَاحْتَجِبي مِنْهُ يَاسَوْدَةُ**» أو كما قال ﷺ وذلك لما رأى من شدة شبهه بعتبة بن أبي وقاص .

ومافعله رسول الله ﷺ هنا هو مدرك الجمع[1] بين الشريعة والحقيقة ؛ فقد راعى الشريعة بإعطائه للفراش ، ولايصح نفي الأب ابنه من موطوءته أمة كانت أو حرة إلا بسبب ، وراعى الحقيقة بأمره سودة بالاحتجاب من أخيها لولا شبهه بمدعيه ، فكان أخاها في الشريعة وغير أخيها في الحقيقة ، وإنما نماه لزمعة لكونه ولد على فراشه من وليدته .

---

(١) وأيضاً يأتي الشيخ بجعجعته في الفرق بين الشريعة والحقيقة . وحسبنا الله ونعم الوكيل وليت شعري إن لم تكن الشريعة الغراءُ المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله حقيقة فأين الحقيقة ؟ . وإني لأحكم القارىء المنصف في حوار افتحه هنا بيني وبين الشيخ حماد في هذا الموضوع الذي تقدم ، إن جمح قلمي فيه في الكلام على عبد الله بن مسعود الهذلي ، فأقول ، وماتوفيقي إلا بالله . عليه توكلت وإليه أنيب :

تكرر من الشيخ حماد غفر الله لنا وله القول والاستدلال على أن الشريعة شيء وأن =

= الحقيقة شيء آخر ، وتكرر مني رد ذلك ، والآن وقد ظهر الاختلاف الواضح فيما بيننا فلنرجع إلى ماأوجب الله علينا الرجوع اليه بقوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ سورة النساء : ٥٩ .

إن الحقيقة باعتبار أنها فعيلة من الحق الذي هو ضد الباطل ، لاأظن بمن يؤمن بالله واليوم الاخر أن يجعلها تخالف الشريعة ، ولظني بالشيخ حماد أنه يعتقد أن الشريعة هي الحق وأن ماسواها الباطل .

وإن اعتبرنا الحقيقة من حيث المعنى الاشتقاقي اللغوي انها فعيلة ، من حق الشيءُ يحق إذا ثبت بنفسه ، وإنها بهذا المعنى فعيل بمعنى فاعل ، أو أنها فعيل بمعنى مفعول إذا أثبته غيره ، فلا أرى مسلمًا يخالف أن الشريعة بهذا المعنى حقيقة ثابتة أثبتها الله ورسوله بحكمة بالغة وعدل وصدق .

يبقى للحقيقة معناها الاصطلاحي عند أهل البلاغة ولا أراه في محل النزاع ؛ إذ هي عندهم الكلمة التي استعملتها العرب في معنى وضعتها له ؛ كالأسد مثلاً في الحيوان المفترس ذي البراثن ، وظني حسن بمن يدعي الإسلام أن لايرى ألفاظ الكتاب والسنة بمثابة المجاز بالنسبة إلى أذواقهم الوجدانية ، نعيذ بالله كل مؤمن من ذلك .

وعندما نرجع لتحكيم الكتاب والسنة بيننا في الموضوع نجد أن القرآن العظيم يقول : ﴿وَمَاآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ سورة الحشر : ٧.ويقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة النور : ٦٣ وقال في حقه ﷺ : ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ سورة النور : ٥٤.وقال ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ سورة النجم : ٣ ، ٤.وقال : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ . لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ سورة الحاقة : ٤٤ - ٤٦.وقال في كتاب الله : ﴿ إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ سورة الاسراء.وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ سورة النحل : ٨٩ =

= فهلا كانت هذه الكلية شاملة لكل مايحتاجه الخلق لدنياهم وآخرتهم ؟. فلماذا إذاً التشريع بالوجد والذوق ؟ والعي عن التعبير عن ذلك ، والاكتفاء في الرد بالتعمية والغموض وقولهم:

لكنه بدون ذوق ماذُري والذوق فيه مغن عن معبرِّ

والله تعالى يخاطبنا بكتابه العزيز ، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه قائلاً جل وعز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة العنكبوت : ٥١ . ويقول جل وعز : **﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾** سورة الاسراء : ٩ . ويقول تبارك وتعالى : **﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** سورة الاعراف : ٥٢ . فأين يريد هؤلاءِ أهلُ الأذواق الوجدانية التي يشرعون بها تشريعات ماأنزل الله بها من سلطان ؟! .

وسؤالي هو : مارأي المنصف الكريم ؛ فيمن دعي إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله في الموضوع ، واستجلبنا من كتاب الله وسنة رسوله ماتقدم بعضه على وجوب تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في أن الشريعة هي الحقيقة الواجب اتباعها ونبذ ماسواها ، ووقف حماره هو في العقبة يجعجع بقول مشرعه : لكنه بدون ذوق ماذُري البيت ؟!! . وتارة يكتفي بقوله : أنت محجوب . ونحو ذلك ؟! . مارأي المنصف فيمن هذه حاله إذا اعتبرنا مفهوم الشرط هنا ـ وهو معتبر قطعاً ـ من قوله تعالى : **﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾** سورة النساء : ٥٩ . إن الموقف هنا صعب والعقبة كأداءُ ، ومن يضلل الله فما له من هاد ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . على أن مسألة عبد بن زمعة وسعد بن أبي وقاص ، التي حاول حماد أن يجعل منها مدركاً للفرق بين الشريعة والحقيقة ، غير صالحة بتاتاً للاحتجاج بها في الموضوع ؛ لأن النبي صرح فيها بحكم المسألة الشرعي الثابت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ وهو أن الولد للفراش ، وهو حكم رفع ماكانوا يفعلونه في جاهليتهم ؛ وهو أن البغي إذا فعل بها أحد وادعى حملها ألحقوه به إن صدقته من غير نظر إلى الفراش الواقعة عليه ، وإذا تعاقب عليها جماعة كان لها الخيار فيمن =

= تلحقه به منهم ، وعلى ذلك الأساس أوصى عتبة بن أبي وقاص أخاه أن يأخذ ابن وليدة زمعة لعلمه أنه فعل بها ، ولما كان هذا الحكم رفع ، وألحق الولد بالفراش إلى الأبد حكم به النبي ﷺ لعبد بن زمعة .

وأما قوله لسودة : «احْتَجِبي مِنْهُ يَاسَوْدَةُ» . فهو على سبيل الورع والاحتياط ، ولأن المسألة لها سببان ، كل واحد منها موجب لإلحاق الولد بصاحبه ، وهما الفراش والقافة ، فقدم الفراش لقوة سببه شرعاً ، لأن صاحبته فراش لصاحبها بملك اليمين ، ولاأساس يستند عليه المدعي غير أنه سافح من لايملك عصمتها ولايمينها ، ومن المعلوم ضرورة أن النبي ﷺ يجري الأحكام على ظواهرها ، ويكل بواطنها إلى الله لأنها غيب ، ولايعلم رسول الله ﷺ من الغيب إلا بقدر ماأطلعه الله عليه ، ويؤيد ذلك قوله ﷺ كما رواه عنه مالك وأحمد والستة عن أم سلمة : «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَىٰ نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ فَلَا يَأْخُذَنَّهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ» .

ولعل قضاءه بين عبد بن زمعة وسعد بن أبي وقاص من هذا النوع ، وأعود فأقول مرة أخرى إن نهيه لأمنا سودة عنه كان من باب الورع والاحتياط للدين ، لما رأى من شبهه بمن ادعاه ، ومعلوم أن القافة أصل لإلحاق النسب كما أقر ﷺ على ذلك مجززاً لما قال في أسامة وزيد بن حارثة : هذه الأقدام بعضها من بعض . فحكم بالولد للفراش لقوة سببه ورأى الشبه فنهى سودة عنه ، ولايظن برسول الله ﷺ أن يعلم أن حقيقة الأمر في شيء ويقضي بنقيضه ، فيتعين أن يكون حكمه هو الشرع ، وهو حقيقة ماينبغي أن يكون في الموضوع ، لأن الشيءَ إما حق وإما باطل ، ولا واسطة بين الحق والباطل لقوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ سورة يونس : ٣٢ .

فلم يبق لمن يقول : الشريعة في كذا والحقيقة في كذا ، ويفرقون بينهما ، لم يبق لهؤلاءِ إلا دعوى معرفة الغيب من بواطن الأمور مما كان يكله رسول الله ﷺ إلى الله ، متحدين بذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَايَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾ =

أَسْــلَمَ عُتبَــةُ عَلَى رَأْيٍ وَقَــدْ

صَحِبَ هَاشِمُ ابْنُـهُ الْقَرْمُ الأَسَدْ

بَزَّ جَلَوْلَاءَ وَفِي صِفِّــين

برجْــلِهِ ذَبَّ عَنِ الْمِــسْــكِــين

وَشَهِــدَ الجْمَـل وَالْـيَرْمُـوكَ فِيـهْ

أَعْمَتْ بَنُو الأَصْفَرِ إحْدَىٰ مُقْلَتَيْه

=سورة النمل : ٦٥ وقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ﴾ الآية سورة الجن : ٢٧ . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ سورة الأعراف : ١٨٨ إلى غير ذلك من الآيات .

وكأني بمن أعمى الله بصيرته يجادل بباطله ليدحض به الحق ، ويكثر من الجدل والخصومة في سبيل ذلك ، لتجر عليهم هذه الآية ذيلها وهي قوله تعالى : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَروا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ الآية سورة الكهف : ٥٦ ، نعم ، تجر ذيلها عليهم وهم من المحسوبين على الاسلام ، لأن االعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب كما هو معروف ، ألا ترى إلى قصة مجيء رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما فوجدهما نائمين فقال : «ألَا تُصَلِّيَانِ» ؟ . فقال علي : يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاءَ أن يبعثنا بعثنا . فانصرف رسول الله ﷺ وهو يقول : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾ سورة الكهف : ٥٤ فإيراده ﷺ هذه الآية على قول علي هذا دليل على أن العبرة في عمومِ اللفظ لابخصوص السبب . والحديث مشهور متفق عليه .

ونختم هذا ـ والله نرجو حسن الخاتمة ـ بأن الشريعة هي الحقيقة ، وأن ادعاءَ أن هناك شريعة وهناك حقيقة غيرها هو من الباطل الذي يوحي به الشيطان إلى أوليائه والله ولي التوفيق .

عتبة بن أبي وقاص وقوله : على رأي أورده بصيغة التمريض ، وقد قدمنا أنه على المشهور ؛ لأن بعض الكتب جزم بذلك كالإصابة والزبيري وغيرهما ، وأما هشام بن عتبة فإنه من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ . والقرم : السيد ، وجلولاءَ بلدة ، وبزها أي هاشم بن عتبة بعد أن شهد القادسية وأبلى فيها بلاءً حسناً ، ويسمى فتح جلولاء فتح الفتوح . بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف ، ثم شهد الجمل وصفين مع علي . وهذا كله بعد أن أبلى بلاءً حسناً في اليرموك ، وفقئت فيه إحدى مقلتيه ، وقتل يوم صفين ؛ قطعت رجله فجعل يقاتل وهو بارك يقول : الجمل يحمي شوله وهو معقول . والمسكين : يعني نفسه ، وفيه إقامة الظاهر إقامة المضمر أي ذب عنه لأنه قاتل بها ورمى بها رجلاً فصرعه ، ولم يزل يقاتل ويقول :

أعور يبغي أهله محلاً

قد عالج الحياة حتى ملاَّ

لابد أن يفلَّ أو يُفَلاَّ

وقتل رضي الله عنه يوم صفين مع علي رضي الله عنهما .

وَأُمُّ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصِ

بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ ذِي الْمِصَاصِ

مِنَ الْعَنَابِسِ وَحِينَ أَسْلَمَا

آلَتْ عَنِ الْمَذَاقِ بِنْتُ الْعُظَمَا

أَوْ يَرْفُضَ الـدِّينَ لَهَا فاسْتَعْصَـا

فَأَنْــزَلَ اللهُ : فَلَا تُطِعْــهُــمَا

واسمها حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وهي أيضاً أم أخويه عامر المهاجر إلى الحبشة ومحمد[1] الذي غزا بدراً ، فأراد النبي ﷺ أن يرده فبكى فأمضاه ، فاستشهد ببدر وهو ابن ثمان عشرة سنة . والمصاص : هو الخالص . والعنابس : هم بنو أمية غير الأعياص ، وهم حرب وأبو حرب وعمر وأبو عمر وسفيان وأبو سفيان ، يعني أن حمنة هذه لما أسلم سعد حلفت لاتذوق ذواقاً حتى يرفض لها سعد دين محمد ، فامتنع سعد مما أرادت وأنزل الله القرآن موافقاً سعداً وهو قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً ﴾[2] إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ ، ويفهم من هذه الآية تعظيم شأن الوالد لأنه تعالى قال ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ولم يقل : فجاهدهما . ولا : فقاتلهما . بعد أن قدم الايصاء بهما ثم قال : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً ﴾[3] تأكيداً للإيصاءِ بالإحسان ، وهذا في حق المشرك فكيف بالمسلم ؟! . ثم أسلمت أم سعد حمنة بعد ذلك فكانت صحابية .

عَمْــرو بْنُ سَعْــدٍ غَالَــهُ الْمُخْتَــارُ

نَجْــلُ أَبِي عُبَــيْــدٍ الْجَــبَّــارُ

---

(١) الذي استشهد ببدر من بني أبي وقاص هو عمير بن أبي وقاص ، كما ذكره الواقدي في مغازيه وقال : إنه ابن ست عشرة سنة ، وليس في شهداءِ بدر من اسمه محمد البتة . والله الموفق .

(٢) سورة العنكبوت : ٨

(٣) سورة لقمان : ١٥

أَنْ كَانَ أَغْرَىٰ بِالْحُسَيْنِ ابْنَ زِيَادْ

وَابْـــنُ زِيَـــادٍ كَانَ أَغْــراهُ وَزَادْ

غاله : قتله . والجبار : صفة للمختار . والحسين : هو السبط رضي الله عنه . وابن زياد هو عبد الله بن زياد بن أبيه ، يعني أن عمرو بن سعد ابن أبي وقاص ـ وأمه من كندة ـ قتله المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي صاحب الجسر [يعني أبا عبيد صاحب الجسر] وكان المختار ينتصر لآل رسول الله ﷺ مع كفره ، فقد كان يدعي أموراً لاتكون إلا للأنبياءِ ، منها أن الملائكة تطاوعه فيما يأمرهم به ويقاتلون معه . وقال ﷺ : «يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» . وقالت أسماءُ للحجاج : أما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد ،

اغراء عمرو بن سعد لابن زياد على الحسين

وأما المبير فلاأراه إلا أنت . وكان أبو عبيد صحابياً من الصالحين ، واستشهد يوم جسرة ؛ برك عليه الفيل بعد أن أوجع في المشركين فقتله ، ولكن ابنه يذكر بالكفر والسحر مع دعواه حب آل االنبي ﷺ وانتصاره لهم ، ثم غزاه مصعب ابن الزبير لكفره فقتله ، وهو من الذين خالفوا آباءَهم كعمرو بن سعد هذا وعمرو بن سعيد بن العاص وعمرو بن الزبير ، وإغراءُ عمرو بن سعد لابن زياد أن الحسين رضي الله عنه وعده أهل الكوفة بالبيعة ، فسار إليهم في ثلاثين من أهل البيت ، فلما قرب منهم تثبط ، وأرسل إليهم مسلم بن عقيل ابن أبي طالب ليأخذ له البيعة عليهم ، فقدم عليهم ابن زياد متنكراً متلثمًا ، فجعل كلما مر على ناد وسلم عليه يقولون : وعليك السلام ياابن بنت رسول

الله ﷺ . حتى دخل المسجد فصعد المنبر فبايعوه ، فحسر عن لثامه فإذا هو ابن زياد فاستمروا على بيعته ليزيد بن معاوية ، واختفى مسلم بن عقيل ، فدل عليه ابن زياد فقدمه للقتل ، فنظر مسلم إلى عمرو بن سعد فساره وقال : ليس في القوم قرشي غيرك ، فاذهب إلى الحسين بمكان كذا في ثلاثين من أهل البيت فأخبره الخبر ، فلما قتل مسلم قال عمرو بن سعد لابن زياد : أتدري ماسارّني به ؟ . قال : اكتم على ابن عمك . قال : الأمر أجلّ من ذلك . فأخبره . فقال له ابن زياد : أما إن لم تكتم عليه فلا يتولى قتل ابن عمك غيرك . فبعثه على جيش الشقاوة ، الذي قتل الحسين وأصحابه ، منهم علي الأكبر بن الحسين والعباس وأبو فروة وعبد الله وعثمان وجعفر بنو علي ، أمهم من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقوله : وزاد أي زاده على الإغراء بأن وعده أن يوليه .

رِيئتْ بِدَيْرٍ أَرْؤسٌ رَأْسُ الحُسَيْنْ

بَيْنَ يَدَيْ نَجْلِ زِيادٍ اللَّعِينْ

ورَأْسُ ذَا بَيْنَ يَدَيْ مُنْتَصِرِ

مَعْ كُفْرِهِ لآلِ خَيْرِ مُضَرِ

وَرَأْسُ هٰذَا السَّاحِرِ المَرِيدِ

وَهْوَ الْكَذُوبُ ابْنُ أَبي عُبَيْدِ

بَيْنَ يَدَيْ مُصْعَبٍ النَّدْب الأَغَرْ

وَرَأْسُ ذَا بَيْنَ يَدَيْ رَشْحِ الْحَجَرْ

فَاسْتَشْــأَمَ الــدّيْـرَ وَهَـدَّهُ الْمَلِكْ

خَوْفـاً مِنْ انْ يَكونَ خَامِساً نُهكْ

يشير إلى أن عبد الملك بن مروان حين قتل مصعب بن الزبير ، كان جالساً بدير بالكوفة ، فأتي برأس مصعب بن الزبير ، فأتاه رجل لم يسمَّ وقال : ياأمير المؤمنين ، رأيت بهذا الدير رأس الحسين بين يدي ابن زياد في إمـارة يزيد بن معاوية ، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ، ثم رأيت رأس ابن أبي عبيد بين يدي مصعب بن الزبير ، ورأيت اليوم رأس مصعب بين يديك . فالتفت إليه وقال : لاأراك الله خامساً . وأمر بهدم الدير من أصله خوف أن يرى رأسه فيه بين يدي أحد بعده .

وقوله نُهك ، أي غلبه سلطان آخر ، واللعين : المبعد من رحمة الله وتقال لمن يلعنه الناس كثيراً . ووصف به ابن زياد لقتله الحسين رضي الله عنه . والندب : الظريف . والأغر : السخي الكريم ، ورشح الحجر : هو عبد الملك ؛ سمي به لبخله . على أنه يعطي قليلاً عطاءً مثل رشح الحجر .

تنبيه : كان الذي أتى عبد الملك بن مروان برأس مصعب هو عبيد الله بن زياد بن ظبيان التميمي ، من بني تيم الله بن ثعلبة ، ولما وضعه بين يديه خر ساجداً ، وكان عبيد الله يقول : ماندمت على شيءٍ أكبر مما ندمت على أني حين سجد عبد الملك لم أقتله ، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد .

وهــكَــذَا مَخْرَمَــةُ بْنُ نوْفَــل

وَإِذْ إِلَىَ المِسْــوَرِ نَجْـلُهُ الْعَــلِي

أَرْسَــلَ يَخْطُبُ الْمُـثَـنَّـى رَدَّهُ

إِذْ بِنْتُ عَمِّـه الحُسَـيْنِ عِنـدَه

وهكذا إلى قوله : ومنه سعد بن أبي وقاص ؛ أي ومن بني عبد مناف ابن زهرة أيضاً مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ؛ أسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة بخمسين بعيراً ، وكان من أكابر قريش وأعلمهم بالأنساب ، وممن بعثهم عمر يحدون الحرم وينصبون أنصابه ، وممن عاش في الجاهلية ستين وفي الإسلام ستين ، وابنه المسور كان من أفاضل الصحابة ، أمه عاتكة بنت أخت عبد الرحمن بن عوف لأبيه وأمه أسلمت وهاجرت ، وكان المسور ممن يلزم عمر بن الخطاب ويحفظ عنه ، وكان ذا مكانة عند عائشة ، ومن أهل الفضل والدين ، ولم يزل مع خاله عبد الرحمن بن عوف مقبلاً ومدبراً في أمر الشورى حتى خلع عبد الرحمن نفسه .

وقوله : وإذ إلى المسور ، يعني أنه خطب عنده الحسن المثنى إحدى بناته فرده اتقاءً لما تكرهه فاطمة بنت الحسين ، لأنها حينئذ تحت الحسن المثنى . وخطب علي يوماً على المنبر وقال : أيها الناس إن الحسن يخطب عندكم ولياتكم ، ألا فاعلموا أن الحسن مطلاقٌ . فقال المسور : ياأمير المؤمنين ، والله لو أرادهن الحسن بالوأد مارددناه . فسرَّ علي بذلك ، وكان المسور بالمدينة إلى أن توفي معاوية ، فكره بيعة يزيد ، فانحاز إلى مكة فلم يزل في حصار ابن نمير ، فأصابه حجر من أحجار المنجنيق الذي رمى به ابن نمير الحصين الكعبة فقتله .

وقوله إلى المسور متعلق بأرسل ، وضمير رده يعود إلى المثنى ، وفاعله ضمير يعود إلى المسور .

وبِـنْـتُ عَوْفٍ أمـه الـشَّـفَّـاءُ

قَابِـلَةُ في قَوْلِهَـا شِفَـاءُ

تبع رحمه الله في بيته غلط بعض الكتب في قولهم : أن قابلة النبي ﷺ أخت عبد الرحمن بن عوف ، وذلك لايصح ، لأنها إن لم تكن أصغر من النبي ﷺ كانت معاصرة له ، ولايمكن أن تكون أسن منه بما يمكن به أن تكون قابلة له ، وقد أدى بهم إلى ذلك الغلط نسبتها إلى عوف ، وليس عوفها بعوف عبد الرحمن ، وإنما هو عم أبيه ، فعبد الرحمن بن عوف بن الحارث ، وهي الشفاء بنت عوف ، بنت عم أبيه ، وأيضاً فإنها هي التي يصح أن تكون قابلة النبي ﷺ ، وأما أم المسور فإن اسمها عاتكة بنت عوف كما تقدم قريباً .

وَأُمُّ مَخْرَمَـةِ الْـعَـلِيِّ

رُقَـيْـقَـةُ بِنْـتُ أَبِي صَفِـيِّ

وَهْيَ الَّتِي رَأَتْ لِعَبْـدِ الْمُـطَّلِبْ

رُؤْيَا بِهَا الْجَدْبُ عَنِ النَّاسِ سُلِبْ

رقيقة ـ بصيغة التصغير ـ بنت أبي صفي بن هاشم بن عبد المطلب ، بنت أخي عبد المطلب ، وهذه الرؤيا مشهورة في الكتب حتى أجاب بعض العلماءِ من سأله عن قول أبي طالب :

وأبـيض يسـتـسـقى الغـمام بوجهـه

ثمال الـيـتـامى عصـمـة للأرامـل

واستسقاءَات النبي كلها بالمدينة بعد موت أبي طالب ، وبعد الهجرة التي كانت بعد موته بثلاث سنين أو أكثر على قول ، فقال المسئول : يعني أن أهل مكة أقحطوا ، فرأت رقيقة بنت أبي صفي في المنام قائلاً يقول : ألا هلموا للحيا والخصب . فقام إليه الناس قالوا : وما تقول ؟ . فقال : ليقم رجل طوال فضفاض له شرف يعظم عليه ، ألا فليعتضد ابن ابنه وليمس من طيب ، وليطف بالبيت ، وليخرج إلى أبي قبيس ، وليأت مع البطحاءِ وهو يدعو والناس يؤمنون على دعائه ، فكان كل من قصت عليه هذه الرؤ يا يقول : هذا شيبة الحمد . فخرج شيبة معتضداً النبي ﷺ وهو غلام ، ففعل مافي الرؤ يا ، فما أتموا أمرهم حتى مطروا مطراً عجيباً فقالوا في ذلك :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا

وقد فقدنا الحيا واجلوَّذ المطر

وبذلك يعني أبو طالب .

هُنَا انْتَهَى عَبْدُ مَنَافٍ الَّذِي

يَبْأَى بِأَنَّ مِنْهُ أَحْمَد احْتُذِي

يبأى : يفتخر ، وقال جعدة :

ومن ذا الذي يبأىٰ عليءِ بخاله

كخالي علي ذي الندى وعقيل

واحتذي معناه قطع أي خرج منه ، يعني أن عبد مناف بن زهرة أبا القبيل الذي يفتخر ـ وحق له ـ بأن أحمد ﷺ خرج منهم ، لأن آمنة بنت وهب ابن عبد مناف .

وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ عَبْدُ عَوْفِ
جَدِّ ابْنِ عَوْفٍ الْأَمِينِ الصِّرْفِ
وَمِنْ بَنيهِ السَّادَةُ الصَّفِيُّ
سَلَمَةٌ وَمُصْعَبُ الْأَبِيُّ
فَرَّ إِلَىٰ أَبِي خُبَيْبٍ بِالْحَرَمْ
إِذِ اللَّطِيمُ بالمدينة أَلَمْ
وَرَامَ مِنْهُ أَنْ يَهُدَّ دُورَا
آلِ النبيِّ فَأَبىٰ المَحْظُورا
ومَاتَ في حِصَارِه وكَانَا
يَشُبُّ وَثْباً لَمْ يَكُنْ يُدَانَىٰ
أَوْصَىٰ ابنُ عَوْفٍ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ
لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ اهْلِ بَدْرِ
وَهُمْ زُهَاءَ مِائَةٍ بِأَرْبَعِ
مِائَةِ دِرْهَمٍ وَمَالُ الْأَلْمَعي

لِكثْـرَةٍ أَيْـدِي الـرِّجَـال مَجِلَتْ
في قَلْعِــهِ وَبِــالفئـوس عَمِلَتْ
أَوْصَــىٰ بِأَلْفِ فَرَسٍ تَصَــدَّقَــا
بِضِـعْـفِهَــا وَبنَـوَاةٍ أَصْــدَقَــا
لِفَــقْـرِه عِنْــدَ مَجِيءِ يَثْــرِبِ
وَخَــلْفَــهُ لِفَـضْـلِهِ صَلَّىٰ الـنَّبِي
وَتَحْــتَــهُ غَزَال بِنْــتُ كِسْرَىٰ
وَذَاتُ نَعْشٍ حَجَـبُـوهُ سَتْرَا
لِشَـحْـمِهَــا وَقَــدْ تَأَذَّى عُمَــرُ
بِهِ وَمِـنْ هُنَــا الـنِّـسَــاءُ تُسْــتَرُ
وَحِمْــنَــةُ وَأُمُّ كَلْثُــومٍ نَزَلْ
أَلَّا تُعَــادَ لِقُــرَيْشٍ فَقَــفَــلْ
عَنْهَــا الْــوَلِــيــدُ وَعُــمَارَةُ فَما
بهَا إِلَــيْـهِـمْ رَجَـعَــا إِذْ قَدِمَــا

عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، هو جد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ، وكان اسمه عبد عمرو فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن ؛ أسلم قديمًا

على يدي أبي بكر مع الرهط الذين دعاهم أبو بكر للإسلام فأجابوا ، ووصفه النبي ﷺ بالأمين بقوله : «**ابْنُ عَوْفٍ أَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الأَرْضِ**» . والصرف ـ بالكسر ـ هو الخالص لأنه خالص النسب من الهجنة ، وخالص الإيمان من النفاق ، وخالص الأعمال من الرياءِ ، ومن كل ما يذم ، شهد بدراً وجرح فيها برجله وكان يعرج منها ، ثم شهد أحداً وجرح فيها واحداً وعشرين جرحاً ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وبعثه إلى كلب بدومة الجندل ، وعممه زيد بن حارثة فحلها النبي ﷺ وعممه بيده، واستدل منها ذراعـاً بين كتفيه وقال له : «**سِرْ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ عَلَيْكَ**» فتزوج ابنة ملكهم فأسلم الحي ، وتزوج ابنة ملكهم تماضر بنت الأصبغ وهي أول كلبية تزوجت من قريش في الإسلام ، فولدت له سلمة بن عبد الرحمن ، وهو أحد فقهاءِ المدينة السبعة على قول بدل أبي بكر بن عبد الرحمن ، قال الزين العراقي :

. . . . والسـابـع ذو اشـتـبـاه
إمـا أبـو سلمـة أو سالم أو فأبـو بكـر خلاف قائـم

يعني أنه اختلف في السابع لهؤلاءِ الفقهاءِ ؛ هل هو أبو سلمة بن عبد الرحمن أو سالم بن عبد الله بن عمر ، أو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ؟ ثم خلف على تماضر بنت الأصبغ بعد عبد الرحمن خالد بن عقبة ابن أبي معيط فولدت له الأبي الذي يأبى الضيم . ويقال : آب من أباة . قال الشاعر :

رئـمـت لسـلمى بوًّ ضيـم وإنـني
قديـمًا لآب الـضـيـم وابـن أبـات

ومن آبائه ماذكر أنه فر إلى ابن الزبير بمكة ، وهو أميرها ، لما ألَمَّ أي

نزل اللطيم بالمدينة أميراً من جهة يزيد بن معاوية ، واللطيم : عمرو بن سعيد بن العاص ، سمي بذلك لأن الجن لطمته فصارت في شدقه رخوة . ويقال له أيضاً : الأشدق . فلما قدم عمرو المدينة ولى مصعباً شرطته وكان قبل ذلك والي شرطة مروان إذْ كان والياً لمعاوية ، فأمر الأشدق مصعباً أن يهد دور بني هاشم ، وأن يشد عليهم ، فقال : أيها الأمير إنه لاذنب لهؤلاءِ ، ولست أفعل . فقال : انتفخ سحرك ياابن أم حديث ـ وكانت أمه سبية ـ فألق عنك سيفنا . فرمى بالسيف وخرج ولحق بعبد الله بن الزبير ، وقتل في حصار الحصين بن نمير ؛ فقد خرج هو ومصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الى عسكر الحصين ليلاً ، فباتوا يقاتلونه ، فأصبحوا وقد قتلوا مائة رجل من أهل الشام ، وأصيب مصعب بن عبد الرحمن وكان معهم عبد الله بن مطيع فقتل أيضاً ، وكان مصعب بن عبد الرحمن يثب وثبات بين كل وثبتين اثنا عشر ذراعاً ، وكان جرح سيفه يعرف بين الجراحات ؛ لأنه كان أشد الناس بطشاً ، وأشجعهم قلباً ، وقد أصابه تلك الليلة سهم فمات بسببه رجل من جذام فقال :

فلله عينــا من رأى مثــل مصعـب
أعـف وأقـضـى بالكتــاب وأكــرمــا

وقـالـوا أصـابت مُصْعبـاً بعضُ نبلهم
فعــزَّ علينـــا من أصيـب وعَــزَّ مَا

وشـــد أبــو بكــر لنــا الــركن شدة
أبـت للحصــين أن يطاع فيعــزمــا

وقوله : في حصاره ، فيه التفات عن ضمير اللطيم إلى أبي خبيب المتقدم ذكره ، وذلك جائز إنْ عُلِمَ ، ومعلوم أن الحصار كان لابن الزبير ؛

ولم يذكر من بني عبد الرحمن إلا هذين وهم ثلاثة عشر ، ومات الرابع عشر في الجاهلية ، واسمه سالم ، وأمه أم كلثوم بنت عتبة بن ربيعة ، أما بنوه الإسلاميون فإن أكبرهم بنو أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهم : محمد وابراهيم وحميد واسماعيل . صحابة كلهم ، ولدوا على عهد النبي ﷺ ومنهم من ولد بعده ، وكلهم حمل عنه العلم ، وعروة بن عبد الرحمن أمه بنت هانىء ابن قبيصة ، وسالم الأصغر أمه سهلة بنت سهيل بن عمرو ، وأخوه لأمه محمد ابن أبي حذيفة بن عتبة ؛ وأبو بكر بن عبد الرحمن أمه من بني كنانة ، وعبد الله الأكبر أمه من بني عبد الأشهل ، وعبد الله الأصغر هو أبو سلمة ؛ وعبد الرحمن بن عبد الرحمن أمه أسماءُ بنت سلامة بن مخرمة أم عياش وأبي جهل والحارث بن هشام ؛ وعثمان عبد الرحمن أمه غزال بنت كسرى من سبي سعد ابن أبي وقاص يوم فتح المدائن ، وسهيل بن عبد الرحمن أمه حميرية وهو الذي يعني ابن أبي ربيعة بقوله حين تزوج الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكان ابن أبي ربيعة يتشبب من قديم بالثريا :

أيها المنكح الثريا سهيلاً
عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استهلت
وسهيل إذا استهل يماني

وزهاءَ معناه نحو . والألمعي معناه الذكي المتوقد . ومجلت يده : نفطت من العمل فصارت فيها جلدة رقيقة فيها ماءٌ ؛ وهي الدواحيس بالحسانية . وتصدقا منصوب بأن محذوفة ؛ وصى بأن يتصدق عنه بألف فرس ، وتصدق بضعف هذا المذكور ، لأنه رضي الله عنه كثير الأموال جداً ، وهو جواد بها في سبيل الله . وقدمت عليه يوماً عير سبعمائة بعير حاملة

المـيرة ، فلـم يدخـل عليه منهـا شيءٌ ، فقـد تصـدق بها وبأحمالها وأقتابها وأحلاسها ، ولم تنقص كثرة صدقاته كثرة ماله . قال عمر حين حمى الحمى: إياك وأنعـام ابن عوف وابن عفـان . ودخل يوماً على أم سلمة فقال : ياأماه ، هلكت كيف أصنع ؟ . أنا أكثر قريش مالاً . فقالت : يابني أنفق فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لاَيَرَاني بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ** » فلقي عمر فأخبره فجاءَ أم سلمة ، فقال : أنشدك بالله ، هل ذكرني منهم رسول الله ﷺ ؟ . فقالت : لا ، ولكن لاأبرىءُ أحداً بعدك . وكان عبد الرحمن يزرع في الجرف على عشرين ناضحاً ، فيدخر منه قوت أهله سنة ويتصدق بالباقي . وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً ، وماكان يعِدُّ ماله إلا للدار الآخرة ؛ كسد الثغور وتجهيز الجيوش في سبيل الله وغير ذلك من أنواع الـبر ، وكـذلـك كان عثمان وغيره من ذوي الأموال الكثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم .

وقوله : وبنواة أصدقا : أي بوزن نواة من ذهب ؛ وكان النبي ﷺ آخى بينه وبين سعد بن الربيع ، فقاسمه سعد ماله حتى نعليه ، وخيره بين زوجتيه لينـزل له عن أجلّهـا عنـده ، فقـال له : بارك الله لك في أهلك ومالك ، ولكن دلني على السوق ، ولم يأخذ منه شيئاً ، واشتغل بالتكسب مع الجهاد في سبيل الله حتى كثرت أمواله .

وقوله : وخلْفه لفضله صلى النبي ﷺ أي والصلاة التي صلاها ﷺ خلفه هي صلاة الصبح ، وذلك في السفر في غزوة تبوك ؛ اتفق أن خرج عنهم رسول الله ﷺ فاستبطؤوه ، فقدموا عبد الرحمن ، فلما صلى بهم ركعة أتى النبي ﷺ وأدرك الركعة الثانية ، فلما سلم قال : «**مَامَاتَ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يُصَلِّيَ خَلْفَ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ**» .

وقوله : وتحته غزال إلى آخره ، ، إنما ذكر أزواجه اللاتي جمع بينهن ، وأما من تزوجها وطلقها فنساءٌ كثيرة ، أما غزال فقد قدمنا قريباً أنها أم ابنه عثمان ، ولم يذكر لها غيره ، وأما ذات النعش فهي بادية [أو بادنة] بنت غيلان ابن سلمة الثقفية ، وهي التي وصفها المخنث هيث أو هنب ـ بكسر الهاءِ وبالتحية ـ ثم الفوقية أو بالنون والباءِ ـ لمولاه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، والنبي ﷺ حاضر يتجهز لغزو الطائف ، قال لمولاه : إن فتح الله لكم الطائف غداً فعليك ببادية بنت غيلان ـ بالياءِ أو بالنون ـ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، وبين رجليها كالقعب المكفوءِ ، إذا جلست تبنت ، وإذا مشت تثنت ، وإذا نطقت تغنت ، أعلاها قضيب وأسفلها كثيب ، مع ثغر كالأقحوان وثدي كالرمان . فقال النبي ﷺ : «**لاَيَدْخُلْ عَلَيْكُنَّ هِيثُ أَبَداً ، مَاكُنْتُ أَحْسَبُهُ إلاَّ مِنْ غَيْرِ أُولي الإِرْبَةِ**» ، فلم يؤذن في فتح الطائف ، وتزوجها عبد الرحمن بعد ذلك فولدت له جويرية بنت عبد الرحمن وولدت للمسور بن مخرمة ، وتوفيت بادية في خلافة عمر ، فخرج في جنازتها ، فلما رآها آذاه شحمها ، فأمر بضرب قبة عليها ، فكان ذلك مدرك شرع تغطية جنائز النساءِ . وأشار بهنا إلى ذكر هذا الحكم ، لأنه القريب ، وأما فعل عمر فالإشارة إليه بهناك لبعده ، وقد يراد بهناك الزمان كقوله :

وإذا الأمور تشابهت وتعاظمت

فهناك يعترفون أين المفزع

وحمنة التى تزوجها عبد الرحمن هي بنت جحش ، وهي التي كانت تستحاض في زمن النبي ﷺ ، وهي التي قتل عنها مصعب بن عمير وله منها بنت ولم يترك مصعب من الولد غيرها ، وهي التي قال فيها النبي ﷺ : «**إنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ لَبِمَكَانٍ عِنْدَهَا**» ، وذلك أنه نُعي لها أخوها عبد الله المجدع في الله

فاسترجعت ، ونعي لها خالها حمزة فاسترجعت ، ولما نعي لها زوجها مصعب ولولت ، فقال النبي ﷺ : «إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَة» الحديث .

وأما أم كلثوم فهي بنت عقبة بن أبي معيط أمها أروى بنت كريز ، وأخوها لأمها عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ لما رجع النبي ﷺ من الحديبية ، بعد أن أبرم مابينه وبين قريش ؛ على أن من جاءَ منهم مسلمًا يرده عليهم ، لحقت به أم كلثوم في الطريق مؤمنة ، وتبعها أخواها الوليد وعمارة يستردانها من النبي ﷺ فاراد ردها معهما فقالت : يارسول الله ، أتردني للكفار يفتنوني عن ديني ويستحلون مني ماحرم الله ؟! . فنزل قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾[1] . فاستحلفها رسول الله ﷺ ما هاجرت فراراً من زوج ولارغبة في دنيا وإنما هاجرت لله ، وذلك هو الامتحان الذي أمر الله به .

وقوله : فقفل أي رجع . ومارجع بأم كلثوم أخواها إلى قريش لما قدم عليهم ، فتزوجها عبد الرحمن بن[2] عوف فولدت له بنيه الذين ذكرتهم .

ومن ذرية عبد الرحمن المحدث المشهور بالأعرج واسمه عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن عوف ، ولم نقف على أم عمرو بن عبد الرحمن ، ولذلك لم أذكره في عددهم ولا في تسميتهم . ومن ذريته أيضاً رجل يقال له عاصم وكان يذكر بالبخل ؛ ونزل به أضياف يوماً فلم يكترث بهم ، فقال فيه أحدهم أبياتاً منها :

فسيرا فقد جنَّ الظلام عليكما

فبئس الذي يرجو القرى عند عاصم

---

(١) سورة الممتحنة : ١٠

(٢) ومن المعلوم أنها تزوجها قبله زيد بن حارثة رضي الله عنه .

وما لي من ذنب إليه علمته
سوى أنني قد زرته غير صائم

وسأل رجل رجلاً من ذرية عبد الرحمن بن عوف عن أموال جدهم فقال : فنيت وبقي منها رقيق . فقال له : أفيدك كلمتين هما خير لك من المال . إحداهما : الرقيق جمال وليس بمال . والثانية : عليك من المال بما يعولك لا بما تعوله .

ومن ذرية عبد الرحمن بن عوف أيضاً العتيد بن سهيل بن عبد الرحمن ، أمه من بني الحارث بن كعب وله يقول الشاعر :

إذا أنا نادمت العتيد وذا الندى
جبيراً ونازعت الزجاجة خالدا
أمنت بإذن الله أن تقرع العصي
وأن يوقظوا من نومة الشكر راقدا

ولما أنهى الكلام على بني زهرة ألحق بهم حليفهم خباب بن الأرت لاستحقاقه أن يذكر .

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ أَيْضاً بالْحَلِفْ
خَبَّابٌ الْقَيْنُ الَّذِي لَمْ يَنْحَرِفْ
بالطَّرْدِ عَنْ أَحْمد لكن انْحَرفْ
عَنْ دَارِهِ لِغَيْرِهَا وَهْوَ السَّلفْ
يُدْفنُ بالدُّورِ وبالأظروفهْ
أَوصَى وسَنَّهَا لأَهْلِ الكُوفَةْ

يعني أنه من حلفاءِ بني زهرة سيدنا خبَّابُ بن الأَرتِّ بن خالد بن سعد الخزاعي وقيل : التميمي وهو الأصح ؛ كان في الجاهلية يعمل السيوف ويبيعها فسمي القين لذلك ، وباع سيفاً من العاص بن وائل فأتاه يتقاضاه فقال له : إن كفرت بدين محمد قضيتك . ثم قال : فإن أبيت فامض إلى اليوم الذي تذكرون ، فإنكم لاتكونون أحسن مني حالاً ، وإذاً تجدني ذا مال فأقضيك منه . فنزل قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً** ﴾[1] . وقوله : الذي لم ينحرف ألخ . يشير به إلى أن الأقرع بن حابس أتى النبي ﷺ مع قوم من العرب ، فوجدوه ومعه خباب وعمار وصهيب وبلال ، فقالوا : إن وفود العرب تأتيك فتستحيي أن ترانا مع هؤلاءِ الأعبد ، فإذا جئناك فأقمهم عنا . قال : نَعَمْ . قالوا : اكتب لنا كتاباً . فدعا بصحيفة فنزل جبريل بقوله تعالى : ﴿ **وَلَاتَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ** ﴾[2] . فرمى بالصحيفة وقال : «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**» . قال خباب : فدنونا ووضعنا ركبنا على ركبته ، فكان النبي ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** ﴾[3] . فكان بعد ذلك يقعد معنا . فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وإلا صبر أبداً حتى نقوم . وكان خباب أصابه سباءٌ في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة فأعتقته ، فحالف بني زهرة وقيل : إن المرأة التي اشترته ـ وهي أم تمار بنت سباع ـ هي أمه فيكون لذلك خزاعياً ولم يلحقه سباءٌ قط . وكان خباب فاضلاً من المهاجرين الأولين ؛ أسلم بعد سبعة عشر

---

(١) سورة مريم : ٧٧

(٢) سورة الأنعام : ٥٢

(٣) سورة الكهف : ٢٨

رجلاً ، وهو من أول من أظهر الإسلام بمكة وشهد بدراً فما بعدها ، يكنى أبا عبد الله وقيل : أبا محمد ، وكان ممن عذب في الله وصبر ، وقد آخى النبي ﷺ بينه وبين تميم مولى خراش الأنصاري البدري .

وقوله لكن انحرف ألخ . يعني به أن أهل الكوفة كانوا يدفنون موتاهم في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم ، وكان خباب نزل الكوفة لما نزلها علي رضي الله عنه ، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدفن بظهر الكوفة ، فلما رأى أهل الكوفة قبر خباب بالظهر دفنوا موتاهم معه .

توفي رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين منصرف علي من صفين ، بعد أن شهدها وشهد النهروان ، وصلى عليه علي وله ثلاث وستون سنة وقيل : مات سنة تسع عشرة وصلى عليه عمر رضي الله عنه .

نسب بني قصي بن كلاب

عَبْدٌ وَعَبْدُ الدَّارِ عَبْدُ الْعُزَّى

عَبْدُ مَنَافٍ لِقُصَيٍّ تُعْزَى

تعزى أي تنسب . يعني أن قصياً عمود نسب النبي ﷺ له من الولد لصلبه أربعة أكبرهم عبد الدار ، ومنهم عبد قصي ويقال له : عبد بلا إضافة ، وعبد العزى بن قصي وعبد مناف بن قصي .

بنو عبد بن قصي

وَانْسُبْ لِعَبْدٍ ابْنَ عَمَّةَ الرَّسُول

أَرْوَى طُلَيْباً الصَّحَابي الْوَصُولْ

وعمة الرسول ﷺ هي أروى بنت عبد المطلب ، واختلف في إسلامها . وطليب هو ابن عمير بن وهب بن عبد ، أسلم قديمًا وله تقول أمه أروى :

إن طليباً نصر ابْنَ خاله

واسى له في دمه وماله

وهو من أكابر الصحابة ومن االمهاجرين الأولين ، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها ، واستشهد يوم اليرموك ، قيل : إنه من أول من أهراق دماً في سبيل الله ، وانقرض بنو عبد بن قصي فكان آخرهم رجل هلك ولم

يترك ولداً فورثه كلالة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وعبد الله ابن عروة بن الزبير بالقعدد .

ومن بني عبد الحارث ابن النقيذ الذي أهدر دمه النبي ﷺ يوم الفتح ، وأمر بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة ، فقتله علي رضي الله عنه ، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ ، وهو أيضاً ممن نخس البكر بزينب بنت رسول الله ﷺ .

بنو عبد الدار بن قصي

وَانْسُبْ لِعَبْـدِ الـدَّارِ هٰذِهِ الـزُّمَـرْ
الـنِّضْرُ وَالـنُّضَـيْرُ صِنْـوُهُ الْأَبَـرْ

الزمر : جمع زمرة وهي الجماعة ؛ أي هذه الزمر التي شرع في ذكرها . والصنو : الأخ والابن والعم ، وهنا يراد به الأخ ، والأبر : كثير فعل البر ، أسلم يوم الفتح وأعطاه النبي ﷺ مائة بعير ، وأخلص الإسلام ، وقتل يوم اليرموك شهيداً .

النضر بن الحارث بن كلدة

وأما النضر أخوه فقد كان شديد العداوة لله ولرسوله ، وكان يأتي بأخبار القدماءِ من النصارى وغيرهم ويقول : محمد يحدثكم من نفسه وأنا أحدثكم بأخبار القدماء الصادقة . فنزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾[1] . وكانت له قينة تغني قريشاً بهجو النبي ﷺ فأسر يوم بدر ، فلما كانوا بالصفراءِ قتله النبي ﷺ صبراً ؛ أمر علياً بضرب عنقه فقالت ابنته أو أخته قتيلة ترثيه :

ياراكبـاً إن الأثيـل مظنـة
من صبـح خامسـة وأنـت موفق

(١) سورة لقمان : ٦

أبلغ به ميتاً بأن تحية
ما إن تزال بها النجائب تخفق
مني إليك وعبرة مسفوحة
جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعنّي النضر إن ناديته
أم كيف يسمع ميت لاينطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق
قسراً يقاد إلى المنية متعباً
رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمداً ياخير ضنءِ كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ماكان ضرك لو مننت وربما
منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم إن كان عتقاً يعتق
أو كنت قابل فدية فلنأتين
بأعز مايحلو لديك ويعشق

ويروى أن رسول الله ﷺ قال : «لَوْ بَلَغَنِي هٰذَا الشِّعْرُ قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَاقَتَلْتُهُ» .

بَغِيضُ شَلَّتْ يَدُهُ لِكَتْبِهِ
سِجِلَّ قَطْعِ الْمُصْطَفَىٰ وَحِزْبِهِ

بغيض ـ كأمير ـ ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وهـو ابن عم مصعب بن عمـير بن هاشم ، وشلت يده ـ بالبناءِ للفاعل والمفعول ـ معناه يبست وذهبت .

والسجل : الكتاب ، منصوب بكتب على المفعولية . وكتبه : مصدر مضـاف إلى فاعله . وقـطع : مضـاف إلى مفعوله ، وحزبه : أي حزب النبي ﷺ وهم بنو هاشم والمطلب ، يعني أن الصحيفة التي فيها مقاطعتهم ؛ حتى لايناكحون ولايبايعون ، وأخرجوهم إلى الشعب حتى جهدوا جداً ، ومـع قريش على ذلـك أبـو لهب ، إلى أن قام في نقضها الخمسة ولحستها الأرضة ؛ يعني من الزمر التي تنسب إلى عبد الدار بغيض بن عامر الذي كتب الصحيفة [الآثمة] فشلت يده لذلك .

سُوَيْـبِطٌ ومُـصْـعَـبٌ قَدْ شهِـدَا

بَدْراً بِهَا عَنْ قَوْمِـهِـمْ تَفَـرَّدَا

يعني ومن الزمر سويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عُمَيْلَة بن السابق بن عبد الدار ، ومنها مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وهذان من بني عبد الدار شهدا بدراً ، وتفردا بشهوده عن غيرهما من بني عبد الدار ؛ أما مصعب فقد أسلم بمكة قديمًا ، وقاسى من الجوع والشدة من الكفار ماأصاب غيره من المسلمين ، وكان النبي ﷺ يرق له لما يعـرف من تنعمه في الجاهلية ، وكانت أمه ـ وهي الخناس بنت مالك بن الضرب من بني معيص بن عامر بن لؤي ـ تضع عند رأسه إذا نام إناءَ حيس ليستيقظ عليه ، وهو أول من هاجر إلى المدينة ، بعثه النبي ﷺ هو وابن أم مكتوم مع الأنصار ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، فأسلم علي يده كثير

من الأنصار . وهو أول من صلى الجمعة ، وكان معه اللواءُ يوم بدر ويوم أحـد ، وقتله ابن قميئة يظنه رسول الله ﷺ وقال : قتلت محمداً . ففرح المشركـون وجزع المسلمون ، وكان مصعب بن عمير إذا لبس لأمته يشبه النبي ﷺ . [ولما قتل مصعب] لم يوجد مايكفن به إلا نمرة ، إذا غطي بها رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطي بها رجلاه بدا رأسه ، فقال ﷺ : «**اجْعَلُوا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ مِنَ الْإِذْخِرِ**» ، وقد قدمنا أنه توفي عن حمنة بنت جحش .

بيع نعيمان لسويبط يمزح معه

أما سويبطٌ فإن أمه خزاعية اسمها جنيدة ؛ أسلم قديمًا وهاجر الحبشة وشهد بدراً وهو الذي باعه نعيمان من الأعراب ؛ وذلك أنهم خرجوا في تجارة وأميرهم أبو بكر ، فجعل سويبطاً على الزاد ، فأتاه يوماً نعيمان فقال له : اعطني . فقال : لا حتى يأتي أبو بكر . فألح عليه فامتنع ، ثم نزلوا بحي من الأعراب فأتاهم يوماً نعيمان فذكر لهم أنه يبيع عبداً ، فقالوا له : أرنا عبدك . فقال لهم : لاتفسدوا علي عبدي ، هو ذاك ولكن لاتخبروه ، فإن ارتضيتموه فاذهبوا به وإلا فاتركوه ولا تخبروه بالبيع ، فسيقول لكم : إنه حر . وكان سويبط رضي الله عنه أسود ، فاشتروه بعشر قلائص وأتوه وجعلوا في عنقـه حبلاً يقودونه ، فقال : ماهذا ؟ . فقالوا : ابتعناك من سيدك . فقال : ويحكم أنا حر . فقالوا : قد قال لنا سيدك أنك تقول ذلك . فلم يجد بداً من أن يسـير معهم ، وكان أبو بكر غائباً عنهم ، فلما جاءَ قال : أين سويبط ؟ . فقال نعيمان : بعته بهذه القلائص . فضحك أبو بكر واستاق الإبل إلى أهلها ، فلما قدموا على النبي ﷺ وأخبروه بالقصة أضحكهم سنة .

وَانْسُبْ لَهُ أَهْلَ اللِّوَا بِأُحُدِ

بَنِي أَبِي طَلْحَةَ سَيِّدِ النَّدِي

طَلْحَةُ عُثْمَانُ أَبُو سَعْدِ السَّرِي

وَمِثْلُهَا لِطَلْحَةَ الْمُعَفَّرِ

بِعَاصِمٍ كُلُّ الثَّلاَثَةِ مُصَابْ

شُرَيْحُ أَرْطَاةُ غُلاَمُهُمْ صَوَابْ

وَبَعْدَهُ اللِّوَاء فِي التُّرَابِ

مُلْقىً لِمَا لاَقَوْهُ لِلْأَصْحَابِ

أي وانسب لعبد الدار أهل اللواءِ بأُحد ، الذين قتلوا وبأيديهم اللواءُ واحداً بعد واحد ؛ وهم طلحة بن أبي طلحة وأمه سلافة الكبرى ، بنت شهيد من بني عمرو بن عوف ، قتله علي بن أبي طالب ، وهو كبش الكتيبة الذي رأى رسول الله ﷺ في نومه أنه مرديه ، ثم أخذ اللواءَ بعده أخوه عثمان ، فقتله حمزة ثم أخذه أخوهما أبو سعيد ، فقتله سعد بن أبي وقاص ثم أخذه مسافع بن طلحة ، فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، ثم أخذه الجلاس بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت أيضاً ، ثم أخذه كلاب بن طلحة فقيل قتله الزبير . وقيل : قتله عاصم . وأم بني طلحة هؤلاء هي سلافة الصغرى ، بنت سعد بن شهيد بنتِ أخي سلافة الكبرى أم طلحة ، فقالت لأحد بنيها : من قتلك يابني ؟ . قال : لاأدري ولكن سمعته حين رماني

يقول : خذها وأنا ابن أبي الأقلح . فنذرت إنْ ظفرت برأس عاصم لتشربن بقحفه الخمر ، وجعلت مائة ناقة لمن يأتيها برأسه ، ولذلك أرادت بنو لحيان أن يأخذوا رأس عاصم ليأتوها به ، فمنعه منهم الدَّبْرُ ، وهو النحل . والندي الذي هو سيده ندي بني عبد الدار ، وقد كان سيدهم في الجاهلية . ومثلها أي ومثل بني طلحة هؤلاءِ في أنهم قتلوا تحت لواءِ المشركين ، ثلاثة آخرون لطلحة هذا المعفر أي المضروب بالعفراءِ وهي الأرض ، تسمى بذلك للونها ، والمعنى المقتول فطرح على الأرض أو دفن فيها .

قوله : بعاصم كل الثلاثة ، يعني بني طلحة ، أمَّا مسافع والجلاس فبالاتفاق ، وأما كلاب فعلى غير القول بأن قاتله الزبير ، ثم أخذ اللواءَ بعد بني طلحة شريح بن قارظ بن عثمان بن عبد الدار ، فقتله حمزة ثم أخذه أرطأة ابن شرحبيل بن عبد الدار بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور ، وكانت أمه ختانة بمكة ، فقتله حمزة ثم أخذه عبد لبني عبد الدار يقال له صؤاب ، فقيل : قتله قزمان بن الحارث وقيل غيره . يقال : إنه أخذ اللواءَ بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، ثم برك عليه فقتل ، ثم لم يجد اللواءَ من يأخذه فصار مطروحاً في الأرض حتى أخذته عمرة بنت علقمة فنصبته ، فلم يلتفت إليه . وإنما حمل بني عبد الدار على المحافظة على اللواءِ ، أنهم حين دنوا للقتال قام أبو سفيان يحرض الناس فقال : يابني عبد الدار إنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ، وما أصابنا ما أصابنا إلا من جهتكم ، فاليوم إما أن تكفونا لواءَنا وإما أن تدفعوه إلينا . فقالوا له : نحن ندفع إليك اللواءَ وهذا ماكان يريده أبو سفيان ، وقال حسان ابن ثابت :

تسعة تحمل اللواءَ وطارت
في رعاع من الفنا مخزوم
لم تطق حمله العواتق منكم
إنما يحمل اللواءَ النجوم

وَانْسُبْ لِطَلْحَةَ ابْنَهُ عُثْمَانَا
رَفِيقَ خَالِدٍ وَعَمْرو كَانَا
لَهُ ولِابْنِ عَمِّهِ شَيْبَةَ رَدْ
نَبِيُّنَا أَمَانَةً طُولَ الْأَبَدْ

يعني ومن طلحة بن أَبي طلحة المقتول الأَول من أَصحاب اللواءِ ، وعثمان بدل من ابنه ، ورفيق خبر كان المتأَخرة . وكان عثمان بن طلحة من الأَشراف في الجاهلية والإسلام ، وقد كانت أُم سلمة خرجت مهاجرة وحدها ، فرآها عثمان بن طلحة فخرج معها كالمشيع لها ، وكان يسير أَمامها ليهديها الطريق ، فإذا نزلت نزل وحده ، إلى أَن أَوفى على قباءَ ، قال لها : زوجك بهذه القرية . ورجع . فكانت تقول : مارأَيت رفيقاً أَكرم من عثمان ابن طلحة . ثم لم يزل بمكة على شركه إلى زمن الهدنة بعد الحديبية ، خرج مع خالد بن الوليد إلى رسول الله ﷺ يريدان الاسلام والهجرة ، فلقيا عمرو ابن العاص بموضع يقال له الهدة ، مقبلاً من عند النجاشي يريد مايريدانه ، فاصطحبوا وكتم كل خبره عن الآخر أَولا ثم قال لهما عمرو : أَخبراني عن شأْنكما أُخبركما عن شأْني . فقال له خالد : ياعمرو ظهر والله الميسم ـ بالمثناة

التحتية أو بالنون ـ أي العلامة والأثر ـ إن الرجل والله لنبي ، فأسلم تسلم . قال عمرو : والله ماجئت إلاّ لذلك . فلما قدموا على النبي ﷺ قال لأصحابه : «رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بأَفْلاَذِ كَبِدِهَا» . يقول : إنهم وجوه أهل مكة . قال عمرو : فلما أردنا أن نبايع رسول الله ﷺ أردت أن أكيد القوم ، وكنت أسن منهما ، فقدمتهما للمبايعة لأشترط فيكون لي ماليس لهما ، فبايعا على أن يغفر لهما ماتقدم من ذنبهما ، فأضمرت أن أبايعه على أن يغفر لي ماتقدم من ذنبي وماتأخر ، فنسيت ماتأخر فلم أزد عليهما شيئاً . ولم يزل عثمان مقيمًا بالمدينة إلى أن توفي النبي ﷺ فانتقل إلى مكة ، واستشهد يوم أجنادين . وقيل : إنه عاش إلى سنة اثنتين وأربعين أول خلافة معاوية .

وأما شيبة فهو ابن عثمان بن أبي طلحة ، كان من خيار المسلمين ، وقد خرج مع رسول الله ﷺ إلى حنين وهو مشرك ، وإنما خرج يريد الفتك برسول الله ﷺ فسل سيفه يريده ، فحالت بينه وبينه شعلة من نار كادت تذهب ببصره ، فأدركه رعب وفزع ، فقال له رسول الله ﷺ : «أُدْنُ يَاشَيْبَةُ لاَأُمَّ لَكَ» فوضع يده على صدره وكان شيبة يقول : هو والله ـ حين وضع يده على صدري ـ أبغض الخلق إليء ، ومارفعها حتى كان أحب الخلق إلي ، ولو وجدت أبي دونه لقتلته ، وكان ممن صبر معه يومئذ . وأقام شيبة بمكة إلى أن توفي آخر خلافة معاوية ، وقيل أيام يزيد . ولما فتح النبي ﷺ مكة أخذ المفتاح ففتح الكعبة ودخلها ، فوجد فيها ستمائة صنم لقريش أثبتها لهم إبليس بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يشير إليها بعود في يده ويقول : «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ» وكلما أشار إلى واحد سقط لرأسه ، ثم خرج إلى ملإ قريش وبيده المفتاح ، فاشرأبت بنو هاشم إليه ليدفعه لهم وقال له العباس وعلي رضي الله عنهما : اجعل لنا الحجابة مع السقاية . فقال : « أَيْنَ عُثْمَانُ

ابنُ أبي طَلحـةَ ؟ . أينَ شَيْبـةُ بنُ عُثمانَ ؟ » . فدفع إليهما المفتاح وقال : «خُذُوهَا يَابَنِي عَبْدِ الدَّارِ أو قال : يَابَنِي أَبِي طَلْحَةَ خَالِدَةً تَالِدَةً لاَيَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إلَّا ظَالِمٌ . إنَّهُ نَزَلَ عَلَيَّ﴿ إنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[1] » .

وهي المفاتيح ، ثم عقب كل أمانة حتى دخلت فيها الشهادة ، فلما ذهب عثمان بالمفاتيح قال له رسول الله ﷺ : «يَاعُثْمَانُ ، أَتَذْكُرُ يَوْمَ قُلْتُ لَكَ كَذَا» ؟ قال : نعم يارسول الله وأشهد أنك رسول الله ؛ وذلك أن عثمان فتح يوماً للناس فدخلوا ، فلما خرجوا جاءَ رسول الله ﷺ فقال لعثمان : «افْتَحْ لِي حَتَّىٰ أَدْخلَ» . فأبى عثمان ، فقال له رسول الله ﷺ : يَاعُثْمَانُ أَرَأَيْتَ إنْ كَانَ هٰذَا الْمِفْتَاحُ بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ مَاذَا تَقُولُ ؟» قال : لقد ذلت قريش يومئذ . فقال : «بَلْ عَزَّتْ وَعَمَرَتْ» ، ولعثمان يقول عبد الله بن الزبعرى في هجرتها :

لقد شد عثمان بن طلحة حلفة
وملقى النعال عن يمين المقبل
وما عقد الآباءُ من كل حلفة
وماخالد من مثلها بمحلل

(١) سورة النساء : ٥٨

بنو أسد بن عبد العزى بن قصي

لأَسَــدٍ سَلِيــل عَبْــدِ الْعُــزَّى
مُطَّلب عَمْــرُو خُوَيْلِدُ اعْتَــزَى
وَنَــوْفَــلٌ وَحَــارِثٌ فالمــطلبْ
إلَيْــهِ زَمْعَــةُ بْنُ الأَسْوَد انتَسَبْ

وأم حبيب جدة رسول الله ﷺ ورجال آخرون لم يعقبوا ؛ فأما الحارث والمطلب وأم حبيب فإن أمهم خالدة بنت هاشم بن عوف ، ويقال لها قيسة الديباج . وأختهم أيضاً من الأب والأم رقية ، جدة الحكم بن العاص ، ولم يعقب أيضاً من المذكورين إلا عمرو ، وهو الذي تولى عقد أمنا خديجة لرسول الله ﷺ لأن أباها خويلداً مات قبل ذلك ، وقيل كان سكران .

ولقد بدأ بني أسد بالمطلب لسيادة بنيه في الجاهلية ؛ الأسود وابنه زمعة هذا ، وكان من المستهزئين الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[1] فقد رمى جبريل بورقة في جبهته ثم مات . قال البوصيري :

ودهى الأسود بن مطلب   أي عمى ميت به الأحياءُ

---

(١) سورة الحجر : ٩٥

وابنـه زمعـة هذا كان من أكابر قريش ، وكان إذا سافر يكفي ركبه الزاد ، ولايتزود معه أحد حتى كاد أن يسمى بزاد الركب . وقد كان زمعة ممن قاموا في نقض الصحيفة ، لكنه بقي على كفره إلى أن قتل يوم بدر كافراً ـ والعياذ بالله ـ وكان يقول لابنه الحارث ـ وهو من الرهط الذين زعموا أنهم مستضعفون فتوفتهم الملائكة ـ يقول له : أقدم جار إذ فر عني هبار . فقتل هو وابنـه الحارث هذا وأخوه عقيل بن الأسود ، ونجا هبار وأسلم بعد ان نخس البعير بزينب بنت رسول الله ﷺ . وقال الأسود يبكي من قتل من بنيه يوم بدر ؛ وهم زمعة وعقيل والحارث بن زمعة بن الأسود :

أتبكي أن يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
وماتبكي على بدر ولكن
على بدر تقاصرت الجدود
على بدر سراة بني هُصيص
ومخزوم ورهط أبي الوليد
وبكّي إن بكيت على عقيل
وبكّي حارثاً أسد الأسود
وبكّي إن بكيتهم جميعاً
ومالأبي حكيمة من مزيد
ألا قد ساد بعدهم رجال
ولولا يوم بدر لم يسودوا

قتل مصعب بن عبد الرحمن
ابن عوف وقوم لاسماعيل

وكانت قريش تتواصى على عدم البكاءِ على قتلى بدر ، فسمع الأسود امرأة تبكي فقال لغلام له : اذهب فانظر هل أُحل النحيب ، لعلي أبكي أبا حكيمة ، فقد احترق جوفي . فجاءه الغلام وقال له : إنها امرأة تبكي على بعير ضل لها . وأبو حكيمة هو زمعة بن الأسود ؛ وقد ولد هبَّار بن الأسود في الإسلام اسماعيل بن هبار ـ وكان من فتيان المدينة ، مشهوراً بالفتوة والجلادة ـ أتاه ليلة مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، ومعاذ بن عبيد الله ابن معمر ، وعتبة بن جعونة بن شعوب الليثي حليف العباس بن عبد المطلب ، فاستشفعوه في حاجة ، فمضى معهم فقتلوه . ، فأصبح في خراب لبني زهرة يسمى حشر بني زهرة إدبار مسجد رسول الله ﷺ ، فقامت بنو أسد ابن عبد العزى فاستعدوا عليهم السلطان ، فحبس لهم مصعباً وصاحبيه في السجن ، وركبوا إلى معاوية وفيهم عبد الله بن الزبير فقال لهم معاوية : احلفوا على واحد من الثلاثة . فقال ابن الزبير : بل نحلف عليهم كلهم . فأبى معاوية ، وأبت بنو أسد أن يحلفوا على واحد منهم ، فحملهم معاوية إلى مكة واستحلف كل واحد منهم خمسين يميناً عن نفسه ، ثم جلد كل واحد منهم مائة سوط ، وسجنهم سنة ثم خلى سبيلهم ، ذكر هذا المصعب ابن الزبيري مرتين في كتابه جمهرة قريش ، وذكر أيضاً أنه بعد ذلك فسد ما بين مصعب بن عبد الرحمن ومعاذ بن عبيد الله ، فولي مصعب الشرطة لمروان في ولايته على المدينة من قبل معاوية ، فكان يتمنى أن يجد سبيلاً على معاذ ، فأتاه رجل من أهل العراق أيام الحج يستعديه على معاذ وقال له : إني رجل

من الحاج قدمت بمتاع لي فبعته لرجل من قريش يقال له معاذ بن عبيد الله ، فقال لي : اتبعني إلى منزلي . فذهبت معه فحبسني بحقي ، ثم خرج فكسر أنفي ، وإذا أنفه تدمى . فقال مصعب للحرس : عليَّ بمعاذ . فأتوه به ـ وكان قد هجره ـ فلما رآه استحيى منه ونكس رأسه ثم قال وهو منكس رأسه : يامعاذ أفي حق الله أن تبتاع من رجل غريب بضاعته فتمطله بثمنها وتكسر أنفه ؟! . فنكس معاذ رأسه ثم قال : أفي حق الله أن أنطلق به إلى منزلي ، وفيه حقه فيناديني من وراءِ الباب : أتريد أن تقتلني كما قتلت ابن هبار ؟ فغضب مصعب وقال للحاج ـ ورفع إليه رأسه:أقلتها له ؟ . قال : نعم . قال : قم ، لاأقام الله رجليك . أتعمد إلى رجل من قريش فتأتيه بالباطل ، ثم تنكر أن ينالك بخدش ؟ . قد أهدرت ما أصابك بأذيتك له . ثم أقبل على معاذ فأخذ بيده وقال : ارتفع إلى هاهنا . فرفعه إلى جانبه على مجلسه ، فكان سبب إصلاح بينهما . وفي قتلهم لابن هبار يقول الشاعر :

فلن أجيب بليل داعياً أبداً
أخشى الغرور كما غر ابن هبار
قد بات جارهم في الحفش منعفراً
بئس الهدية لابن العم والجار

والِدُ عِبْدِ الله وَالِدُ يزيدْ
قَتِيلِ مُسْلِم بْنِ عُقْبَةَ الُمريدْ
وَصلبت مولاته المريدا
وبِحُصَينِ بْنِ نُمَيرٍ شِيدَا

مَاهَــدَّ فَقْــدُ مُسْـلِم بن عُقْبَــهْ

وحَـاصَرَ الْحُصَـيْنُ أَهْـلَ الْكَعْبَهْ

فَأَوْهَــنَ الْـبَيْـتَ بِمـنْجَـنِيـقِ

فَوْقَ أَبِي قُبَـيْسٍ الْـوَثِـيـق

وَقَــبَسٌ عَلى فَتَــاةٍ جُعِــلا

فَطَيَّرَتْـهُ الـرِّيـحُ حَتَّى اشْتَعَـلا

فِي الْـبَيْـتِ والْـقَــرْنُ الْمُعَلَّقُ به

وكَـعَّ إِذْ مَاتَ مُحَشِّي حَرْبِــهِ

يعني أَن زمعة بن الأَسود بن المطلب ، والد عبد الله بن زمعة الصحابي ، أمه قريبة الكبرى بنت أبي أمية ، أُخت أمنا أُم سلمة ، كان عبد الله من أكابر قريش وأَفاضل المسلمين ، روى عن النبي ﷺ : «**لَايَضْرِبْ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ ثُمَّ يُضاجِعْهَا فِي آخِرِ يَوْمِهِ**» . وروى عنه عروة بن الزبير ، ثم ولد عبد الله بن زمعة يزيد بن عبد الله الذي قتله مسرف بن عقبة يوم الحرة صبراً ، فقال له : بايع أَمير المؤمنين يزيد بن معاوية على أَنك عبد قن ؛ إن شاءَ أَعتق وإن شاءَ استرق . فقال : أُبايعه على أَني ابن عم حر كريم . فضرب عنقه . وكان مسلم يفعل ذلك بمن أُخذ من أَهل المدينة من الصحابة وأَبناءِ الصحابة . وولد عبد الله بن زمعة أَيضاً كثير بن عبد الله ؛ أُمه زينب بنت أَبي سلمة ، ربيبة رسول الله ﷺ التي وجدته يوماً يغتسل ، فكشفت

الستر وهي لا تشعر به ، فرش الماءَ في وجهها ، فأسنت وماءُ الشباب لم يذهب من وجهها . وهي التي قال فيها ﷺ : «**أَخِّروا عَنِّي زَيَانِبَكُمْ**» وهي أيضاً التي قال فيها عمار لأم سلمة : هذه المقبوحة المقشوحة آذت رسول الله ﷺ . وهي أيضاً التي قال فيها وقد قيل له إنه يريد تزويجها : «**لَوْ لَمْ تَكُنْ رَبيبتي في حِجْري مَاحَلَّتْ لي ؛ أَرْضَعَتْني وَإِيَّاها ثُوَيْبَةُ**» . وقتل مسلم بن عقبة يوم الحرة ابنين لزينب ، وكانت تبكي أحدهما ولاتبكي الآخر ، فقيل لها في ذلك . فقالت : مات شاهراً سيفه واالآخر وضع السيف .

نسب وكيع الفقيه

ومن ولد عبد الله بن زمعة وكيع العالم المشهور ، واسمه عبد الله بن عبيدة بن عبد الله بن زمعة ومن ولده وهب بن وهب القاضي الجواد .

ولما مات مسرف بن عقبة ، وشيد ـ أي بني وأُصلح ـ ماهدَّ فقده بالحصين بن نمير السكوني ، خرجت أُم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة إلى قبر مسلم بن عقبة فنبشته وأخرجت جثته وصلبتها . والمريد يعني مسرفا ، وكان حين بعثه يزيد على الجيش يشتكي بطنه فقال : إن أُصيب مسلم فالحصين بن نمير مكانه ـ وهو من سكون ؛ قبيلة من كندة ـ فمات مسلم بين المدينة ومكة قاصداً ابن الزبير فولي الحصين ، فقدم مكة وحاصر أهلها حصاراً مشهوراً ، وضرب على أبي قبيس منجنيقاً ، ورمى به البيت فأوهنه وقتل به رجالاً من أهل مكة ، منهم المسور بن مخرمة ، ويحكون من شجاعة عبد الله بن الزبير أنه كان يصلي في المسجد حين رمى البيت بالمنجنيق ، وكانت حجارة المنجنيق تمر حول أذنيه ولايلتفت إليها ، كأنه كعب راتب . وأوهن البيت أيضاً بقبس ، أي بشعلة نار ، جعلها على رأس رمح فرمى بها

البيت فطيرته ريح إلى البيت ، فاشتعلت فيه النار ، وفي قرن كبش اسماعيل الذي فدي به ، وكان معلقاً بالكعبة منذ ذلك الوقت الذي فدي فيه الذبيح إلى أن احترق في حصار الحصين بن نمير ولم يزل الحصين يحاصر أهل مكة إلى أن بلغه موت محش حربه ، وهو ابن معاوية ، فكع أي نكص عن محاربة أهل مكة ، وسارَّ ابن الزبير بكلام يشير فيه إلى موت يزيد قبل أن يبلغ أهل مكة موته ، ويريد منه أن يوليه إن هو بايعه ، فلم يكترث به ابن الزبير فقال : سبحان الله أُسارُّك وتجاهرني ، وأُكلمك بكلام الملوك وتجاوبني بكلام السوقة ، وارتحل الحصين راجعاً إلى الشام .

قصة طلاق المطرف لابنة عبد الله بن السائب على المنصة

وَلأَبِي حُبَيْشٍ بْنِ الْمُطَّلِبْ
يَنْتَسِبُ السَّائِبُ نُخْبَةُ النُّخَبْ
بِنْتُ ابْنِهِ عَبْدِ الإلٰهِ الدَّاهِي
طَلَّقَهَا الْمُطْرِفُ عَبْدُ اللهِ
عَلَى الْمَنَصَّةِ وَزَوَّجَ ابْنَتَهْ
عَبْدُ الإلٰهِ مُصْعَباً فَأَسْكَتَهْ

يعني ومن ولد المطلب أبو حبيش أخو الأسود ، وينسب إلى أبي حبيش السائب ، وهو ابنه لصلبه ، ونخبة النخب : خيرته . وأشار في الأبيات إلى

أن عبد الله بن السائب ابن أبي حبيش داهية عاقل ، وأنه زوج ابنته فاطمة من المطرف ـ كمُكْرم ومنبر ـ وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان ، سمي بذلك لجماله ، فلما جلست على المنصة ـ بالكسر وهي شيء يهيأُ للعروس ، وهو أول ماتجلس عليه طلقها المطرف ، فأتى أبوها إلى حلقة من قريش في المسجد وقال : إني زوجت عبد الله بن عمرو ابنتي ، ثم طلقها على المنصة ، وإني أخاف أن يظن الناس أنه رأى سوءاً وأنتم عمومتها ، فأقدموا حتى تنظروا إليها . فقال له عبد الله بن الزبير : اجلس . فجلس . فحمد عبد الله بن الزبير الله ثم خطبها على أخيه مصعب ، وهو في الحلقة جالس ، فزوجها إياه أبوها ثم قال عبد الله لأخيه مصعب : انطلق فادخل على أهلك . فدخل مصعب بها في الحين ، فولدت له عيسى بن مصعب المقتول مع عكاشة بن مصعب ، وكلاهما سيد ، وافتخرت ربيعة بقتل عيسى :

نحن قتلنا مصعباً وعيسى

وكم قتلنا قبله رئيساً

عمداً أذقنا مضر التأسيسا

ولما أنهى الكلام على ولد المطلب ، شرع يتكلم على ولد خويلد فقال :

بنو خويلد بن أسد بن عبد العزى

خُوَيْلِدٌ مِنْـهُ حَكِيـمٌ أَعْـتَقَـا

مِائَـةَ عَبْـدٍ كُلُّهَـا تُطَوَّقَـا

بِعُـتَـقَـاءِ اللهِ عَنْ حَكِيـمِ

يُنْـقَشُ فَوْقَ طَوْقِـهَـا الْـوَسِيمِ

يعني أن خويلد بن أسـد بن عبد العزى ، منه حكيم بن حزام بن خويلد ، وهو ابن أخي أمنا خديجة بنت خويلد ، وكان حكيم في الجاهلية من أشراف قريش وذوي الرأي منهم ، وأشار إليهم يوم بدر بالرجوع عن النبي ﷺ وألح عليهم في ذلك ، فامتنع أبو جهل ونجا حكيم فيمن نجا ، ولحق بابني العوام على جمل ، فنزل له عبد الرحمن واستنزل عبد الله فقال : أنا أعرج وأخاف أن يدركني الطلب . وكان عبد الله يعرج ، فقال له : ألا تنزل ؟ إن قتلت كفاك ، وإن أسرت فداك . فنزل له وأدرك فقتل ونجا عبد الرحمن ثم أسلم ، وكان اسمه عبد الكعبة بن العوام فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن ، وقال حسان في حكيم :

وفـر بها حكـيـم حين جالـت
بنـو الـنـجـار تخطر كالأسـود

وقال أيضاً :

ونـجّـى حكـيـمًا يوم بدر شدةٌ
كنجـاءِ مُهـر من بنـات الأعـوج

ثم أسلم هو وبنوه يوم الفتح وهم : خالد وهشام وعبد الله ويحيى وحسن إسلامهم . وكان حكيم إذا اجتهد في الحلف يقول : والذي نجاني يوم بدر . وشهد حنيناً مع النبي ﷺ وأعطاه فيمن أعطى من المؤلفة قلوبهم مائة من غنائم حنين ، وكانت بيده دار الندوة اشتراها في الجاهلية من بني عبد الدار ، ثم باعها في الاسلام لمعاوية بمائة ألف وتصدق بجميع ثمنها ، فقال له عبد الله بن الزبير : أنت بعت مكرمة قريش . فقال له : ذهبت المكارم إلى التقوى .

ووقف يوم عرفة بمائة عبد في عنق كل واحد منهم طوق منقوش عليه : نحن عتقاءُ الله عن حكيم بن حزام . والوسيم معناه الحسن ، أي طوقها الحسن ، وكان اشترى في الجاهلية زيد بن حارثة ، فأعطاه لعمته أمنا خديجة ، فأعطته لرسول الله ﷺ ، ولا تعد مناقبه في الجاهلية وأحرى في الإسلام . وقال له النبي ﷺ حين أسلم : «**أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَاسَلَفَ لَكَ مِنَ خَيْرٍ**» ولدت حكيمًا أمه بنت زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى في الكعبة في الطواف ، وتركت ثيابها التي نفست فيها ثَمَّ يطؤها الطائفون حتى تبلى ، وذلك شرع عندهم ، وكذلك ثياب من طاف بالبيت في ثيابه من غير أهل مكة ، وتسمى تلك الثياب اللقى كما تقدم . قال الشاعر :

فواحــزنــا كري عليــه كأنــه
لقــى بين أيــدي الــطائـفــين حريم

وكان مولد حكيم بن حزام قبل الفيل بثلاث عشرة سنة ، فهو أسن من رسول الله ﷺ بذلك ، وتوفي رضي الله عنه عام أربعة وخمسين للهجرة ، في خلافة معاوية ، وعاش مائة وعشرين سنة ؛ ستون منها في الجاهلية وستون في الاسـلام . ومثله في ذلك سعيد بن يربوع ومخرمة بن نوفل الزهريان ، وحويطب بن عبد العزى العامري وحسان بن ثابت . قيل : ولبيد بن ربيعة مكان حمنن بن عوف ، وقد تقدم ذكرهم ونظمنا لهم .

ومـات هشـام بن حكيم قبله وورثه ابن ابنه عثمان بن عبد الله بن حكيم . وأم عبد الله بن حكيم زينب بنت العوام وقالت تبكيه وقد قتل يوم الجمل :

أعــيــنيّ جودا بالــدمــوع فأسرعــا
على رجــل طلق الــيــديــن كريــمْ

قتـلتـم حواريَّ الـنـبـي وصـهـره
وصـاحـبـه فاسـتـبشروا بجـحـيـم
وقـد هدني قتـل ابـن عفـان قبـله
فجـادت عليـه عبرتي بسـجـوم
وأيـقـنت أن الـدين أصبـح مدبـراً
فكـيـف نصـلي بعـده ونـصـوم
وكيف بنـا أم كيف بالـدين بعـدما
أصيـب ابـن أروى وابـن أم حكـيم

وَأَلْـفَ شَاةٍ وَمِنَ البُـدْنِ مِائَـهْ
أَهْـدَىٰ إِلَىٰ البَيْتِ وَفَـارِسُ الْفِئَهْ
أَبُـو خُبَـيْـبٍ الأَبِيُّ ابْـنُ الأَبِي
إِلْفُ الْمَحَـامِـدِ لِتَحْنِيـك النَّبِي
وشِرْبِـهِ لِدَمِـهِ وَأَخْـبرَا
بِالشِّرْبِ جِبْرَئِيـلُ أَشْرَفَ الْوَرَىٰ

يعني أن حكيمًا حج بمائة بدنة أهداها إلى البيت ، قد جللها بالحبرة ، وكفها عن أعجازها ، وأهدى إليه ألف شاة .

ثم شرع في الكلام في البيت على عبد الله بن الزبير بقوله : وفارس الفئة ؛ يعني بالفئة بني أسد بن عبد العزى أو جميع قريش ؛ لأنه من فرسانهم ومن ذلك فعله بجرجير ملك أفريقية الآتي قريباً . وإلف المحامد : صاحبها

الذي يألفها وتألفه ، واكتسب المحامد لتحنيك النبي ﷺ له بريقه ، وكانت أمه أسماءُ بنت أبي بكر أبت أن ترضعه حتى يسبق ريق النبي ﷺ في جوفه ، فحنكه بريقه وجعل ينظر في وجهه ثم قال لها : «**أَرْضِعيهِ وَلَوْ بِماءِ عَيْنَيْكِ فَلَيَمْنَعَنَّ الْبَيْتَ أَوْ لَيُقْتَلَنَّ دونَهُ**» أو كما قال ﷺ وشربه ـ بالخفض ـ عطفاً على التحنيك ؛ وذلك أنه عليه الصلاة والسلام احتجم فأمره بإراقته ، فلما غاب عليه شربه ، فأخبر جبريل النبي ﷺ فقال له : «**مَافَعَلْتَ بِالدَّمِ ؟ وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ ؟**» . هو عبد الله بن الزبير أبو خبيب كنيته ـ كني بابنه خبيب ـ ويكني أيضاً أبا بكر ، وهو أحب إليه من أبي خبيب . ومن ينتقصه كبني أمية لايسمونه إلا أبا خبيب . وفد عليه رضي الله عنه عبد الله بن الزبير الأسدي فلم يعطه شيئاً ، واستحمله فلم يحمله وقال له : مابال ناقتك ؟ . فقال : نقبت . قال : رقعها وانعلها . فتكلما إلى أن قال الأسدي : لعن الله ناقة حملتني إليك . قال القرشي : إنَّ وراكبها . فخرج الأسدي يهجوه بقوله :

أرى الحاجات عند أبي خبيب

نكبن ولاأمية في البلاد

من قصيدة.وخبيب أكبر بني عبد الله ، أمه تماضر بنت منظور ، وهي التي يعنيها الفرزدق بقوله :

وشفعت بنت منظور زبانا

ذلك أن نوار زوج الفرزدق فرت منه إلى عبد الله بن الزبير في خلافته بمكة ، فاستجارت بزوجته تماضر بنت منظور بن زبان ، وتبعها الفرزدق فاستجار ببني عبد الله ، وكلما أ صلح البنون في النهار أفسدته تماضر ليلاً فقال الفرزدق :

أمـا البنـون فلم تقبـل شفاعتهم وشفعت بنت منـظور بن زبـانا
ليس الشفيـع الذي يأتيك متزراً مثـل الشفيع الذي يأتيك عريانا

وسبب تزويج عبـد الله بن الزبير لتماضر ؛ أنه بعثه الزبير للعباس يستعير منه رحلاً ، فصادف العباس مطعمًا ، فأمره أن يأكل في المائدة ، فنظر العباس إلى أكله فاستضعفه فقال له : ذهب بك لين آل أبي بكر ، أقرئْ أباك السلام وقل له : إن آل أبي بكر غلبوا على ابنك هذا ، فزوجه في الأعراب . فزوجه تماضر بنت منظور بن زبان الفزاري ، فولدت له خبيباً وحمزة وعباداً وثابتاً . وخبيب هو الذي مات تحت ضرب عمر بن عبد العزيز حين كان أميراً للوليد بن عبد الملك على المدينة ، وكان عمر بعد ذلك إذا قيل له : أبشر فقد صنعت خيراً يقول : وكيف بخبيب ؟ . وحمزة بن عبد الله هو الذي وضع الحجر في البيت [فتنازع الناس فيمن وضعه][1] فبينما هم كذلك حتى حانت الصـلاة فأقـاموها فلما استمكنوا فيها ، قطع صلاته ووضع الحجر والناس في الصلاة . وقد كان ذا مال كثير بعد ذلك وذا جود ، وكانت له بالفُرْع ـ وهو موضع بين مكة والمدينة ـ ألف نخلة تسقيها عينان .

وقوله : الأَبي بن الأَبي ؛ أراد به عبد الله بن الزبير . والأَبي هو الآبي عن الضيم ، وهو أيضا من أسماءِ الأَسد ؛ يقال رجل آبٍ من أباة ، وأبي من أبيين . قال أعرابي من بني الحارث بن كعب :

رئـمـت لسـلمى بوّ ضيْم وإنني قديـمًا لآب الـضـيم وابن أُبـاة
أيـا بعـل سلمى كم وكم بأذاتهـا عدمتـك من بعـل تطيـل أذا تي
بنفسي حبيبـاً حال بابـك دونـه تقـطع نفسي دونـه حسراتي

١ ـ مابين القوسين هكذا بالأصل ، ولعل الصحيح : (حين تنازع الناس فيمن يضعه) .

فوالله لولا أن تراع لرعته بما ليس بالمأمون من فتكاتي

وحق للزبير أن يوصف بالإباءِ وبالصفات المحمودة ؛ لأنه ممن يعدل بألف فارس . وقال فيه حسان بن ثابت يمدحه :

فكم كربة ذبَّ الزبير بسيفه بأبيض سبّاق إلى الموت يرفل
فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهرَ مادام يذبل

وقيل : إن الملائكة يوم بدر نزلت على سيما الزبير ؛ لأنه كان معتجراً ذلك اليوم بعمامة صفراءَ ، وكذلك سيما الملائكة يومئذ عمائمهم صفر . وهو حواريّ النبي ﷺ سماه بذلك ليلة الأحزاب فقال : «لِكُلِّ نَبِيّ حَوارِيٌّ وَحَوارِيِّي الزُّبَيْرُ» والحواري : الناصر والخليل ، وسمع ابن عمر رجلاً يقول: أنا ابن الحواري . فقال : إن كنت ابن الزبير وإلا فلا . وأُم الزبير صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وهي أيضاً أُم السائب أخيه الصحابي الذي استشهد يوم اليمامة ، وله تقول صفية قبل :

يسبني السائب من خلف الجدر لكن أبو الطاهر زبَّار أمَر
مبذر لماله بر غفر

وأبو الطاهر كنية الزبير . قيل : وكانت تضربه وهو صغير ، فقال لها نوفل بن خويلد أنها تبغضه فقالت :

من خالني أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكي يلب
ويهزم الجيش ويأتي بالسلب ولايكن لماله جداً محب

فقال نوفل : كفوا عنا شاعرتكم هذه يابني هاشم .

ووفد عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان فقال له : ماتريد ؟ . فقال : سيف أبي الزبير . فقال : بمَ تعرفه بين السيوف ؟ . فقال : بما لا

تعرف به سيف أبيك ، أعرفه بثلم أصابه يوم بدر . فأنشد :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

أسلم الزبير وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، وقيل عشر سنين ، ولم يزل في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وجعله عمر في ستة الشورى ثم جعل حظه إلى علي رضي الله عنه ، وفي عيون الأثر للإمام اليعمري أن النبي ﷺ بعث جيشاً إلى اليمن ، فلما راقب قبائل من زبيد ومراد قال عمرو بن معدي كرب : دعوني ألقهم وانتمي لهم لعلهم يرجعون . فركب فرسه بسلاحه وتلقاهم يقول : أنا أبو ثور . فابتدره علي والزبير كل منهما يقول : خل بيني وبينه فدىً لك أبي وأمي . ففر عمرو وأتى قومه وقال لهم : اعطوا هؤلاءِ ماسألوكم ، فوالله ما انتميت قط لجيش إلا انهزم إلا هؤلاءِ ، والله لكأني أدعوهم إلى لحم شاة مشوي . قلت : ولعل هذه الحكاية هي التي منها نشأ : لاتحدث عن الأحياءِ ، لأن ابن سيد الناس يسندها لابن عبد الحكم عن الشافعي ، وأصل المثل ان ابن عبد الحكم حكى عن الشافعي حكاية ، ثم سئل عنها الشافعي فقال : ماسمعت بها قط ، ولاحدثت بها ابن عبد الحكم . فترك الناس ابن عبد الحكم حتى لايسأله أحد ، ثم أتى ابن عبد الحكم إلى الشافعي ، فلم يزل يذكره حتى تذكر الحكاية ، وتذكر حين حدثه بها فقال : لاتحدث عن الأحياءِ . ولعل الشافعي خاف على العلم الضيعة لأن المحدث إذا حدث عن الحي يكون المحدث عنه كاذباً .

أما أولاد الزبير رضي الله عنه فهم عشرة أولاد ذكوراً ونسوة ، أكبرهم عبد الله ثم المنذر وعروة وعاصم ـ وقد مات صغيراً ـ وأم الحسن ؛ هؤلاءِ

أمهم أسماءُ بنت أبي بكر ، وخالد وعمرو أمهما زينب بنت بشر ـ امرأة من بني قيس بن ثعلبة ـ ثم توفي الزبير رضي الله عنه عن نيف وستين سنة ، قتله يوم الجمل عمرو بن جرموز التميمي ؛ كان مع عائشة وطلحة على قتال علي طلباً لدم عثمان ، فناداه علي وخلا به فقال : أنشدك الله ، أتذكر يوم قال لك النبي ﷺ : «**أَمَّا إِنَّكَ سَتقَاتِلُ عَلِيًا وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ**» . فتذكر الزبير ورجع ، فرآه ابن جرموز راجعاً فقال : أضرمها ابن صفية وأراد أن يخرج ، والله لاكان ذلك . فتبعه فوجده نائمًا بوادي السباع ، وسيفه معلق بشجرة فاخترط السيف وقتله ، وحمل رأسه إلى علي فقال لبوابه : بشر علياً برأس الزبير . فقال له علي : بشره بالنار . لأن علياً سمع رسول الله ﷺ يقول : **الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي الْجَنَّةِ إِلَّا قَاتِلَ الزُّبَيْرِ**» ، فقال ابن جرموز :

أتيت عليا برأس الزبير
وقد كنت أحسبه زلفه
فبشر بالنار إذ جئته
فبئس البشارة والتحفة
فسيان عندي قتل الزبير
وضرطة عير بذي الجحفة

وكان الزبير رضي الله عنه دعا ولده في اليوم الذي مات فيه وقال : يابني ، هذا اليوم لا يقتل فيه إلا ظالم أو مظلوم ، وأراني أقتل فيه مظلوماً ، فاقض عني ديوني من مالي ، فإن ثقل عليك فقل : يامولى الزبير أعني على ديْن الزبير . قال عبد الله : فكلما قلتها أعانني الله ، وبعت الغابة من معاوية ابن أبي سفيان . فلما قضى الله ديونه أتاه الورثة يطلبون قسم الميراث فقال : لا والله حتى تمضي أربع سنين ؛ لئلا يأتي أحد من أهل دين الزبير فيجد المال

قد تفـرق فيكم . ومـات رضي الله عنـه عن كثـير من الديون وكثير من الأموال ، اكتسبه من الغنائم والتجارات ، ولم يعمل قط على أحد لأحد . وكان يملك ألف رقيق يؤدون إليه الخراج كل سنة ، ولم يدخل عليه قط منه درهم ، بل يتصدق بجميع ذلك ، ومات عن عاتكة الشهداءِ فقالت تبكيه :

غدر ابــن جرمــوز ببـهـمــة فارس
يوم الـلقــاءِ وكــان غير معــرد
ياعــمــرو لو نبــهــتــه لوجــدتــه
لاطــائشــاً رعش الجنــان ولا اليــد
شلت يمــيــنــك إن قتــلت لمسـلمًا
حلت عليـك عقــوبــة المتـعـمــد

أَوَّلُ مَنْ ولِــدَ لِلْمُـهَـاجِــريـنْ
وَتَــلَّ جَرْجيراً عَلَىَ حَرِّ الجَبيـنْ
وَقَــالَ سَابِي ابْنَتِــهِ وَقَــدْ فَتَـكْ
يَابِـنْتَ جَرْجِــير تَمشَّيْ عَقْبَتَــكْ

وفـرح المسلمـون بمـولـده ؛ لأن المنـافقين كانوا يزعمون أن اليهود سحـرتهم فلا يولـد لهم . وأول من ولد للأنصار بعد قدوم رسول الله ﷺ النعمان بن بشير ، ويزعم كثير من الكتب أن مولد عبد الله كان في السنة الثانية ، وكيف يصح ذلك والزبير هاجر قبل النبي ﷺ ولم يبق معه بمكة ينتظر الإذن إلا أبو بكر وعلي سوى العائلات ، اللهم إلا أن يكونوا أرخوا برأس السنـة الـذي هو محرم ، وأمـا إن أرخـوا للهجرة بغرة ربيع كما كان

سفره ﷺ فلا ؛ لقول أسماءَ في حديث الهجرة : وَأَنا متم أي أتممت أَشهر الحمل . ولقول عبد الله : هاجرت أُمي وأَنا حمل فما أَصابها من ظمإٍ ومخمصة ونصب فقد أَصابني .

وقوله : وتل أي صرع ، أي صرعه على خده وجبينه ، ومنه قوله تعالى ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[1] أي صرعه على جبينه . والجبينان العظمان المكتنفان الجبهة ، وجرجير هو ملك أَفريقية ، وهو يشير بذلك إلى قتل عبد الله بن الزبير جرجيراً ؛ وذلك أَن عثمان رضي الله عنه بعث جيشاً إلى أَفريقية أَميره عبد الله بن سعد بن أَبي سرح من بني عامر بن لؤي ، قال عبد الله بن الزبير : هجم علينا جرجير ملك أَفريقية في عشرين ومائة أَلف ، فأَحاطوا بنا والمسلمون عشرون أَلفاً فقط ، فاختلف الناس على ابن أَبي سرح ؛ فدخل فسطاطه وخلا فيه ، ورأَيت غرة من جرجير فبصرت به خلف عساكره على برذون أَشهب ، معه جاريتان له تظللان عليه بريش الطواويس ، بينه وبين جنده أَرض بيضاءُ ليس فيها أَحد ، فخرجت أَطلب الإذن على ابن أَبي سرح لأُخبره بغرته ، فأَتيت حاجبه فأَبى أَن يأْذن لي عليه ، فدرت من كسر الفسطاط فدخلت عليه فوجدته مستلقياً على قفاه يفكر ، ففزع واستوى جالساً فقلت : إيه إيه كل أَزب نفور . فقال : ماذا أَدخلك عليَّ ياابن الزبير بدون إذن ؟ . فقلت : رأَيت غرة من العدو فاندب الناس . قال : وماهي ؟ فأَخبرته فخرج معي سريعاً وقال : أَيها الناس انتدبوا مع عبد الله بن الزبير . فأَخذت ثلاثين فارساً وقلت : احملوا في ظهري . وحملت في الوجه الذي رأَيت فيه جرجيراً ، فما كان إلا أن خرقت الصف إليه ، فخرجت صامداً إليه فحسب هو وأَصحابه أَني رسول إليه حتى دنوت منه ، فعرف الشر وأَدبر

(١) سورة الصافات : ١٠٣

ببرذونه مولياً ، فأدركته فطعنته فسقط ، وسقطت الجاريتان عليه وأهويت عليه فضربته بالسيف ، فأصبت يد إحدى الجاريتين فقطعتها ، ونزلت إليه فحـزت رأسه وجعلته في رمحي ، وحملت الرمح وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه ، وارفض العدو في كل وجه ومنح الله أكتافهم ، ووجهني ابن أبي سرح بشيراً إلى عثمان بن عفان ، فقدمت عليه فأخبرته بفتح الله ونصره ، ووصفت له أمرنا كيف كان ، فلما فرغت من ذلك قال : هل تستطيع أن تؤدي ذلـك للناس . قال : قلت : ومايمنعني من ذلك ؟ . أنت أهْيَبُ عندي منهم . قال : فاخرج إلى المسجد فأخبرهم . فخرجت حتى أتيت المنبر فاستقبلت الناس ، فتلقاني وجه أبي الزبير فدخلتني هيبة ، فعرفها مني فقبض قبضة من حصى وجمع وجهه في وجهي وهم أن يحصبني ، فاعتزمت فتكلمت فقال أبي الزبير حين فرغت : كأني سمعت كلام أبي بكر الصديق ، فمن أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها أو أخيها فإنها تأتيه بأحدهما . قال المصعب الزبيري : وبشر عبد الله بن الزبير مقدمه من أفريقية بابنه خبيب وهو أكبر ولده وبأخيه عروة . وفي غيره أن عروة ولد في خلافة عمر يوم مات أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ .

وقوله : وقال سابي ابنته أي ابنة جرجير ، ولم نقف على تعيينه ، ولكن يدل شعره على أنه من بني عمرو بن عوف لأنهم هم أهل قباءَ ، وكان مردفها فجعل يقول :

يابـنـت جرجـير تمشّيْ عقبتـك ... إن عليـك بالحـجـاز ربتـك
لتحملن من قباءَ قربتك

فسألت عما يقوله ففسر لها فرمت بنفسها من فوق البعير مصوبة رأسها فهلكت .

أَلْقَىٰ الحِجَـازُ وَالْعِـرَاقُ وَالْيَمَنْ

وكَـادَ مَرْوَانُ إِلَيْـهِ بالـرَّسَنْ

يعني أن عبد الله بن الزبير لما مات معاوية ، وكان عقد الأمر من بعده لابنه يزيد ، أبى هو والحسين أن يبايعا ليزيد ، وكان بعث إلى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان ـ وهو أمير على المدينة ـ أن يأخذ له البيعة على أهلها ، فبعث الوليد إلى الحسين وعبد الله بن الزبير ليلاً فالتقيا فقال له الحسين : ماظنك بحاجته إلينا في هذا الوقت ؟ . فقال له ابن الزبير : أظن أن طاغيتهم قد مات ـ يعني بني أمية ويعني بالطاغية معاوية ـ فلما أتياه سألهما أن يبايعا فقالا : لانبايع ليلاً . فخرجا ولم يبايعا ؛ أما الحسين فقصد العراق وكان أهله وعدوه بالبيعة ، فنهاه ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وودعه ابن عمر وعانقه وقال له : أستودعك الله من قتيل . وقال له ابن عباس وقيل ابن الزبير : أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وأخرجوا أخاك ؟! . فقال الحسين : أتتنا بيعة أربعين ألف رجل من أهل الكوفة وأقل من أهل العراق .

وأما ابن الزبير فقد قدم مكة يقول : أنا عائذ البيت[1] من القتل والقتال . ولذلك يقال له : عائذ البيت . ويقال له أيضاً : المحل ؛ لما زعموا من أنه أحل القتال بمكة . قال ابن أبي ربيعة يتغزل برملة بنت الزبير :

ألا من لقـلب مُعَـنّى غزل
بذكـر المُـحِـلّة أخت المُـحِـلّ

(١) قلت : هذه القولة تلوح عليها علامات الوضع ؛ لقد كان ابن الزبير أعلم وأرسخ قدماً من أن يعيذ بمخلوق . سبحانك هذا بهتان عظيم .

فلما قدم ابن الزبير مكة دعا إلى نفسه ، فبايعه أهل مكة ثم سائر أهل الحجاز ثم أهل اليمن ، وولى عليهم البهرزي بن الأزرق الجواد ممدوح أبي دهبل ، قالوا : إنما عزله حسداً ، ثم بايعه أهل العراق فولى عليهم أخاه مصعباً .

وقوله : وكاد مروان يعني أهل الشام ؛ لأنهم بايعوا بعد يزيد بن معاوية مروان ، فلما رأى أمر ابن الزبير طالعاً اهتم بأن يخلع له الأمر فيبايعه حتى التقى جيشاهما بمرج راهط ، وقد كان مروان على رأس جيشه ، وكان على جيش ابن الزبير الضحاك بن قيس وزفر بن الحارث الكلابي ، فقتل الضحاك وانهزم زُفر بن الحارث ، ثم مات مروان ولم تبلغ إمارته سنة ، فبويع لعبد الملك ، فنازع ابني الزبير حتى قتلهما .

لطيفة : يروى عن جماعة أنهم اجتمعوا في الحرم وهم : عبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن الزبير ، ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان اجتمعوا وقالوا : تعالوا فليستلم كل واحد منا الركن وليدع بماشاءَ . فقام عبد الله بن الزبير ودعا أن لايميته الله حتى يملك الحجاز ، ودعا مصعب بن الزبير أن لايموت حتى يملك العراق ، ويجمع بين عقيلتي قريش ؛ سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، ودعا عبد الملك أن يملك الأرض شرقاً وغرباً ، وأن لاينازعه أحد إلا أتي برأسه . ودعا ابن عمر أن لايموت حتى يرى مقعده في الجنة فاستجيب لكلهم .

عَلَيْـهِ إِذْ آثَـرَ أَفـخَـاذَ أَسَـدْ

مِثْـلَ التُّوَيْتَاتِ ابْنُ عَبَّاسٍ وجَدْ

حَتَّى جَرَتْ بَيْنَهُمَا مُشَاجَرَهْ

أَدْخَلتِ الأَشْرَارَ بَيْنَ البَرَرَةْ

عليه الأَول من البيت متعلق بوجد الأَخير منه ؛ أَي وجد أَي اغتاظ عبد الله بن عباس على عبد الله بن الزبير ، لما آثر أَفخاذ بني أَسد بن عبد العزى وهم التويتات والحميدات والأُسيات ، فقال عبد الله بن عباس : ابن الزبير آثر الحميدات والتويتات والأُسيات ؛ أَما الحميدات فسيأْتي ذكرهم إن شاءَ الله في بني الحارث بن أَسد ، وأَما التويتات فهم بنو تويت بن حبيب ابن أَسد ؛ منهم الحولاءُ بنت تويت التي سمعها النبي ﷺ تقرأ فقال : مَاهٰذَا ؟ . فقيل : تلك الحولاء بنت تويت لاتنام الليل . فكره ذلك وقال : «**إكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَاتُطِيقُونَ**» . **وقال** : «**إِنَّ هٰذَا الدِّينَ مَتِينٌ لاَيُشَادُّهُ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**» ومنهم عطاءُ بن ذؤيب بن تويت وقد انقرضوا .

وأَما الأُسيات فمن الحميدات ؛ وهم بنو أُسامة بن عبد الله بن حميد ، منهم عبد الله بن أُسامة قتل مع ابن الزبير .

وقوله : حتى جرت بينهما مشاجرة أَي بين عبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير ؛ ذلك أَنه لما وجد ابن عباس على ابن الزبير علم بذلك يزيد بن معاوية ، فأَرسل إلى ابن عباس يستميله ، فشمت به ابن الزبير فقال له ابن عباس : لأَن يربني رجل من بني عمي أَحب إلي من أَن يربني رجل من غيرهم . فغاظ ذلك ابن الزبير حتى حبس ابن عباس ومحمد بن الحنفية في سجن بالكوفة يقال له عارم ؛ وكان أَول من بناه سيدنا علي كرم الله وجهه . والأَشرار : يعني يزيد بن معاوية ورهطه . ويعني بالبررة ابن عباس وابن الزبير .

مِنْ حَرَمٍ لِحَرمٍ يَصُومُ
وكُلُّ هَيْئَةٍ بِهَا يَقُومُ

يعني أن عبد الله بن الزبير عادته أنه إذا خرج من المدينة يريد مكة ، أو من مكة يريد المدينة لا يفطر فيما بينهما ، ويقوم الليل حتى إنه قامه على كل هيئة ؛ من قيام وركوع وقعود وسجود .

وَيَوْمَ مَاتَ اشْتَغَلُوا عَنِ الطَّوَافْ
إلَّا بَعِيراً حَفَّ بِالبَيْتِ وَطَافْ

يعني أنه يوم قتل عبد الله بن الزبير اشتغل الناس عن الطواف بالقتال ، ويروى أنه رئي بعير جاءَ إلى البيت وطاف بجوانبه ، وذلك أن مكة لاتخلو من طائف ، وكان يوم موته رضي الله عنه يوم الثلاثاءِ السابع عشر من جمادى الأولى أو الثانية سنة ثلاث وسبعين وذلك مدة حياته ، قتله الحجاج ابن يوسف لعبد الملك ؛ ولما قتل مصعب قال عبد الملك : من لابن الزبير ؟ . فقال الحجاج : أنا يا أمير المؤمنين ، فإني رأيت في المنام أني أسلخه سلخ الشاة ، فبعثه في أربعة آلاف وسبعمائة ، فقتله وقتل معه مائتين وأربعين رجلاً ، وإن منهم لمن سال دمه في جوف الكعبة ، وصلب ابن الزبير لمدة ثلاثة أيام فجاءَت أمه أسماءُ بنت أبي بكر فقالت : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ . فقال لها الحجاج : المنافق ؟ . فقالت : والله ماكان منافقاً ، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ أَمَّا الْكَذَّابُ فَالْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَأَنْتَ»** ، فأنزل وغسل وكفن عضواً عضواً ، كلما غسل عضو وضعوه في أكفانه ، فصلت عليه رضي الله عنها .

وكانت تقول : اللهم لاتقتلني حتى تقر عيني بجثته . وما أتت عليها جمعة حتى ماتت . ويحكى أنها لما قتل ابن الزبير حاضت وقطر اللبن من ثدييها ؛ وهي عجوز قد كف بصرها !! .

والحاصل أن عبد الله بن الزبير قتل جرجيراً في سبيل الله ، وأن الحجاج بن يوسف قتل ابن الزبير في سبيل عبد الملك ، فسبحان من يعامل بفضله وعدله .

وَإِذْ بِنَاءَهُ ابْنُ مَرْوَانَ نَقَضْ
نَدَّمَهُ الْقُبَاعُ جِدّاً وَعَرَضْ
لما بَنَى مُبِيرُهُ الْمَنْصُورُ
وَرَدَّهُ إِمَامُنَا الْمَشْهُورُ

قوله : وإذ بناءه الخ . يعني عبد الله بن الزبير . وابن مروان هو عبد الملك . والقباع هو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي . ومبيره أي مبير عبد الملك وهو الحجاج بن يوسف ، كما قالت له أسماءُ بنت أبي بكر . والمنصور هو أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ثاني خلفاءِ بني العباس . وإمامنا المشهور هو مالك بن أنس . يقول : لما قتل الحجاج ابن الزبير بعث إلى عبد الملك : إن هذا الرجل بنى البيت على غير الهيئة التي تركه عليها رسول الله ﷺ فهل تأذن لي في أن أرده إليها ؟ . فأمره بذلك ، ونقض بناءَ ابن الزبير فبناه على مابنته قريش حين قصرت بهم النفقة أن يبنوه على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام [وكان سبب تغيير ابن الزبير لبناءِ الكعبة لما أخبرته به أم المؤمنين عائشة رضي الله

عنها أن رسول الله ﷺ] قال لها : **«لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثو عَهْدٍ بِكُفْرٍ لَبَنَيْتُ الْبَيْتَ عَلَىٰ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ»** ، وكان ﷺ يرغب الناس في الإسلام ،ويؤلفهم بالمال والصفح عن العصم والعوائد التي تخالف الشرع ، فلما استحكم الاسلام في قريش بعد تأسيس الخلفاءِ له ، وولي ابن الزبير مكة اهتم بأن يمضي ما منع رسول الله ﷺ حدثان قريش بالكفر ، فجمع الصحابة على صحة الحديث ، ثم شاور أكابر قريش فجعل يهدم البناءَ الأول ولا ينقض حجراً إلا بحضرة قريش ويقول : أخاف أن يقولوا أني غيرت قبلتهم . حتى بناها على قواعد إبراهيم .

وفيه دليل على أن حفر موضع القدمين قديم

وحضر أبو جهم بن حذيفة العدوي بناءَ قريش البيت وبناءَ ابن الزبير وكان يقول : أدركت مقام ابراهيم وفيه أثر قدمه ، ومارأيت أشبه شيءٍ بشيءٍ من قدم نبيكم بها . ويقول : أعرف هذا الحجر وفيه بقية بياض . ودخل الحارث القُباع على عبد الملك فذكر له صواب ابن الزبير ، وتصحيحه للحديث ومشاورته لأجله قريش وكذا وكذا حتى ندم على إذنه للحجاج ، واهتم بأن يرده على مابناه ابن الزبير ولكنه لم يفعل ، فلما ولي المنصور الخلافة عزم على نقض بناءِ بني أمية فنهاه الإمام مالك ، وقال له : لئلا يكون بيت الله لعبة الملوك كلما ملك واحد نقضه . فتركه المنصور وبقي على بناءِ الحجاج إلى الآن .

وَعَمُّهُ نَوْفَلُ صِنْوُ أُمِّنَا

طَلْحَةَ وَالصِّدِّيقَ قَهْراً قَرَنَا

الضمير في عمه يعود إلى حكيم في قوله : ومن خويلد حكيم ؛ لأنه المحدث عنه والمترجم له ، فدخل في ذلك ذكر عبد الله بن الزبير وإن طال الكلام عليه ، ونوفل هو ابن خويلد . والصنو الأخ يعني أن نوفلاً هذا أخو أمنا خديجة ؛ وكان شديداً على من أسلم ، ولم يزل على ذلك حتى مات يوم بدر على شركه ، وكان ابنه الأسود بن نوفل من أكابر الصحابة ، وممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وهو جد يتيم عروة بن الزبير الذي يحدث عنه ، واسمه محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل . ومن شدة نوفل على من أسلم من قريش أنه قرن أبا بكر وطلحة بن عبيد الله في حبل بمكة ، حتى كان يقال لهما القرينان ، وإنما قرنهما قهراً ؛ لأن من أسلم قلما ينتصر له قومه إذا أوذي على الإسلام .

مِنْ نَوْفَلٍ وَرَقَةُ وَالحَارِثُ
مِنْهُ سَعِيدٌ الشُّجَاعُ الْعَابِثُ
بِالْمُتَجَرِّدِ غَدَاةَ الْحَرَّةَ
وَمَا دَرَى مِنْ ذُعْرِهِ بِالْعَرَّهْ

يعني أن ورقة بن نوفل الذي كره عبادة الأوثان ، وطلب الدين في الآفاق ، وقرأ الكتاب ، وقال فيه ﷺ : «**لاتَسُبُّوا وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلَ فَإِنِّي رَأَيْتُهُ فِي ثِيَابٍ بِيضٍ**» ، وكانت خديجة تسأله عن خبر رسول الله ﷺ ويقول لها : والله لهذا الناموس الذي كان يأتي موسى . وتوفي في ذلك قبل أن يصرح[1] بالإسلام فيكون صحابياً .

(١) صوابه قبل البعثة ، ولو أنه أدركته البعثة لما وسعه إلا النطق بالشهادتين ، ولاينجيه شيء غير ذلك .

وذكـره ابن حجر في الصحابة لقول ابن اسحاق في حديث ذكره : «رَأَيْتُهُ فِي ثِيَابِ الْحَرِيرِ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي» ، وقال ابن مندة : والأظهر أنه مات قبل الرسالة وبعد النبوة . ا . هـ . كلام ابن حجر .

ومر ببلال يعذب برمضاء مكة وهو يقول : أحد أحد . فقال : أحد أحد والله يابلال . ونهاهم عنه فلم ينتهوا وقال : والله لئن قتلتموه لأتخذن قبره حناناً . ومن شعر ورقة :

ارفـع ضعيفـك لايحل بك ضعفه
يومـاً فتـدركـه الـعـواقب قد نما
يجزيـك أويـثـني عليـك فإن من
أثـنى عليـك بما فعلت كمن جزى

وله أيضاً :

لقـد نصـحـت لأقـوام وقلت لهم
أنـا الـنـذيـر فلا يغـرركـم أحـد
لاتـعـبـدون إلهـاً غير خالـقـكم
فإن أبـيـتـم فقـولـوا بيـنـنـا حَدَد
سبحـان ذي العرش لاشيءُ يعادلـه
وقـيـل سبَّحَـه الجـوديُّ والجـمـد
مسـخَّـر كل ماتحـت الـسـماءِ له
لايـنـبـغي أن يسـاوي ملكـه أحـد
لم تغـن عن هرمـز يومـاً خزائـنهـم
والخـلد قد حاولـت عاد فما خلدوا

ولاسليمان إذ دان الشعوب له

والجن والإنس تجري بينها البرد

لاشيءَ مما ترى تبقى بشاشته

يبقى الإله ويودي المال والولد

ولاعقب لورقة بن نوفل ولأخيه صفوان إلا من ابنته بسرة بنت صفوان ؛ فهي أم معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، أبو عائشة بنت معاوية أم عبد الملك بن مروان وأخيه معاوية المحقق ، فمروان صاهر بسرة على ابنتها عائشة ، وهو أول من حدث عنها قال : حدثتني بسرة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مِنْ مَسِّ الذَّكَرِ الْوضُوءُ» ، وأخذ به مالك لأن مروان لايتهم في حديثه ؛ لصدق لهجته وضبط فؤاده ، وكانت بسرة من المبايعات .

ولنوفل أيضاً عدي ، وفيه العقب من نوفل ، ومنه فاطمة القائلة لعبد الله بن عبد المطلب : قع علي ولك مثل الإبل التي نحرت عنك . فقال :

أما الحرام فالممات دونه

والحل لاحل فأستبينه الخ

وهي فاطمة بنت نوفل بن عدي ، فمر بها عبد الله بالغد وقد وضع نور النبوة فلم تكترث به فقال لها : مالك لاتعرضين علي ماعرضت علي بالأمس ؟ . فقالت لقد فارقك النور الذي كان معك بالأمس . ثم أنشأت تقول :

وأجمل إذا حاولت أمراً فإنه

سيكفيكه جدان يصطرعان

سيكفيكه إما يد مقْفعِلّة

وإما يد مبسوطة ببنان

سعيد بن الأسود بن أبي البختري
وشجاعته يوم الحرة

ولم يذكر الناظم لنوفل إلا ورقة والحارث ، أي وأما الحارث ـ يعني الحارث بن أسد بن عبد العزى فقد شرع في الكلام عليه ـ فمنه سعيد بن الأسود بن أبي البختري بن هشام بن الحارث بن أسد المشهور بالشجاعة والجمال وهو لأم ولد ، وفيه يقول القائل :

ألا ليتني أشري وشاحي ودملجي
بنظرة عين من سعيد بن الأسود

وكان يختال في مشيته ـ وكان ذلك سجية منه ـ ونظر إليه ابن الزبير وهو يقاتل بمكة ويتبختر فقال : كنت أمقته على هذه المشية حتى علمت اليوم أنها سجية منه . وقوله : العابث بالمتجرد الخ . يشير به إلى أن رجلاً ممن شهد الحرة كان يحدث فيقول : انهزمت فيمن انهزم من الناس ، فلحقت سعيد بن الأسود مترسلاً يتبختر والدماءُ تسيل منه ، قد باشر القتال ، فتنفست به وخشيت أن يقتل فقلت له : بأبي أنت وأمي انج فقد أدركك الطلب . فنظر نحوي وتبسم ،فلحق بنا فارس من أهل الشام ، فكر عليه سعيد فقتله فخرجت إليه فقلت : الحمد لله الذي أظفرك به . فالتفت نحوي ثم تبسم فجعلت أتعجب من ضحكه وافترقت بنا الطريق ، فلما أضر بي البرد من الليل إذا أنا عريان ، فعلمت أنه إنما ضحك من عُريي .

ومادرى أي وماعلم أي المتجرد ، من أجل ذعره أي فزعه بالعرة التي لحقت به ؛ وهي عريه والناس ينظرون إليه . وغداة الحرة ، يعني حرة واقم ؛

وهو يوم أوقعه يزيد بن معاوية بأهل المدينة ، لم يتقدم مثله في الإسلام .

[وسبب يوم الحرة هو أن يزيد] لما قتل الحسين رضي الله عنه ، علم أنه لامنازع له بعد ، فاشتغل بالانهماك في ملكه بشرب الخمر وجميع المحرمات ، فبلغ ذلك أهل المدينة بعد أن حنقوا عليه لقتل الحسين ، فوفدوا عليه ينظرون ماهو عليه عن كثب ، فأحسن جوائزهم ، ولكنهم رأوا فيه من ارتكاب المحرمات مازادهم عليه حنقاً ، وعندما قدموا المدينة خلعوه ، وجعلوا على الأنصار عبد الله بن حنظلة الغسيل ، وعلى قريش عبد الله بن مطيع العدوي ، وعلى سائر المهاجرين من غيرهم معقل بن سنان الأشجعي ، فبعث إليهم يزيد اثني عشر ألف مقاتل من الشام ، وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري ، وخرج أهل المدينة فالتقوا بالحرة ، فانهزم أهل المدينة وقتل معقل ابن سنان وعبد الله بن حنظلة ونجا عبد الله بن مطيع ، وكان مسلم بن عقبة إذا أخذ رجلاً يقول له : بايع أمير المؤمنين على أنك عبد قن ، إن شاءَ أعتق وإن شاءَ استرق . فإن أقر له بذلك أرسله وإن قال له : أبايع على أني حر وابن عم . قتله ، فقتل من الصحابة ثمانين أو أكثر ، ومن أبناءِ الصحابة وسائر الناس والنساءِ والصبيان اثني عشر ألفاً ، ولم يبق بعدها أحد شهد بدراً . وممن قتل من أبناءِ الصحابة يعقوب بن طلحة بن عبيد الله ، وفيه يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

شباب كيعقوب بن طلحة أقفرت

منازلهم من دومة وبقيع

وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً ولذلك سمي مسرفاً ومجرماً ، وكان أوصاه يزيد بذلك ، ومكثت أسبوعاً لايدخلها إلا عوافي السباع ، تلد فيها الضباع والذئاب .

وكان بعض العلماءِ أبى خلع يزيد منهم عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبد الله فنهى يزيد عن قتلهم ، فدخل بعض الجيش على أبي سعيد الخدري في داره وقالوا له : قد سمعنا بما فعلت ، إنا لانريد قتلك ولكن ادفع إلينا المال . فقال : ذهب به الذين من قبلكم . فضربوه ونتفوا شعره وأخذوا ماوجدوا في الدار ، حتى زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما ، وخرج جابر وهو مكفوف البصر فجعل يعثر في جثث القتلى ويقول : ويل لمن أخافه الله ، فقيل له ماتقول ؟ . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ أَخَافَ الْمَدِينَةَ أَخَافَهُ الله» فضربوه حتى كادوا يقتلونه ، فاستنقذه منهم مروان ؛ ولما فرغ مسرف ابن عقبة من المدينة خرج إلى مكة يريد عبد الله بن الزبير ـ وكان يزيد أمره بذلك ـ فلما كان بالطريق مات من مرض كان ببطنه ، وكان يزيد قال للجيش : إن أُصيب مسلم فأميركم الحصين بن نمير السكوني ـ وسكون قبيلة من كندة ـ فقدم الحصين على ابن الزبير بمكة وحاصره حتى سمع بموت يزيد ، فأراد من ابن الزبير أن يجعل له شيئاً ويبايعه ، فامتنع ابن الزبير ، فقال الحصين : لعن الله من يعدك خليفة ، أسارُّك فتجاهرني ، وأكلمك بكلام الملوك وترد علي رد السوقة . ثم ارتحل الحصين بجيشة إلى الشام ، فبايع ابن الزبير أهل الحجاز وأهل اليمن وأهل العراق ، واهتم مروان أن يبايعه فمات قبل ذلك وقام عبد الملك بالأمر بعده .

ذكر أبي البختري بن هشام

وَهْــوَ ابْنُ الأَسْــوَدِ إِمَــامُ يَثْـرِبِ

ابْــنُ أَبِي الـبَخْــتَرِ مُتْحِفِ النَّبِي

وهو أي سعيد بن الأسود وأبوه من مسلمة الفتح ، واصطلح عليه أهل المدينة يصلّون به ، زمن اختلاف علي ومعاوية ، فأمهم إلى أن اصطلح الناس . وأبو البختري اسمه العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وقد قيده النووي في شرح مسلم بفتح الباءِ وبالخاءِ المعجمة وكسر التاءِ .

وقوله : متحف النبي أي مكرمه في الشعب ؛ فقد كان يدخل الطعام على بني هاشم طيلة مقامهم بالشعب ، وتبرأ من الصحيفة ، وقام في نقضها ؛ وأمه أروى بنت الحارث بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وأم آمنة عمتها وهي برة بنت عبد العزى ، ولأفعال أبي البختري نهى النبي ﷺ عن قتله يوم بدر ، ثم لقيه مجذر بن ذياد ومعه زميل له فقال مجذر : يا أبا البختري ، نهى رسول الله ﷺ عن قتلك . قال : وزميلي ؟ . قال : زميلك مانهانا عن قتله . قال أبو البختري ؛ والله لاتتحدث نساءُ مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة . فسل سيفه وحمل على المجذر فسبقه المجذر بأن طعنه فقتله . وكان أبو البختري يرتجز قبل الموت بقوله :

لايسلم ابن حرة زميله
حتى يموت أو يرى زميله

وقال مجذر :

بشر بيتم إن لقيت البختري
أو ابشرن بمثلها مني بني
أنا الذي أزعم أصلي من بلي
أضرب بالحربة حتى تنثني

وقال المجذر لرسول الله ﷺ : لقد اجتهدت في أن يستأسر فأبى إلا القتال .

الذي قال : لو مات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة

ومن ولـد أبي البختري أيضاً طلحة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الأسود بن أبي البختري ، وأمه برة بنت سعيد بن الأسود ، وأمها فاطمة بنت علي بن أبي طالب لأم ولد ، وأم أبيه حميدة بنت طلحة بن عبد الله بن مسافع ابن عياض الذي قال : لومات رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَمَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذوا رَسُولَ الله ﴾[1] . وأم حميدة بنت طلحة أم كلثوم بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ، ولهذه المولودات يقول طلحة بن عبد الرحمن :

جدي علي وأبـو الـبـخـتري
وطـلحـة الـتـيـمي والأسـود

وجـدّيَ الـصـديـق أكـرم به
جـداً وخـالي المـصـطفى أحمـد

وهٰكـذَا الْبِـطْرِيقُ عُثْمانُ الَّـذِي
لَوْلاَ أبُـو زَمْعَـةَ الاسْوَدُ الْبَـذِي

لأَخَـذَ الْـبَـيْـعَـةَ لِلْقَـيَـاصِرَةْ
عَلَىٰ قُرَيْشٍ اللِّقَـاحِ الْـوَاتِـرَهْ

---

١ ـ سورة الأحزاب : ٥٣

وهكـذا أي في النسب إلى بني الحـارث بن أسـد والبطريق من قواد الروم ، وتحته عشرة آلاف رجل . والرجل المختال ، ولا أدري بأيهما سمى هذا القـرشي عثمان بن الحويرث ـ وكان عند قيصر ـ فسأله أن يملكه على قريش وقال له : أحملهم على دينك فيدخلون في طاعتك . ففعل وكتب له كتاباً وختمه بالذهب ، فعظم ذلك وهابوا قيصر وهموا أن يدينوا له ، فقام أبو زمعة ـ وهو الأسود بن المطلب ـ فصاح به والناس في الطواف فقال : ألا إن قريشاً لقاح ، لاتملك ولاتملك . فتتابعت قريش على كلامه ومنعوا البطريق مما جاءَ له . واللقاح : القوم الذين لايدينون للملك . والواترة : هم الذين يأخذون بأوتارهم من عدوهم . ومن بذاءَة الأسود أنه كان من المستهزئين كما قدمنا .

ومن بني الحارث بن المطلب عبد الله بن حميد بن الحارث ، الذي قتله علي رضي الله عنه مبارزة يوم أحد ، وهو الذي كان له ولاءُ حاطب بن أبي بلتعة ، وقيل ولاؤه للزبير بن العوام والصحيح الأول .

نسب بني عبد مناف بن قصي

عَبْـدُ مَنَـافٍ قَمَـرُ الْبَـطْحَـاءِ
أَرْبَـعَـةٌ بَنُـوهُ هَؤُلَاءِ
مُطَّلِبٌ وَهَـاشِـمٌ وَنَـوْفَـلُ
وَعَبْـدُ شَمْسٍ هَاشِمٌ لَايُجْهَـلُ

عبد مناف مبتدأٌ خبره قمر البطحاءِ . وبنوه مبتدأٌ خبره أربعة ، وهؤلاءِ مبتدأٌ خبره مطلب ومعطوفاتها . وهاشم لايجهل مبتدأٌ وخبره ؛ والبيتان بنيا على أربع جمل أسمية ، وبدأ بهاشم لشرفه عليهم بعد أن نبه على ذلك الشرف بقوله : وهاشم لايجهل أي لشرفه وعلو ذكره .

وذكر بعض من خرج منه فقال :

مِنْـهُ ضَعِيفَـةُ رَبِيبَـةُ أَبِيـهْ
وَأَسَـدُ جَدُّ عَلِيٍّ الْـوَجِيـهْ

أي ومن هاشم ضعيفة بنت هاشم ؛ وهي ربيبة عبد مناف والد هاشم ؛ ذلك أنه خلف على أمها بعد وفاة أبيه ، وهي أم نوفل بن عبد مناف وواقدة بنت أبي عدي من بني مازن بن صعصعة ، فلم تلد له غيرها ، وكان ذلك نكاحاً صحيحاً قبل القرآن .

وربيب الرجل : ابن زوجته . ومن هاشم أيضاً أسد جد علي بن أبي طالب لأمه ، وجد إخوته الثلاثة وأختيه أم هانىءٍ وجمانة ، وكان بنو أبي طالب كلهم محضاً لأنهم أول هاشمي ولدته هاشمية . أما ضعيفة بنت هاشم فقد تزوجها وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وولدت له أولاداً ليس من بينهم آمنة .

وَجَـدَّةُ السَّـائِبِ مُشْبِـهِ النَّبي

ثُمَّ أَبُـو صَفِـيٍّ الْمُـهَـذَّبِ

وَنَـضْـلَةُ وَانْـقَـرَضُـوا وَالْعَقِبُ

فِي شَيْبَـةٍ أَخِيـهِـمَا وَالحَسَبُ

أي ومنه جدة السائب بن عبيد الذي كان يشبه النبي ﷺ وهو جد الإمام الشافعي ـ ويأتي ذكره إن شاءَ الله ـ وهي شقيقة عبد المطلب واسمها الشفـاءُ . ومنه أبو صيفي وليس له إلا صيفي ، ورقيقة أم مخرمة بن نوفل الزهري . وصيفي درج بعد أن كان له ذكر . والمهذب : صفة لصيفي ومعناه الصفي النسب الطاهره . ومنه نضلة وانقرض هو وأخوه أبو صيفي وانقطعا ، وبقي العقب في أخيهما عبد المطلب والحمد لله .

وَإِذْ بَنِي شَيْبَـةَ أَشْبَـعَ الـنَّبي

بِمَا لَوْ انَّ كُلَّ وَاحِـدٍ حُبِـي

بِمِـثْـلِهِ اسْـتَـعْـمَـلَهُ زَبَـرَهُـمْ

مَاردُهُـمْ زَاعِـمًا أَنْ سحَـرَهُـمْ

فَصَــدَّهُمْ وَهُمْ زُهَــاءَ أَرْبَعِــيْنْ

وَقَــدْ دَعَـاهُمْ لِلدِّيَـانَـةِ الأَمِـيْنْ

يشير بهذا إلى أن النبي ﷺ لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين ﴾[1] ذبح شاة وملأ ركوة وجمع بني عبد المطلب ـ وهم يومئذ نحو الأربعين ـ فشبعوا كلهم من الشاة ، ورووا من الركوة ، وكان الواحد منهم يأكل الشاة ويشرب الركوة ، ثم قال لهم : «يَابَني أَبي ، أَرَأَيْتُم إِنْ وَقَفْتُ عَلَى الصَّفَا وَأَشَرْتُ لَكُمْ بِفَضْلِ كِسَائِي وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ : وَاصَبَاحَاهُ وَاصَبَاحَاهُ أَنَا نَذِيـرٌ لَكُمْ مِنْ عَدُوٍّ أَقْبَـلَ عَلَيْكُمْ . أَتُصَــدِّقُونِني أَنْتُمْ» ؟ . قالـوا : كيف لا نصدقك وماجربنا عليك كذبة قط ؟ . وقد سميناك الأمين لصدقك . قال : «إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» . فقام أبو لهب وقال : تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ . وقال للقوم : سحركم الساحر فقوموا إلى أهليكم وأموالكم . فنزل فيه قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[2] جزاءً لقوله : تباً لك . وحبى : أعطى . واستعمله : أكله وشربه . وزبرهم : زجرهم ، وماردهم : أبو لهب ؛ وهو من صفات الشيطان واستعاره لأبي لهب .

---

(١) سورة الشعراء : ٢١٤

(٢) سورة المسد : ١

ذكر بنات عبدالمطلب وأزواجهن

أُمَّ حَكِيمٍ بِنْتُ عبـد المـطلب

تَحْتَ كُرَيْـزٍ وَأُمَـيْـمَـةُ انْتُخِبْ

جَحْشٌ وَعَـاتِـكَـةُ زَوْجَـةُ أَبي

أُمَـيَّـةٍ أُمُّ الْكِـرَامِ الـنُّجُـبِ

ثم شرع يذكر عماته ﷺ وأزواجهن ، فبدأ بأم حكيم لأنها توأمة عبد الله ويقال لها : البيضاءُ . ويقال لها أيضاً : الحصان . وكانت تقول : أنا الحصان فما أكلم ، والصناع فما أعلم . وتزوجها كريز ـ بصيغة التصغير ـ ابن حبيب بن عبد شمس فولدت له عامراً وبنات منهن أروى أم عثمان بن عفان أسلما وصحبا . وأميمة بنت عبد المطلب انتخبها أي أختارها جحش ابن رئاب الأسدي حليف بني أسد بن عبد شمس ، فتزوجها فولدت له عبد الله المجدع وأبا أحمد الأعمى الشاعر ، وعبيد الله الذي تنصر بأرض الحبشة بعد أن هاجر إليها مع المسلمين ، ومات علي نصرانيته عن أمنا أم حبيبة وهو أبو ابنتها حبيبة ؛ وأمنا زينب بنت جحش وأختها حمنة بنت جحش .

وعاتكة بنت عبد المطلب تزوجها أبو أمية بن المغيرة الذي يقال له زاد الركب ، فولدت له الكرام النجب وهم : عبد الله بن أبي أمية الذي كان شديداً على النبي ﷺ بمكة ، ثم خرج مع أبي سفيان بن الحارث فأتياه يريدان

مكة ، فأعرض عنهما ثم قبل منهما الإسلام بعد لأي ، فكانا نعم الصحابيان هما ، فقد استشهد عبد الله بالطائف ، وولدت له قريبة الكبرى بنت أبي أمية أم بني زمعة بن الأسود ،وقد اختلف في إسلام عاتكة ،وهي صاحبة الرؤيا التي قال أبو جهل فيها للعباس : متى قامت فيكم هذه النبية ؟ .
وهي القائلة تصف سلاح حرب الفجار :

بعكاظ يعشى الناظرين
إذا هم لمحوا شعاعه

وَبَرَّةٌ تَحْتَ أَبِي رُهْمٍ ثَوَتْ
وَبِأَبِي سَبْرَةٍ النَّدْبُ أَتَتْ
وَهِيَ أَيْضاً زَوْجُ عَبْدِ الْأَسَدِ
أُمِّ أَبِي سَلَمَةٍ الْمُهْتَدِي

وبرة بنت عبد المطلب اختلف أيضاً في إسلامها ؛ تزوجها أبو رهم بن عبد العزى فولدت له أبا سبرة بن أبي رهم ، أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً فما بعدها ، وتوفي في خلافة عثمان ولم يزل بمكة ، قالوا : ولايعرف أحد من أهل بدر رجع إلى مكة غيره ، وتزوج برة بنت عبد المطلب أيضاً عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فولدت له سيدنا عبد الله أبا سلمة .

تَحْتَ عُمَيْرٍ بْنِ وَهْبٍ أَرْوَى
إِسْلَامُهَا فِيهِ خِلَافٌ يُرْوَى

والصحيح إسلامها . وعمير بن وهب بن عبد قصي . وهي أم طليب ابن عمير الذي هاجر الهجرتين وشهد بدراً فما بعدها ، واستشهد باليرموك أو أجنادين ، ولاعقب لهؤلاءِ الخمس من بنات عبد المطلب ، شقيقات عبد الله والزبير وأبي طالب ؛ أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية ، وأما صفية فإنها شقيقة حمزة والمقوم والمغيرة الذي يقال له : جميل . وأمهم هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، ولذلك أخرها عنهن مع علوها بصحة الإسلام والصحبة ، فهي صحابية بلا خلاف .

صَفـيَّـةُ حَليـلَةُ الْـعَـوَّامِ

أُمُّ الْحَـوَارِيِّ الـزُّبَـيْرِ السَّامِي

وأم السائب ـ صحب واستشهد يوم اليمامة ـ وأم بجير ـ قتلته دوس قبل الإسلام بأبي أزهر الذي قتله هشام بن الوليد ـ وعاشت صفية إلى خلافة عمر أو بعدها ، وهي التي قال لها النبي ﷺ : «**أَحْمِلُكِ عَلَىٰ ابْنِ النَّاقَةِ**» ، وقال لها أيضاً : «**الْجَنَّةُ لاتَدْخُلُهَا عَجُوزٌ**» .

ذكر من أسلم من بني هاشم

وَلِلزُّبَيْرِ الْقَرْمِ عَمِّ الْمُصْطَفَىٰ
أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ قُطْبُ الْحُنَفَا

ثم شرع يذكر إسلام من أسلم من بني هاشم ؛ فبدأ بعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وكان سيداً في الإسلام وابن سيد في الجاهلية ؛ أسلم وهاجر ، وأمه عاتكة بنت أبي وهب بن عمران بن مخزوم ، توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاثين سنة ، وكان يقول له النبي ﷺ : «ابْنُ عَمِّي وَحِبِّي» وقتل رضي الله عنه بأجنادين ، ووجد حوله جماعة قتلها ، ولهذا سماه قطب الحنفا ، ولم يترك ولدا .

لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ أَسْلَمَ أَبُو
سُفْيَانَ عَبْدُ اللهِ وَالْمُنْتَخَبُ

رَبِيعَةُ الَّذِي النَّبِيُّ وَضَعَا
دَمَ ابْنِهِ وَنَوْفَلٌ وَانْقَطَعَا

نَسْلُ سِوَىٰ الْحَارِثِ وَالْعَبَّاسِ
وَشَرِّهِمْ ووالِدِ الْأَكْيَاسِ

عَلِيٌّ جَعْـفَـرُ عَقِـيـلُ طَالِـبْ

أكـبرهم وهـو الفقيـد الـذاهب

يعني أن الأكبر من أولاد عبد المطلب وبه كان يكنى وأمه من بني سواءَة من بني عامر بن صعصعة ، وليس له شقيق من بني عبد المطلب إلا قثم ومات صغيراً ، وأسلم للحارث من الأولاد أربعة : الأول أبو سفيان الشاعر المشهور الذي يقول :

لعـمـرك إني يوم أحمـل رايـتي
لتغلب خيـلُ الـلات خيـل محمـد

لكـالمـدلـج الحـيران أظـلم ليـله
فهـذا وإني حين أهـدى فأهـتـدي

هداني هاد غير نفسي ودلـني
على الله من طردتـه كل مطرد

وكان صديقاً للنبي ﷺ وأخاه من الرضاعة أرضعتهما حليمة ، حتى بعث النبي ﷺ فكان أبعد الناس منه وأشدهم عداوة له ، وكان ممن يهجوه من شعراءِ قريش ، فلما أسلم انقلب ذلك فصار أقرب الناس منه وأشدهم حباً له ، ولم ينظر قط وجه رسول الله ﷺ حياءً منه ، وكان ﷺ يقول له : «خَلِيفَةُ حَمْزَةَ» ولما توفي النبي ﷺ رثاه مراثي حسنة ، وتوفي في خلافة عمر بعد ماحل من الحج ؛ فحلق الحلاق رأسه فقطع ثؤلولاً كان به فنزفه الدم ، ولما حضرته الوفاة قال لنسائه : لاتبكين عليَّ فإني لم أنتطق بخطيئة منذ أسلمت .

والثاني : عبد الله بن الحارث ؛ كان اسمه عبد شمس فسماه النبي ﷺ عبد الله ؛ ومات عبد الله بن الحارث في حياته ﷺ ولم يعقب .

والثالث : ربيعة بن الحارث الذي وضع النبي ﷺ دم ابنه يوم فتح مكة فقال : «**أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي وَأَوَّلُ دَمٍ أَضْعُهُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ**» واسم ذلك الابن آدم بن ربيعة ؛ وقد كان مسترضعاً في هذيل ، فقتلته ليث بن بكر في حرب بينهم وبين هذيل ، وكان الصبي يحبو أمام البيوت فأصابه حجر فرضخ رأسه .

أسلم ربيعة يوم الفتح وكان أسن من عمه العباس ، ويكنى أبا أروى . سأل رسول الله ﷺ أن يزوجه من الصدقة فقال له : «**إِنَّمَا الصَّدَقَةُ أَوْسَاخُ النَّاسِ لَاتَحِلُّ لَنَا**» فزوجه من بيت المال . وأم بنيه أم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب ، وتوفي رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة .

والرابع : نوفل بن الحارث ـ يكنى أبا الحارث ـ أسر يوم بدر وفداه العباس هو وابن عمه عقيل بن أبي طالب ، وقيل : هو الذي فدى نفسه برماح أخبره بها النبي ﷺ فقال له : «**افْدِ نَفْسَكَ**» قال : ليس عندي ماأفتدي به . قال : «**وَرِمَاحُكَ الَّتِي بِجُدَّةَ**» ؟ فقال : أشهد أنك رسول الله ، إنها لايعلم بها أحد غيري . فكان ذلك سبب إسلامه . وقد أعان رسول الله ﷺ يوم حنين بثلاثة آلاف رمح وقيل : إنه ثبت معه ذلك اليوم . وتوفي بالمدينة سنة خمس عشرة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب ودفنه بالبقيع . وكان رضي الله عنه أسن من حمزة والعباس . ونبه الناظم على من أعقب من بني عبد المطلب بقوله : وانقطعا . نسل سوى الحارث . . . الخ يعني من الرجال ، وأما من النساءِ فقد أعقب غير هؤلاءِ ؛ كهند بنت المقوم فقد أعقبت ابنها عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، تزوجت أبا عمرة الصحابيَّ فولدت له عبد الرحمن الصحابيَّ أيضاً ، وكبنات الزبير بن عبد المطلب ؛ أم الحكم أم بني ربيعة بن الحارث ، وضباعة زوج المقداد وغيرهما ؛ كبنات حمزة ، أما يعلى

ابن حمزة فقد ولد له أربعة رجال درجوا كلهم ولم يترك واحد منهم نسلاً .

وقوله : وشرهم يعني به أبا لهب ؛ فهو شر بني عبد المطلب لتكذيبه النبي ﷺ وعداوته له ، وقد أعقب أبو لهب من ولده عتبة ، ومن ابنه معتب ـ كمحدث ـ ومن عقبه الفضل اللهبي الذي يقال له : الأخضر لشدة أدمته ، لأن أمه آمنة بنت العباس وهي لأم ولد سوداءُ . ومن شعره :

أنا الأخضر من يعرفني
أخضر الجلدة مانبت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً
يملأ الدلو إلى عقد الكرب
نحن قوم قد بنى الله لنا
شرفاً فوق بيوتات العرب
بنبي الله وابنْي عمه
وبعباس بن عبد المطلب

ويروى أن الفرزدق صادفه يستقي من بئر زمزم وينشد : من يساجلني البيت . فنزل عن دابته وشمر ثيابه يريد مساجلته ، ثم سأل عنه فقيل : الأخضر بن العباس فأرخى عليه ثيابه وقال : ماأنا إذاً بمساجله .

وهو الذي هاجى عقرباً التميمي وقيل فيهما : أمطل من اللهبي ، وأشد اقتضاءً من عقرب ؛ لأن عقرباً ربط حماره بباب دار اللهبي حتى قضاه ، وقد تمادى على مطله حتى تهاجيا ، وله يقول الفضل :

قد تجرت في أرضنا عقرب
لامرحباً بالعقرب التاجرة

إن عدواً كيده في أسته
لغير ذي كيد ولا ضائرة
كل عدو يتقى مقبلاً
وعقرب تختشى من الدابرة
إن عادت العقرب عدنا لها
وكانت النعل لها حاضرة

وله أيضاً يقول :

إذا ماكنت متخذاً خليلا
فلا تجعل خليلك من تميم
بلوت صميمهم والعبد منهم
فما أدري العبيد من الصميم

ويعني بوالد الأكياس أبا طالب . والأكياس : جمع كيِّس وهو العاقل . ورتب عددهم على مراتبهم إلا أنه أخر أكبرهم لعدم إسلامه ، وكان طالب خرج مع قريش يريدون بدراً ، فلما كانوا في أثناءِ الطريق تكلم مع رجل من قريش أو من بني عبد شمس . فقال الرجل : يابني هاشم ، ماخرجتم ناصحين . فأغضبه الرجل ورجع ، ثم لم يوجد له أثر ولم يسمع له خبر . وقد جمعنا الأبيات الأربعة لتضمين بينهما .

عُتَيْبَةٌ وَعُتْبَةٌ مُعَتِّبُ
وَدُرَّةٌ[1] إلَى التَّبِيبِ تُنْسَبُ

---

(١) وأما درة بنت أبي لهب فقد أسلمت وهاجرت إلى المدينة ، وكانت تحت الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فولدت له عقبة والوليد وأبا مسلم . ا . هـ .

عُتَيْبَةُ : هذا هو الذي أكله الأسد على المشهور ؛ وسبب ذلك دعاءُ رسول الله ﷺ ، فقد قال : «**اللهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلَابِكَ**» فخرج مع أبيه في تجارة ، فنزلوا وادياً فقال أبو لهب للرفقة : إن ابني دعا عليه محمد ، فاحضنوه الليلة من سباع هذا الوادي ، فضموا أمتعهم بعضها إلى بعض حتى علت فأضجعوه عليها وأحدقوا بها ، فلما ناموا جاءَ الأسد فجعل يشم كل واحد ، ثم رقى إليه فأخذه وذهب به . وأما عتبة ـ على أنه غير أكيل الأسد ـ فقد أسلم عام الفتح هو وأخوه معتب ، وحسن إسلامهما ولم يزالا بمكة ، ودعا لهما النبي ﷺ .

هنا انتهى ماشرحه حماد بن الأمين من نظم عمه الشيخ أحمد البدوي على الأنساب . لقد توفي الشيخ حماد قبل إكماله ، وسوف أحاول بإذن الله إكماله تحت عنوان : «**إكمال تحفة الألباب على الأنساب**»

وكان الفراغ من تبييض هذا الكتاب النفيس الفريد في فنه ، ومن التعليق عليه ظهر يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى عام تسعة وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة النبوية الشريفة . على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

كتبه أسير ذنبه الفقير إلى لطف ربه

احمد بن احمد المختار الجكني

المدرس بالمسجد الحرام

الفهرس

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

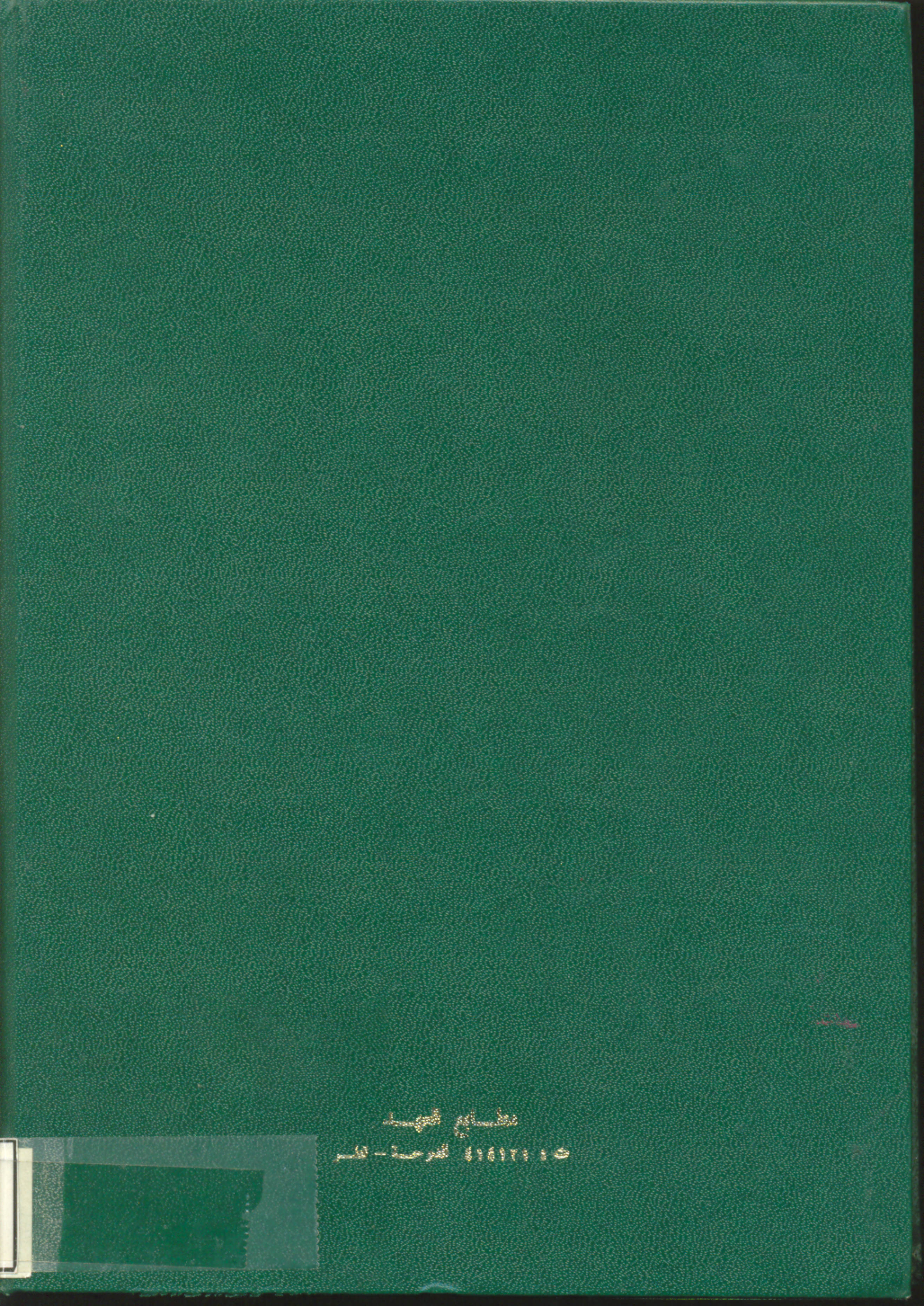
الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة

الموضوع	الصحيفة
دليل على أن حفر موضع القدمين قديم	٣٧٣
سعيد بن الأسود بن أبي البختري وشجاعته يوم الحرة	٣٧٧
ذكر أبي البختري بن هشام	٣٧٩
عثمان بن الحويرث البطريق	٣٨١
نسب بني عبد مناف بن قصي	٣٨٣
سبب نزول سورة المسد	٣٨٥
ذكر بنات عبد المطلب وأزواجهن	٣٨٦
ذكر من أسلم من بني هاشم	٣٨٩
أولاد أبي لهب	٣٩٣

رقم الايداع بدار الكتب القطرية
٤ لسنة ١٩٨٥




مطابع الفهد